

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
بُورِيفِ القُرْضَاوِيِّ

المحور الحادي عشر

خطب الجمعة

١٧٣

خطب الشيخ القرضاوي

١٠

إعداد

المكتب العلمي للشيخ

من الدستور الإلهي للبشرية

﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً
وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ
فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٠].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءِآبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ
أَوْلِيَاءَ إِنْ أَسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ
مِّنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [التوبة: ٢٣].

﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ
بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ
نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَبُّهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ
عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا
مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].



من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأَتَيْتَنِي بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنَّ يُقَالُ: جَرِيءٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأَتَيْتَنِي بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعْمَةَ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأَتَيْتَنِي بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَةَ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يَنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ». رواه مسلم وأحمد.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

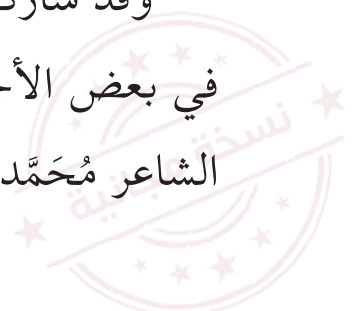
الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما ينبغي لجلال وجهه،
وعظيم سلطانه.

والصلاة والسلام على خاتم رسله، مُحَمَّدَ البَشِيرِ النَّذِيرِ والسراج
المُنِيرِ، وعلى آله وصحبه، الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ، وَاتَّبَعُوا النُّورَ
الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وعلى من اتَّبَعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى
يَوْمِ الدِّينِ.

(أما بعد)

فهذا هو الجزء العاشر من خطبي، التي بدأتها جمعها منذ عدّة
سنوات، بناء على اقتراحات بعض الإخوان والأبناء، الَّذِينَ يشهدونها
ويستمعون إليها في المساجد، التي تلقى فيها.

وقد شاركهم في ذلك إخوة لهم منذ الخمسينيات في مصر، واقتبسنا
في بعض الأجزاء بعض الخطب منهم، لخصها بقلمه الأخ الأديب
الشاعر مُحَمَّد حوטר رَحِمَهُ اللهُ.



وقد رأوا أنّ كلّ خطبة منها تشتمل على موضوعٍ مُعيّن، يتعلّق بالعقائد، أو العبادات، أو الأخلاق، أو العادات، أو المعاملات، أو التشريع، أو بالدولة المسلمة وعلاقاتها بالآخرين في الداخل والخارج.

وكلُّ خطبة تنال حَقَّها من آيات كتاب الله تعالى، ومن أحاديث الرسول ﷺ، ومن سيرته، ومن أقوال الصحابة، ومن اتَّبَعهم بإحسان، ومن أقوال الحكماء، وشعر الشعراء، وواقع الحياة، والدراسات المُتنوّعة.

فاستجبنا للناس منذ أن بدأنا نتسلّم بعض المساجد الكبيرة في الدوحة، مثل: مسجد أبي بكر الصديق، وبعده مسجد عمر بن الخطاب، الذي لا أزال أخطب فيه منذ أسّس إلى اليوم.

أمّا قبل ذلك، فهو كثير، وأكثره لم يُسجّل، ومن كان عنده منه شيء ليس عندنا، فليُتَّحِفنا به، جزاه الله خيرًا.

على أنّي قد أخطب في أماكن أخرى من العالم الإسلامي، وغير الإسلامي، فكم خطبتُ في لندن وأمريكا وفرنسا وإسبانيا وألمانيا وسويسرا، والبوسنة والهرسك، وغيرها من بلدان أوروبا الغربيّة والشرقيّة، كما خطبت في اليابان والهند والصين وكوريا وإفريقيا وغيرها من البلاد.

وفي هذه الخطب العشرين ثلاثًا منها من خطب الثورة المصريّة، التي أعطيتها من فكري ووقتي وجهدي ما تستحقُّه وأكثر؛ فكانت خطبة جمعة الرحيل، وخطبة القَسَم الذي أقسمته في جمعة التّحّي، وخطبة جمعة النصر في ميدان التحرير.

أشرف على جمع هذه الخطب من أشرطتها وتخريجها الأخ الشيخ مُحَمَّد مرسي حفظه الله من مكثبي بالدوحة.

وقمتُ بمراجعتها بعده، فجزاه الله وإخوانه خيرًا، ونفع بها كلَّ من
قرأها ونشرها، وجعلها خالصة لوجهه وابتغاء مرضاته، إنَّه سميع مجيب.
رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَتَبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ.

الفقير إليه تعالى
يوسف القرضاوي

الدوحة: ٢٨ ذي الحجة ١٤٣٣هـ
الموافق ١٤ نوفمبر ٢٠١٢م



إِخْلَاصُ النِّيَّةِ

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

تَحَدَّثْنَا مِنْ قَبْلِ عَنِ الْغَايَةِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا خَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ، وَسَخَّرَ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، وَقَلْنَا: إِنَّ مَهْمَةَ الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْرِفَ اللَّهَ تَعَالَى وَيُعْبُدَهُ، وَيَقُومَ بِحَقِّ خِلَافَتِهِ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ.

العبادات الباطنة:

وَتَحَدَّثْنَا عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَقَلْنَا: إِنَّ أَهَمَّ شَيْءٍ فِي الْعِبَادَةِ هُوَ الْعِبَادَاتُ الْبَاطِنَةُ، أَعْمَالُ الْقُلُوبِ، فَهِيَ تَتَقَدَّمُ عَلَى أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ، وَهِيَ الَّتِي التفت إليها علماء القلوب وأطباء النفوس.

وَلِهَذَا تَحَدَّثْنَا عَنِ التَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ، أَنْ يَتَخَفَّفَ الْإِنْسَانُ فِي أَوَّلِ الطَّرِيقِ لِكَيْ يَنْهَضَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَسْرَعًا، لَا تَقْعُدُ بِهِ أَثْقَالُ الذُّنُوبِ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسِيرَ خَطْوَةً حَتَّى يَقَعَ فِي حَفْرَةٍ، أَوَّلُ شَيْءٍ يَجِبُ أَنْ يَفْعَلَهُ سَالِكُ الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَتُوبَ تَوْبَةً نَصُوحًا.

تجريد النية لله:

ونتحدث اليوم عن إخلاص النية لله، إذا أراد الإنسان أن يسلك منهاج العابدين، فعليه أن يُصحح نيته، ويُخلصها لله تبارك وتعالى، النية والإخلاص لله، أن يُجرد نيته لله، ويخلص إرادته لله، ويُصَفِّيها من كل الشوائب والبواعث والأغراض التي يتهافت عليها الناس؛ فإن الله لا يقبل العمل المشوب، ولا النية المدخولة، ولا يقبل من العمل إلا ما ابتغى به وجهه.

أول ما ينبغي على الإنسان المؤمن أن يصنعه: أن ينظر في بواعثه، أن يُفتش في قلبه، أن يضعه تحت الميكروسكوب، أن يراقب نفسه من الداخل، أن يُشرِّح ذاته، أن يقف مع نفسه وقفة المُتأمل: ماذا يقصد بهذا العمل؟ لماذا يذهب إلى المسجد؟ لماذا يحجُّ؟ لماذا يعتمر؟ لماذا يفتح المصحف؟ عليه أن يسأل نفسه بصدق: ماذا يريد بذلك كله؟ هل يريد وجه الله، أم يريد وجه الناس؟

خطر الرياء:

إنَّ الإنسان قد يعمل الأعمال الصالحة، ولكنه يريد بها غير الله تعالى، يريد مَحَمْدَةَ الناس، يريد ثناءهم، يريد الشهرة عندهم، يريد أن يقولوا عنه: إنه رجلٌ صالح. وهذا يفسد العمل، ويحبط العبادة.

انظروا إلى هذا الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة، عن أولئك الثلاثة الذين أخبرنا النبي ﷺ أنهم أول من تُسعر بهم النار يوم القيامة: هذا العالم الذي علم العلم وعلمه للناس، وقرأ القرآن وأقرأه للناس، ولكنه يأتي يوم القيامة يريد الأجر، فلا يجد أجراً،

يقال له: إِنَّمَا فَعَلْتَ ذَلِكَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَارِئٌ لِلْقُرْآنِ. وَقَدْ قَالَ النَّاسُ ذَلِكَ. فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُسْحَبَ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى النَّارِ.

وَرَجُلٌ آخَرَ أَنْفَقَ مَالَهُ، وَتَصَدَّقَ عَلَى هَذَا وَذَلِكَ، فَيَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُدْبِلًا بِصِدْقَتِهِ وَإِنْفَاقِهِ وَبِذَلِكَ، فَيُقَالَ لَهُ: إِنَّمَا فَعَلْتَ ذَلِكَ لِيُقَالَ: فَلَانٌ جَوَادٌ سَخِيٌّ كَرِيمٌ. وَقَدْ قِيلَ، قَالَ النَّاسُ ذَلِكَ، أَعْطَاكَ الْأَجْرَ الَّذِي أُرِدْتَ. فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُسْحَبَ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى النَّارِ.

وَيَأْتِي ثَالِثٌ قَاتِلٌ حَتَّى قُتِلَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ قَاتَلْتَنِي فِي سَبِيلِكَ حَتَّى قُتِلْتُ. فَيَقُولُ: كَذَبْتَ، إِنَّمَا فَعَلْتَ ذَلِكَ لِيَقُولَ النَّاسُ: جَرِيءٌ شَجَاعٌ. وَقَدْ قِيلَ. فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُسْحَبَ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى النَّارِ، وَبِئْسَ الْقَرَارُ، قَالَ الْحَدِيثُ: «أَوْلَئِكَ أَوَّلُ مَنْ تُسْعَرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

يَا لِلْهَوْلِ، يَا لِلْعَجَبِ، عَالِمٌ قَارِئٌ مُعَلِّمٌ، وَمُتَّصِدِّقٌ بَاذِلٌ، وَمُجَاهِدٌ مُقَاتِلٌ قُتِلَ فِي الْمَعْرَكَةِ، تُسْعَرُ بِهِمُ النَّارِ، أَوَّلُ مَنْ يَسْحَبُونَ عَلَى وَجْهِهِمْ إِلَى النَّارِ، لِمَاذَا؟ لَأَنَّهُمْ زَوَّرُوا عَلَى اللَّهِ، كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ، زَيَّنُوا ظَوَاهِرَهُمْ وَخَرَّبُوا بَوَاطِنَهُمْ، أَوْلَئِكَ لَمْ يَعْبُدُوا اللَّهَ، وَإِنَّمَا عَبَدُوا ذَوَاتَهُمْ، عَبَدُوا أَشْخَاصَهُمْ، عَبَدُوا أَهْوَاءَهُمْ، وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ إِلَّا مَنْ كَانَ خَالِصًا لَوَجْهِهِ.

إِنَّ الْخَطَرَ كُلَّ الْخَطَرِ فِي أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ أَنْفُسَهُمْ، أَوْلَئِكَ الْمُنَافِقُونَ الْمُرَاوُونَ، إِنَّ الْكَافِرَ يُعْرِفُ أَنَّهُ كَافِرٌ فَيُتَّقِي، وَالْفَاجِرَ يُعْرِفُ أَنَّهُ فَاجِرٌ فَيُحْذَرُ، إِنَّمَا الْخَطَرُ كُلُّ الْخَطَرِ فِي هَذَا الَّذِي يُجَمِّلُ ظَاهِرَهُ، وَبَاطِنَهُ كُلُّهُ خَرَابٌ، قَالِبُهُ حَسَنٌ وَقَلْبُهُ سَيِّئٌ، يَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْآخِرَةِ، وَلَكِنَّهُ لَا يَرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، هَذَا هُوَ الْخَطَرُ.

(١) رواه مسلم في الإمامة (١٩٠٥)، وأحمد (٨٢٧٧)، عن أبي هريرة.



أهمية النية وفضلها:

لهذا كان إخلاص النية في العمل هو المطلوب قبل كل شيء، وقال النبي ﷺ في هذا الحديث الذي افتتح به الإمام البخاري جامعه الصحيح، وبدأ به كثير من المُحدِّثين كتبهم: «إنَّما الأعمال بالنيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دُنيا يُصِيبها، أو إلى امرأةٍ يَنكِحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»^(١).

هكذا قال النبي ﷺ للصحابة يُعلِّمهم أنَّ الأعمال بالنيَّات، لا يُقبل العمل إلا بالنية، العمل الذي تُراد به الآخرة لا بدَّ أن يكون خالصاً لله وحده والدار الآخرة، أمَّا أن تُظهر أنَّك تريد الآخرة، وأنت لا تريد إلاَّ الدُّنيا فلا يجوز، «من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدُنيا يُصِيبها، أو امرأةٍ يتزوَّجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه».

هاجر أحدهم من أجل امرأة كان يحبها، هاجرت فقال: ما قيمة العيش بعدها؟ كان اسمها أم قيس، فكان يقال له: مهاجر أم قيس^(٢). لأنَّه هاجر من أجل المرأة، فهجرته إلى ما هاجر إليه، لا يُكتَب مع المهاجرين في سبيل الله، وما أعظم الفرق بين الاثنين، كلاهما قطع المسافة بين مكَّة ويثرب، ولكن أحدهما يُكتَب مع المهاجرين، والآخر لا شيء له من ثواب الهجرة، فالأمر يتعلَّق بالنية.

وهناك مَنْ ينال ثواب الهجرة ولم يهاجر، هكذا قال الله تبارك

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (١)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٧)، عن عمر.

(٢) رواه الطبراني (١٠٣/٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٨٠): رجاله رجال الصحيح.

وقال ابن حجر في فتح الباري (١٠/١): إسناده صحيح على شرط الشيخين. عن ابن مسعود.

وتعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠]. قد يعمل الإنسان الناقص فيتمه الله له ببركة نيته الخالصة لله تبارك وتعالى.

روى الإمام البخاري قصة ذلك الرجل الذي قال: «لأتصدقن الليلة بصدقة». وإنما خصّ الليل ليكون بعيداً عن أعين الناس، ليتوارى في الظلام، فلا يحسّ به أحد، قصد الإخلاص، فقابله رجل في الطريق، فظنّ أنه من أهل الفقر والعوز، فأعطاه صدقته، فلما أصبح سمع الناس يتحدثون: «تُصدّق الليلة على سارق». أعطى الصدقة للصّ، وهو يظنّ أنه من أهل الاستحقاق، فقال: «اللهم لك الحمد، على سارق، لأتصدقن الليلة بصدقة».

وخرج فقابلته امرأة فظنّها من أهل الاستحقاق، فأعطها الصدقة في جنح الظلام، فأصبح الناس يتحدثون: «تُصدّق الليلة على زانية». فقال: «اللهم لك الحمد، على سارق، وعلى زانية! لأتصدقن الليلة بصدقة».

وخرج فقابله رجل فأعطاه الصدقة، فأصبح الناس يتحدثون: «تُصدّق الليلة على غني». فقال الرجل: «اللهم لك الحمد، على سارق، وعلى زانية، وعلى غني!».

وظنّ أنّ صدقته لم تقع موقعها، ولم يقبلها الله منه، ولكنه نام فرأى في رؤية صادقة منّ أتاها وقال له: «أما صدقتك على سارق، فلعلّه أن يستعفّ عن سرّقتيه، وأما الزانية، فلعلّها أن تستعفّ عن زناها، وأما الغني، فلعلّه أن يعتبر فينفق ممّا أعطاه الله»^(١). إذا علم هذا الغني أنّ هناك أناساً

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٢١)، ومسلم (١٠٢٢)، كلاهما في الزكاة، عن أبي هريرة.

يتصدّقون في الظلام دون أن يُحسّ بهم أحد، فلعلّ هذا يُحرّك سواكنه فيعطي ممّا أعطاه الله، أي: إن صدقته لم تذهب هباءً، ولم تَضِعْ سُدىً ببركة النية.

وقد يثاب الإنسان على عمل لم يعملهُ إطلاقاً، لأنّ نيّته فيه كانت خالصة، حبسه حابس، منعه عذر، جاء في حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أتى فراشه وَهُوَ يَنوي أن يَقومَ مِنَ اللَّيْلِ، فغَلَبَتْهُ عِينَاهُ حَتَّى أَصْبَحَ، كَتَبَ اللهُ لَهُ أَجرَ ما نَوَى، وَكانَ نَوْمُهُ صَدقةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَجَلَّ» (١).

وفي غزوة تبوك - وكانت غزوة في وقت عُسرة وشدّة قيظ وحرّ - تخلف بعض الصحابة؛ لأنّهم لم يجدوا ما يحملهم، ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢]، قال النبي ﷺ في تلك الغزوة الشديدة لأصحابه: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوامًا، ما سِرْتُمْ مَسِيرًا، ولا قَطَعْتُمْ وادِيًا إِلَّا كانوا معَكُمْ». قالوا: يا رَسُولَ اللهِ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟! قال: «وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؛ حَبَسَهُمُ العُذْرُ» (٢). قطع الصحابة آلاف الأميال بين تبوك والمدينة، ولكن هؤلاء الذين حبسهم العذر أو المرض شاركوهم الأجر بفضل نيّتهم.

ويقول النبي ﷺ: «مَنْ سَأَلَ اللهُ الشَّهادَةَ بِصدقِ بَلْغِهِ اللهُ منازلَ الشَّهداءِ، وَإِنْ ماتَ على فراشه» (٣). فانظروا إلى صاحب النية الصادقة

(١) رواه النسائي في قيام الليل (١٧٨٧)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٣٤٤)، وابن خزيمة في الصلاة (١١٧٢)، وابن حبان في قيام الليل (٢٥٨٨)، وقال الأرناؤوط: إسناده جيد. وصحّحه الألباني في الإرواء (٤٥٤). عن أبي الدرداء.

(٢) رواه البخاري في المغازي (٤٤٢٣)، وأحمد (١٢٠٠٩)، عن أنس.

(٣) رواه مسلم في الإمارة (١٩٠٩)، وأبوداود في الصلاة (١٥٢٠)، عن سهل بن حنيف.

يمكن أن يُثاب بنِيَّته وينال أجر الشهداء وهو في بيته، وقد مات على فراشه بين أهله وذوِيه، وآخر يُقتل بين الصَّفَيْنِ بأيدي الأعداء ولا يُكتب له شيء، لأنَّ المدار على النِّيَّة، فالنِّيَّة تؤثر في العمل.

تأثير النِّيَّة في العبادات:

والأعمال ثلاثة: الطاعات أو العبادات، والمعاصي أو المحرمات، والمباحات والعادات، أمَّا الطاعات فلا بدَّ فيها من النِّيَّة، «إنَّما الأعمال بالنيَّات»، الأعمال الصالحة، أعمال الطاعات لا بدَّ فيها من النِّيَّة حتَّى تُقبل، ولهذا اهتمَّ العلماء بحديث: «إنَّما الأعمال بالنيَّات». وقال بعضهم: هو ربع الإسلام. وقال آخر: هو ثلث الإسلام. وقال آخر: هو يدخل في سبعين بابًا من أبواب العلم، فلا بدَّ للعمل من النِّيَّة.

النِّيَّة محلها القلب:

ولا يُراد بالنِّيَّة أن تقول: نويت أن أفعل كذا. لا، قد تقول هذا بلسانك وقلبك غائب، النِّيَّة أن يكون هذا في أعماقك، في قلبك، النِّيَّة محلها القلب، وليس على طرف اللسان، قل ما شئت بلسانك، فلا قيمة له ما لم تكن هناك نِيَّة في القلب، فإنَّما يُقبل العمل إذا كان القلب عامرًا بنِيَّة صالحة خالصة، ولهذا جاء في الحديث الصحيح: «إنَّ الله لا ينظرُ إلى أجسامكم ولا إلى صُوركم، وإنَّما ينظرُ إلى قلوبكم». ولهذا أشار النبي ﷺ إلى صدره وقال: «التَّقْوَى هاهنا، التَّقْوَى هاهنا، التَّقْوَى هاهنا»^(١). فليست التَّقْوَى مظهرًا يخدع، ليست لحيَّة طويلة، ولا عِمَامَةً مُكَوَّرَةً، ولا مظهرًا من المظاهر، لا، بل هي تقوى القلوب، كما قال الله

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٧٢٧)، عن أبي هريرة.

تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا
وَلَكِنْ يَنَالُهُ النُّقُوى مِنْكُمْ﴾ [الحج: ٣٧]. فلا يقبل الله أي عمل صالح إلا بنية
خالصة لله تعالى.

الإخلاص أساس قبول العمل:

سُئل النبي ﷺ: إنَّ الرجل يقاتل ليرى مكانه، حتَّى يعرف النَّاس أَنَّهُ
مُقاتِلٌ عنيد، أو بطلٌ صِنْدِيدٌ، والرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل
حميَّةً، أي: غضبًا وعصبيةً لقومه؛ فأَيُّهم في سبيل الله؟ فقال النبي ﷺ:
«مَنْ قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله»^(١). فلا بدَّ أن
يُحدِّد الهدف الَّذي يبعثه على الجهاد والتضحية بالنفس.

وجاء في الحديث الآخر أنَّ رسول الله ﷺ سُئِلَ عن رجلٍ غزا يلتمس
الذِّكر والأجر، أن يذكره النَّاس ويتحدَّثوا عنه؟ فقال: «لا شيء له». فأعاد
السائل عليه السؤال مرَّة بعد مرَّة، وهو يقول: «لا شيء له»^(٢).

إنَّ الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه، فهو لا يحبُّ العمل
المُشْتَرَك، ولا القلب المُشْتَرَك، العمل المُشْتَرَك لا يقبله، والقلب المُشْتَرَك
لا يُقبَلُ عليه، لا يُقبَلُ الشُّركَة، يريد أن يكون الإنسان عبدًا خالصًا له ﷻ.

يقول سبحانه في الحديث القدسي الصحيح: «أنا أغنى الشركاء عن
الشُّرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركه»^(٣). فليذهب إلى
شريكه يأخذ الأجر منه، وهذا هو الخطر كل الخطر، فلا بدَّ من إخلاص النية

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢٣)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٤)، عن أبي موسى.

(٢) رواه النسائي في الجهاد (٣١٤٠)، وجوَّد إسناده ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٨١/١)،
وحسَّن إسناده الألباني في الصحيحة (٥٢)، عن أبي أمامة الباهلي.

(٣) رواه مسلم في الزهد (٢٩٨٥)، عن أبي هريرة.

لله ﷻ، وليكن شعارك: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴿[الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]. أن يكون العمل لله ﷻ. ومن هنا كان السلف يدققون في هذا الأمر، ويقول بعضهم: طوبى لمن صحّت له خطوة لا يريد بها إلا وجه الله ﷻ^(١). لأن الأعمال قلما تكون خالصة لله ﷻ، فالعمل إنما يقبل إذا كان لله وحده، ليس معه شركة إطلاقاً، هذا هو الإخلاص.

والله تعالى يقول: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]، ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١]، ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤، ١٥]. فإذا استطاع الإنسان أن يخلص عمله لله فهذا هو المطلوب، وهذا هو المنشود.

الإخلاص من الأسرار:

الإخلاص هو ذاك السرُّ كما قال الجُنَيْد رَحِمَهُ اللهُ: الإخلاص سرٌّ بين العبد وربّه، لا يطلع عليه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده^(٢). هذا الشيء المكنون في أعماق القلب هو السرُّ الذي يقبل الله به الأعمال، أخلص عملك يَكْفِكَ منه القليل، ولكن مهما أكثرت ولكنك أردت به مرآة الناس، أو الشهرة، أو المَحَمْدَة، أو الذُّكر، فيا ضيعة عملك، ويا ضيعة ناسكك.

الأتقياء الأخفياء:

خرج عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فوجد معاذ بن جبل عند قبر النبي ﷺ يبكي، فقال له: ما يُبْكِيكَ يا معاذ؟ قال: حديثٌ سمعته من النبي ﷺ،

(١) إحياء علوم الدين (٤/٣٧٨).

(٢) مدارج السالكين (٢/٩٢)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، نشر دار الكتاب العربي،

بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

يقول: «إِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ الرَّيَاءِ شَرٌّ، وَمَنْ عَادَى أَوْلِيَاءَ اللَّهِ فَقَدْ بَارَزَ اللَّهَ بِالْمَحَارَبَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَبْرَارَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَخْفِيَاءَ، الَّذِينَ إِذَا حَضَرُوا لَمْ يُعْرَفُوا، وَإِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهَدَى، يَنْجُونَ مِنْ كُلِّ غِبْرَاءٍ مُظْلَمَةٍ»^(١). هؤلاء هم الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ اللَّهُ، الْجُنُودَ الْمَجْهُولُونَ الَّذِينَ لَا يُشَارُ إِلَيْهِمْ بِالْبَنَانِ، وَلَا يَقُومُ النَّاسُ لَهُمْ وَقُوفًا إِذَا حَضَرُوا، وَلَا يَسْأَلُ عَنْهُمْ أَحَدٌ إِذَا غَابُوا، هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ اللَّهُ، وَهُمْ الَّذِينَ تَنْتَصِرُ بِهِمُ الدَّعَوَاتُ، وَتَقُومُ بِهِمُ الرِّسَالَاتُ، وَتَنْهَضُ بِهِمُ الْأُمَمُ.

صاحب النقب:

في معركة من معارك الفتح الإسلامي كان هناك سور استعصى على المسلمين، قلعة ظلوا يحاصرونها مدة طويلة، وصبر أهلها على الحصار، وهم في حاجة إلى مَنْ يدخل ليفتح الباب من الداخل، فاختم رجل من المسلمين في ركن من الأركان ونقب نقبًا، ظل ينقب فيه بليل حتى استطاع أن يوجد فتحة صغيرة في السور، ثم تسلل إلى الداخل وذهب إلى الباب يضرب بسيفه حتى استطاع أن يفتح الباب من الداخل، وفتح الباب، ودخل المسلمون مهللين مكبرين، وكان الفتح وكان النصر.

وعرف المسلمون قصة مَنْ نقب هذا النقب، وأنه هو الذي أدى إلى هذا الفتح والنصر، ولكنه لم يجئ للأمير ليقول له: أنا الذي فعلت وفعلت. ظلَّ الأمير منتظرًا يومًا واثنين وثلاثًا وأربعًا، ولكن أحدًا لم

(١) رواه ابن ماجه في الفتن (٣٩٨٩)، والحاكم في الإيمان (٤/١)، (٣٢٨/٤)، وقال في الموضوع الأول: حديث صحيح، ولم يخرج في الصحيحين، وهذا إسناد مصري صحيح، ولا يحفظ له علة. ووافقه الذهبي.

يأت، وأمير الجيش مُشْتاقٌ إلى أن يعرف صاحب هذه المأثرة، فقام وقال: أيُّها النَّاس مَنْ مِنْكُمْ صاحب النقب؟ ناشدتم الله مَنْ كان منكم صاحب النقب، أو عرفه إِلَّا دَلَّ عليه. وأقسم عليهم، وعزَّم وشدَّد عليهم؛ يريد أن يعرف هذا الإنسان، ثمَّ ذهب إلى خيمته.

وبعد قليل جاءه رجل فقال له: السلام عليك أيُّها الأمير. قال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. قال: تريد أن تعرف صاحب النقب؟ قال: أنا أدلُّك عليه. قال: جزاك الله خيرًا، إنِّي مَشوق لمعرفته. قال: ولكنَّه يشترط أمورًا ثلاثة. قال: وما هي؟ قال: يشترط ألا تذكر اسمه على الملاء، وألا تكتب للخليفة عنه، وألا تكافئه بشيء. فقال: له ما أراد. قال: إذن فأنا هو. فاعتنقه وقبَّله، وكان يدعو الله دائمًا ويقول: اللهم احشُرني مع صاحب النقب^(١).

هؤلاء هم الأبرار الأتقياء الأخفياء، هؤلاء هم الذين تنهض بهم الأمم، هؤلاء هم الذين تعزُّبهم الحياة وتنصر، ليس بأولئك المُرَّائين، أو المنافقين الذين يظهرون غير ما يُبطنون.

هؤلاء المخلصون كالجذع من الشجرة يكمن في الأرض، ولكنَّه سرُّ حياتها ونمائها، وكالأساس من البناء لولاه ما قام البناء، ولكن أحدًا لا يراه، كما قال الشاعر:

خفي الأساس عن العيون تواضعًا من بعد ما رفع البناء مشيدًا^(٢)

(١) انظر: تاريخ دمشق (٣٦/٥٨)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٢) البيت لأحمد شوقي، كما في أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١١١/١)، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

فالإخلاص هو أساس قبول العمل، الأعمال الصالحة لا تُقبل إلا بنية خالصة لله تبارك وتعالى، ولذلك قال الإمام الغزالي: العمل بغير نية عناء، والنية بغير إخلاص رياء، وهو للنفاق كفاء، ومع العصيان سواء^(١). فلكي تقبل الأعمال لا بد لها من النية الخالصة.

استقامة العمل على منهاج الشرع:

ولكن هناك شرط آخر لقبول الأعمال: أن تكون على السنة، أن تكون على المنهاج الشرعي، فمهما كان عمل الإنسان خالصاً، ولكنه ابتدع في الدين ما لم يأذن به الله، وعمل عملاً ليس عليه أمر رسول الله فعمله مردود عليه.

ولذلك قال العلماء المحققون: هناك حديثان هما ميزانان لقبول الأعمال، أحدهما ميزان الباطن، وهو حديث: «إنَّما الأعمال بالنيَّات»^(٢). والآخر ميزان الظاهر، وهو حديث: «مَنْ عمل عملاً ليس عليه أمرنا، فهو ردٌّ»^(٣)، «مَنْ أحدث في أمرنا ما ليس منه، فهو ردٌّ»^(٤). أي: مردود عليه، فلا بد من الأمرين معاً: إخلاص النية، وصلاح العمل.

ومن هنا حينما سُئل الإمام الزاهد الفضيل بن عياض عن قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]. قيل له: ما أحسن العمل يا أبا علي؟ قال: أحسن العمل أخلصه وأصوبه. قيل: وما أخلصه؟ وما أصوبه؟ قال: إنَّ الله لا يقبل العمل إلا إذا كان خالصاً صواباً، فإذا كان صواباً، ولم يك

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٣٦٢/٤)، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٢) سبق تخريجه ص ١٣.

(٣) رواه مسلم في الأفضية (١٧١٨) (١٨)، وأحمد (٢٥٤٧٢)، عن عائشة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الصلح (٢٦٩٧)، ومسلم في الأفضية (١٧١٨) (١٧)، عن عائشة.

خالصًا لم يُقبل، وإذا كان خالصًا، ولم يكُ صوابًا لم يُقبل، وخُلوصه أن يكون لله، وصوابه أن يكون على السُّنَّة. ثمَّ قرأ قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] (١). هذا هو القسم الأول من الأعمال التي تُؤثِّر فيها النِّيَّة: الأعمال الصالحة.

بقيت المعاصي، هل تُؤثِّر فيها النِّيَّة أم لا؟ وبقيت المباحات والعادات؛ هل تُؤثِّر فيها النِّيَّة أم لا؟ إن شاء الله نعود إلى هذا في خطبة أخرى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فادعوا الله تعالى يستجب لكم.

* * *

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٩٥/٨).



المبشرات بانتصار الإسلام في القرآن والسنة

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

أريد أن أحدثكم اليوم عن المَبَشِّرَاتِ بِمُسْتَقْبَلِ الْإِسْلَامِ، الْمُبَشِّرَاتِ بِانْتِصَارِ هَذَا الدِّينِ، أَنَّهُ ظَاهِرٌ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، أَنَّ الْغَدَ لِهَذَا الْإِسْلَامِ، وَأَنَّ اللَّهَ مَتَمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.

وإنما اخترت هذا الموضوع لعدة أسباب:

السبب الأول: أن هذا هو المنهج النبوي، منهج التبشير لا التنفير، والتيسير لا التعسير، كما روى أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا»^(١). وحينما أرسل أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن أوصاهما بتلك الوصية الجامعة الموجزة فقال: «يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنْفِرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلَفَا»^(٢). فهذا هو منهج التيسير لا التعسير، والتبشير لا التنفير.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٩)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٣٤)، عن أنس.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣)، كلاهما في الجهاد، عن أبي موسى.

وأحمد الله تعالى أن وفقني إلى التزام هذا المنهج المحمدي: التبشير في الدعوة، والتيسير في الفتوى، فهذا ما علمناه رسول الله ﷺ، لهذا أتحدث عن المبشرات.

ثم سبب ثان: وهو أن القوى المعادية للإسلام، المتربصة بالمسلمين في الشرق والغرب، التي تريد أن تطفئ جذوتهم، وأن تميت صحتهم، هذه القوى تريد أن تبتئس اليأس في القلوب، أن تزرع القنوط في النفوس، فلا يشعر إنسان بالرجاء في غد، ولا بالأمل في مستقبل، وهذا من أسباب الخيبة والخذلان والخسران، أن يئس الإنسان من سعيه، ولا يرجو النجاح في عمله، فهذا مما يثبته عن العمل، وعن المزيد من السعي، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، ويقول سبحانه: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]. فنحن نريد أن نبطل سعي هذه القوى ومكرها في تئيس المسلمين من مستقبلهم.

وسبب ثالث: هو أن هذا المكر الكُبَّار، وهذا الكيد العظيم من القوى المعادية عمل عمل في أنفس المسلمين، فأصبحنا نحس الآن ونقرأ ونسمع ونلمس اليأس الذي غمر القلوب، والقنوط الذي ملأ النفوس، وأصبح الكثير من المسلمين يقولون: إننا نعمل ولا نربح، نمضي دوابنا في السير ولا نصل إلى المستقر أو المحطة، نجدف حتى تكل سواعدنا ولا نصل إلى الشاطئ المرموق، نغرس ولا نجني الثمرة، نزرع ويحصد غيرنا، هذا ما سجَّله التاريخ الحديث: الإسلاميون يزرعون والعلمانيون يحصدون، كأنما قُدر علينا أن نعمل ونعمل، ولكننا لا نحقق أملاً، ولا نجني نصراً، كالثور في الساقية يسير ويسير، ويتحرك ويتحرك، والمكان الذي انتهى إليه هو الذي ابتداءً منه.

هذا ما قاله بعض الشباب المسلم: أين ما حَقَّقه المسلمون خلال عقود كثيرة، وهم يعملون ويجاهدون؟ أين ما حَقَّقه الصحوة الإسلاميَّة المعاصرة؟ أين ما حَقَّقه دعاة الإسلام؟ أين ما حَقَّقه الجهاد الأفغاني؟ أين ما حَقَّقه الجهاد الفلسطيني؟ أين أين؟ هذا ما يقوله بعض الشباب.

وهذا خطر، لا ينبغي أن نستسلم لهذه المشاعر، ولا ينبغي أن يملكنا اليأس والشعور بالإحباط، ولا ينبغي أن ننظر للأمور بالمنظار الأسود الذي جعلنا كأننا لم نحقق شيئاً، هذا ليس بصحيح، فهذا ما يجعلنا نتحدَّث عن المبشرات.

وسبب رابع: أنَّ كثيراً ممَّا ينظرون إلى المستقبل بهذا المنظار الأسود يعتمدون على نصوص من الدين، وخصوصاً من الأحاديث النبويَّة الشريفة، كثير من الأحاديث التي ذكرها المحدثون في أشراط الساعة، وفي أبواب الملاحم والفتن، كثيراً ما تُفهم على غير وجهها، ويأخذ منها بعض الناس أنَّنا نسير من سيء إلى أسوأ، ومن أسوأ إلى الأشد سوءاً، وأنَّ الكفر في إقبال والإسلام في إدبار، وأنَّ الشر منتصر والخير منهزم، وأننا نسير هكذا من شر إلى ما هو أشد منه حتَّى تقوم الساعة!

وهكذا كأنَّ النبي ﷺ جاء ليزرع اليأس في قلوب الأُمَّة، وهذا مستحيل، مستحيل أنَّ النبي ﷺ الذي جاء يبشِّر الأُمَّة وينهضها، ويبثُّ في قلوبها الأمل والعزائم والنيَّات الصادقة أن يزرع في قلوبها اليأس والقنوط، واليأس من مظاهر الكفر، والقنوط من مظاهر الضلال.

النبي ﷺ الذي يقول في أمر الدنيا: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة - شتلة أو نخلة صغيرة - فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها»^(١). لماذا يغرسها والساعة قائمة؟ لن يأكل منها، ولن يأكل منها أحد من بعده، كما قال القائل قديمًا: غرس لنا من قبلنا فأكلنا، ونغرس ليأكل من بعدنا. وهذا ليس من بعده أحد حتى يأكل، فلماذا يغرسها والساعة قائمة؟

يغرسها للدلالة على أن المسلم معطاء منتج حتى تلفظ الحياة آخر أنفاسها، يتعبّد لله تعالى بعمله، بإنتاجه، ولو لم ينتفع منه هو ولا أحد من بعده، رمز عظيم إلى شأن المسلم في أمور الدنيا؛ يقول النبي ﷺ ذلك في أمور الدنيا، وفي أمور الدين يئس الناس من العمل ومن التغيير ومن الإصلاح؟! هذا لا يمكن.

أحاديث أسوء فهمها:

هذه الأحاديث التي يعتمد عليها الناس في مثل هذه الأمور فهمت خطأ، فحديث: «بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء»^(٢). لا يعني أن الغربة مستمرة وعامة وشاملة، بل هي موجات ودورات في مكان دون مكان، وفي زمان دون زمان، وفي حال دون حال كما قال الإمام ابن القيم^(٣).

قد يشعر المسلمون بالغربة في بلد، أو يحشّون بالإدبار في عصر

(١) رواه أحمد (١٢٩٨١)، وقال منخرّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والبخاري في الأدب

المفرد (٤٧٩)، والضياء في المختارة (٢٧١٥)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٩)، عن أنس.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (١٤٥)، وأحمد (٩٠٥٤)، عن أبي هريرة.

(٣) مدارج السالكين (٣/١٨٦).

مُعَيَّن، ثُمَّ يَأْتِي عَصْرٌ آخِرٌ يَنْتَعَشُ فِيهِ الْإِسْلَامُ، يَنْتَعَشُ فِي بَلَدٍ حِينَ يُحَارَبُ فِي بَلَدٍ آخَرَ، هَذَا مَا جَرَّبْنَاهُ طَوَالَ التَّارِيخِ.

خَرَجَ الْإِسْلَامُ مِنَ الْأَنْدَلُسِ مِنْ إِسْبَانِيَا مِنْ أُوْرْبَا، ثُمَّ إِذَا بِهِ يَفْتَحُ أُوْرْبَا مِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى عَلَى يَدِ الْعُثْمَانِيِّينَ، وَيَدْخُلُ الْبَلْقَانَ، وَيَطْرُقُ أَبْوَابَ «فِينَا» عَاصِمَةَ النَّمْسَا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، الْإِسْلَامُ لَا تَغِيْبُ شَمْسَهُ، تَغْرِبُ شَمْسُهُ فِي مَكَانٍ لَتَطْلُعَ فِي مَكَانٍ آخَرَ، فَلَا يُفْهَمُ مِنَ الْحَدِيثِ مَا يَفْهَمُهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ.

وَالْحَدِيثُ الْآخِرُ الَّذِي رَوَاهُ أَنْسٌ: «لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ»^(١). قَالَ الْعُلَمَاءُ الْمُحَقِّقُونَ: هَذَا خَطَابٌ لِلصَّحَابَةِ الَّذِينَ خَوَّطَبُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ، فَزَمَانَ النَّبُوَّةِ خَيْرٌ مِنْ زَمَنِ الرَّاشِدِينَ، وَزَمَنِ الرَّاشِدِينَ خَيْرٌ مِنْ زَمَنِ مَعَاوِيَةَ، وَزَمَنِ مَعَاوِيَةَ خَيْرٌ مِنْ زَمَنِ يَزِيدَ. وَلَكِنْ لَيْسَ مَعْنَى هَذَا أَنَّ كُلَّ زَمَانٍ شَرٌّ مِمَّا قَبْلَهُ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ زَمَانٌ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ شَرًّا مِنْ زَمَانِ الْحِجَابِ.

وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ زَمَانُ صِلَاحِ الدِّينِ الْأَيُّوبِيِّ وَنُورِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ الشَّهِيدِ الَّذِينَ نَفَخُوا فِي الْأُمَّةِ رُوحَ الْجِهَادِ، وَاسْتَعَادُوا الْإِمَارَاتِ وَالْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةَ مِنَ الصَّلِيبِيِّينَ، وَانْتَصَرَ صِلَاحُ الدِّينِ فِي مَعْرَكَةِ حَطِينِ، وَاسْتَعَادَ بَيْتَ الْمَقْدَسِ بَعْدَ أَنْ ظَلَّ تَسْعِينَ عَامًا فِي أَيْدِي الصَّلِيبِيِّينَ، لَا تُقَامُ فِيهِ جَمْعَةٌ وَلَا جَمَاعَةٌ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الزَّمَانُ شَرًّا مِنَ الزَّمَانِ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ، الَّذِي فُتِنَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ، وَضَيَّعُوا أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ، وَتَمَالَّؤُوا وَتَعَاوَنُوا مَعَ عَدُوِّهِمْ، وَهَكَذَا.

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْفِتَنِ (٧٠٦٨)، عَنْ أَنْسٍ.

لهذا كنا في حاجة إلى أن نصح هذه المفاهيم، وأن نتحدث عن المبشرات، والمبشرات عندنا كثيرة، ولكن يغفل عنها الغافلون، يغفل عنها الوعاظ والمُذكِّرون والدعاة.

هناك مصادر عدة للمبشرات بمستقبل الإسلام لا أطيل فيها، ولكنني أحدثكم عن أساسياتها.

المبشرات من القرآن:

المصدر الأوّل للمبشرات بهذا الدين هو كتاب الله، القرآن الكريم، القرآن مليء بهذه المبشرات، أنّ هذا الدين لا بدّ أن يظهر على الدين كله، ولا بدّ أن ينصر الله أهله، ولا بدّ أن يتمّ الله نوره.

يقول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]. أن يطفئوا نور الله بأفواههم، أي سخرية بهؤلاء؟ كالذي يريد أن يطفى نور الشمس - وهي من نور الله - بنفخة من فمه، كذبت وخسئت وجهلت أيها الأحق، لا تستطيع أن تنفخ بضمك فتطفى نور الله، فنور الله ليس شمعة ولا قنديلاً، ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾، هذا الإباء الإلهي هو الذي يطمئننا، هو الذي يملأ قلوبنا ثقة بأنّ المستقبل لنا، من ذا الذي يستطيع أن يهزم ذلك الإباء، أو يجره إلى غير ما يريد؟ ويقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣، الصف: ٩]. هذه الآية في سورة التوبة، وتكررت بلفظها ونصها في سورة الصف، وجاء في سورة الفتح: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨]. سيظهر الإسلام على الدين كله، أي على كل الأديان.

لقد ظهر الإسلام قديماً على اليهودية، وظهر على النصرانية، وظهر على المجوسية، ولكن بقيت في الأرض وثنيات كبرى، وبقيت أديان باطلة لم يظهر عليها الإسلام، والوعد الإلهي هنا بالظهور على الدين كله، على كل الأديان، هذا وعد من الله، ووعد الله لا يتخلف، لأن الذي يخلف وعده إمّا أن يكون عاجزاً أو كاذباً، يعجز عن تحقيق وعده، أو يكذب يعد ويخلف، ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الحج: ٤٧]، ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨]، ثلاث آيات في كتاب الله تعطينا هذا الأمل بهذا الوعد الرباني: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾، سيظهر الإسلام لا محالة على كل الأديان.

وهناك آيات كثيرة في القرآن، مثل قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]. إذا آمنوا وعملوا الصالحات، وعبدوا الله ولم يشركوا به شيئاً فإن الله محقق لهم وعده، يستخلفهم في الأرض، ويُمكِّنهم كما مكن من قبلهم، ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾.

وكذلك نجد في القرآن الكريم مثل هذه الآيات: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]. سيريهم الله آياته بما شاء من أسباب، قد يكون بالظهور المعنوي للإسلام كما نرى الآن في لمحات الإعجاز العلمي في القرآن التي لم يكن يدركها السابقون، وقد يكون بأسباب مادية لا نعرفها، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾، قد يكون بحدث ما، بشعور الناس العام بأنه لا إنقاذ لهم إلا بهذا الدين، هو طوق النجاة من المادية المُجحفة، ومن الإباحية المسرفة، ومن التعاسة

التي يشعر بها الناس تحت سطوة هذه الفلسفات والأيدلوجيات المادية الإباحية الانحلالية التي لم تسعد الناس من شقاء، ولم تؤمنهم من خوف. ومثل هذا قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل: ٩٣]. قد يكون بدخول الناس في الإسلام كما نرى الآن، رغم ضعف المسلمين وسوء حالهم، ورغم الحرب المعلنة على الإسلام هنا وهناك نجد الكثيرين من الناس يدخلون في الإسلام، ومنها شخصيات علمية وفكرية من أنحاء العالم تدخل في هذا الدين، كل هذا ممّا يدخل تحت قوله تعالى: ﴿ سَرَّيْهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾.

من المبشرات هلاك الطواغيت:

ومن المبشرات في القرآن الكريم ما ذكره الله لنا من قصص النّبيين والمؤمنين، وصراعهم مع الطواغيت ومع أهل الباطل، ثمّ ماذا تكون النتيجة؟ النتيجة أن ينصر الله القلّة على الكثرة، وينصر الضعف على القوّة، حينما ينتصر الإيمان على الكفر، ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْنَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر: ٦ - ١٤]، يراقب كل شيء، ويطلع على كل شيء، ولا تخفى عليه خافية، ولا يغيب عنه سرّ ولا علانية، إنّه في النهاية ينصر المؤمنين، ويأخذ الكافرين والمبطلين أخذ عزيز مقتدر، ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢، ١٠٣]، انظر في مصائر الأمم تجد أنّ الله حقّ النصر لرسله وللمؤمنين معهم، وأهلك وقطع دابر الذين كذبوا بآيات الله، هذا ما نقرؤه من خلال القرآن كله.

حينما تضيق الأمور، حينما تدلُّهم الخطوب، حينما يحلُّوك الليل، وتشتدُّ الظلمة، هنالك تأتي ساعة الفجر وساعة النصر، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠]. ظنَّ قومهم أنَّ الرسل قد كُذِّبوا، قد أخلفوا ما وُعدوا، قد كذب الله عليهم، لا، هنا يخيب الله ظنَّهم ويأتي نصره، ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾، هذه سنَّة من سنن الله.

حينما يدخل الهلع على الأنفس، حينما تُزلزل الأنفس كما قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلُّوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]. البأساء: الفقر في أموالهم، والضراء: الجراحات والعذاب في أبدانهم، والزلزلة في نفوسهم، حينما يصابوا بهذا كله يقولون مستبطين: متى يأتي النصر؟ لماذا غاب النصر؟ ﴿مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾؟ فيعقب الله تعالى بهذه الجملة المؤكدة المُعبِّرة، يقول: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾. يقول البلاغيون: الجملة الاسميَّة أكد من الجملة الفعلية، فإذا أُكِّدت بيان كان ذلك أوكد، فإذا أُكِّدت بـ ﴿أَلَا﴾ ازدادت تأكيداً، ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾، حتَّى يطمئن المؤمنون، ولا ييئسوا أبداً، وإن زُلُّوا زلزالاً شديداً.

غزوة الأحزاب:

وهذا ما حدث لأهل المدينة حينما حاصرهم المشركون في غزوة الأحزاب، ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلُّوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠، ١١]، ولكن هذا الزلزال الشَّدِيد لم يقطع الأمل في

نفوسهم، بل ما زادهم إلا إيماناً وتسليماً كما قالت الآية الأخرى في نفس السياق: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

في هذه الغزوة سرعان ما انكشف المنافقون، وانكشف زيفهم، وقال قائلهم: ﴿إِنَّ بَيْوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣]. وقال آخرون: إِنَّ مُحَمَّدًا كَانَ يَعِدُنَا كَنُوزَ كَسْرَى وَقِصْرٍ وَمَمَالِكُهُمَا وَأَحَدُنَا لَا يَأْمَنُ الْيَوْمَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْخِلَاءِ وَحْدَهُ. ولكن الله صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، كما قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩]. جنوداً غير مرئية.

وكما قال الله في نهاية القصة: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغِيظِهِمْ لَمَّا بَيْنَاؤا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ * وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٥ - ٢٧].

القرآن الكريم كله - أيها الإخوة - مليء بالمبشرات، فإذا تركنا هذا المصدر القرآني، وذهبنا إلى المصدر الآخر الذي يعتمد عليه الناس في التيسر، وهو السنة النبوية المشرفة نجدها حافلة بالمبشرات، الأحاديث الصحاح كثيرة ووفيرة، تملأ النفوس أملاً ورجاءً في أن المستقبل لهذا الدين.

المبشرات من السنة:

من ذلك الحديث الذي رواه تميم الداري رضي عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعزٍّ عزيز أو بذلٍّ ذليل، عزًّا يعزُّ الله به الإسلام، وذلاً يذلُّ الله به الكفر»^(١).

هذا الأمر: أي أمر هذا الدين، وبيت مدر: بيت من حجر، وبيت وبر: بيت من شعر؛ أي: إنَّ هذا الدين سيصل البوادي والحوضر، سيدخل إلى كل العالم، حواضره وبواديه، «ما بلغ الليل والنهار»، هل هناك قطعة من هذا الكوكب من هذه الكرة الأرضية لا يصل إليها ليل أو نهار؟ لا بدَّ أن يصل إليها الليل أو النهار.

ومن ذلك الحديث الذي رواه الإمام أحمد، عن أبي قبيل، قال: كنَّا عند عبد الله بن عمرو بن العاص، فسأله سائل: أي المدينتين تفتح أولاً: قسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق. قال: فأخرج منه كتاباً. قال: فقال عبد الله: بينما نحن عند رسول الله ﷺ نكتب؛ إذ سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تفتح أولاً: قسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: «مدينة هرقل تُفتح أولاً»^(٢). يعني قسطنطينية.

روميّة هي: روما، كما يقول ياقوت في «معجم البلدان»^(٣). وقسطنطينية: هي التي كانت عاصمة الدولة الرومانية الشرقية التي كان

(١) رواه أحمد (١٦٩٥٧)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والطبراني (٥٨/٢)، والحاكم في الفتن (٤٣٠/٤)، وصحّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٨٠٧): رجال أحمد رجال الصحيح. عن تميم الداري.

(٢) رواه أحمد (٦٦٤٥)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. وقال الهيثمي في المجمع (١٠٣٨٥): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح؛ غير أبي قبيل وهو ثقة. والحاكم في الفتن والملاحم (٥٥٥/٤)، وصحّحه، ووافقه الذهبي، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٤)، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) معجم البلدان (١٠٠/٣)، نشر دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥ م.

يحكمها في زمن النبي ﷺ ذلك الإمبراطور المعروف باسم هرقل، وهي التي تسمى الآن إستانبول.

كأن الصحابة كانوا سمعوا من النبي ﷺ، أن كلتا المدينتين ستُفتح، والسؤال هنا: أي المدينتين تُفتح أولاً؟ فقال النبي ﷺ: «مدينة هرقل تُفتح أولاً». أي القسطنطينية، وقد فُتحت، هيأ الله شاباً من أبناء الإسلام الطامحين الأقوياء، الذين لا يجرون وراء الشهوات، وإنما يجرون وراء الأهداف الكبار والآمال العظام، مُحَمَّد بن مُراد، المشهور في التاريخ باسم مُحَمَّد الفاتح، هذا الشاب الذي فُكّر وهو ابن العشرين في فتح القسطنطينية، قرأ في كتب الحديث ما رواه الحاكم وغيره حديث النبي ﷺ: «لتفتحن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش»^(١). فتاقت نفسه أن يكون هو هذا الأمير، وأن يكون جيشه هو هذا الجيش.

هناك نفوس تواقّة كما قال عمر بن عبد العزيز بعد أن وصل إلى الخلافة، وكانوا يأتون له بالثياب فيقول: هذه ثياب ناعمة، ابحثوا لي عن ثياب خشنة. قالوا له: حينما كنت أميراً كنا نأتيك بالثياب الناعمة فتقول: هاتوا لي أنعم منها. فقال لهم: إن لي نفساً تواقّة، تقى إلى الإمارة فحصلت عليها، ثم تقى إلى الخلافة فوصلت إليها، والآن أنا أتوق إلى ما هو أعظم من الإمارة والخلافة، أتوق إلى الجنة، إلى رضوان الله ﷻ^(٢). فهناك نفوس تواقّة.

(١) رواه أحمد (١٨٩٥٧)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. والحاكم في الفتن (٤٢١/٤)، وصحّحه ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٤): رجاله ثقات. عن بشر الغنوي.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساکر (٢٠٨/٤٥، ٢٠٩).

وهذا الفتى العثماني كانت له نفس تَوَاقَة، تاقت إلى أن يكون هو المقصود بهذا الحديث: «فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش». وما زال يفكر ويخطط حتى افتتح القسطنطينية، وهو ابن الثالثة والعشرين من عمره، وفتح القسطنطينية ملحمة تاريخية يجب أن نعرفها وندرسها، ومنذ عدة سنوات يحتفل إخواننا في حزب «الرفاه» الإسلامي في تركيا في كل عام بهذه المناسبة، بعد أن كان العلمانيون يهيلون التراب عليها، ولا يريدون أن تُذكر القسطنطينية ولا فتحها.

افتتحت القسطنطينية في العشرين من جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثمانمائة هجرية (٨٥٧هـ)، في التاسع والعشرين من مايو سنة ألف وأربعمائة وثلاثة وخمسين ميلادية (١٤٥٣م)، وكانت بداية التاريخ الحديث كما يقولون، افتتحها ذلك الشاب العثماني المسلم الطموح، وأصبح اسمها إستانبول أو إسلامبول.

وبقي الشق الثاني من البشارة النبوية: بقي أن تفتح رومية، ومعنى فتح رومية - أيها الإخوة - أن يعود الإسلام إلى أوروبا مرة أخرى، وقد أُخرج منها مرتين: أُخرج منها من الأندلس من إسبانيا بعد أن أقام فيها حضارة شامخة الذرا ثمانية قرون تعلّم منها الأوروبيون، وكانت جامعات المسلمين موئلهم، تعلّموا الطب والفكر والفلك والكيمياء وغيرها من العلوم التي نبغ فيها المسلمون.

طُرد الإسلام من الأندلس من أوروبا الجنوبية، ثم طُرد مرة أخرى من أوروبا الشرقية، وحُصر في ذلك الشريط الضيق، في إستانبول وما حولها، تآمروا على من سموه الرجل المريض، يعنون بذلك الدولة العثمانية في آخر عهدها، تآمرت الصليبية الدولية كلها على الدولة العثمانية، وساعدهم الانحراف الذي كان واقعاً فيها من غير شك.

المهم أننا أمام بشرى نبويّة، البشرية التي صدقت في شقّها الأوّل بفتح القسطنطينية، ولا بدّ أن تصدق في شقّها الثاني إن شاء الله بفتح رومية، سيدخل الإسلام أوروبا مرّة أخرى فاتحًا، هل يفتحها بالسيف أم يفتحها بالدعوة والفكر؟ كل هذا وارد، قد تستسلم أوروبا للإسلام بلا سيف ولا مدفع حينما يجدون أنّهم شقوا ولم يسعدوا، وضلُّوا ولم يهتدوا، وتعسوا ولم يأمنوا، فلا يجدون سفينة للإنقاذ إلاّ في الإسلام.

قد يكون ذلك، وقد تقوم بيننا وبينهم حرب يفتح الله فيها على المسلمين كما فتح على السابقين، كل هذا وارد، المهم أنّ رومية ستفتح، وأنّ الإسلام سيدخل أوروبا منتصرًا مرّة أخرى إن شاء الله.

وفي السنّة أيضًا: ما رواه مسلم من حديث ثوبان أنّ النبي ﷺ قال: «إنّ الله زوى لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها، وإنّ ملك أمّي سيبلغ ما زوي لي منها»^(١).

زوى لي الأرض: ضمّها وقبضها وجمعها، صارت كالخريطة أمامه فرأى مشارقها ومغاربها، ووعدّه الله أنّ ملك أمّته سيبلغ ما زوى له منها، المشارق والمغرب.

وإذا كان الحديثان السابقان يبشّران بانتصار دين الإسلام، فهذا الحديث يبشّر باتّساع ملك الإسلام، باتّساع دولة الإسلام، دين ودولة، حق وقوة، وهكذا، سيبلغ ملك هذه الأمّة ما زوي للنبي من الأرض، وقد ملك المسلمون في الزمن القديم أجزاءً واسعة من الدُّنيا القديمة، ولكن لم يملكوا المشارق والمغرب كلها، هذا الحديث يبشّر بأنّ هذه الأمّة ستملك المشارق والمغرب.

(١) رواه مسلم في الفتن (٢٨٨٩)، وأحمد (٢٢٣٩٥).

ولا يمكن أن تملك الأمة المشارق والمغرب إلا بواسطة هذا الدين، إلا بهذه الرسالة التي حملها الله إياها لتنشر النور والتوحيد والعدل في الأرض كما قال ربعي بن عامر رضي الله عنه لرستم قائد الفرس: إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام^(١).

ومن المَبَشِّرَات في السنّة: الانتصار على اليهود الذين يزعمون أنّهم القوّة التي لا تُقهر، والشوكة التي لا تُكسر، ستُكسر شوكتهم، وتُقهر دولتهم، وسينتصر عليهم المسلمون، هذا ما بَشَّرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديث صحاح متَّفَق عليها، رواها البخاري ومسلم عن ابن عمر^(٢)، وعن أبي هريرة^(٣)، «لا تقوم الساعة حتّى تقاتلوا اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتّى يختبئ اليهود وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا عبد الله، يا مسلم، هذا يهودي ورائي فتعال فاقتله، إلا شجر الغرقد فإنّه من شجر اليهود».

كان الشِّراح قديمًا ينظرون في هذا الحديث ويعجبون، اليهود يعيشون في ذمّة المسلمين، من أهل الذمّة، تحت حماية المسلمين؛ كيف يقاتلون المسلمين، حتّى كشف لنا الواقع والزمن ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم.

اليهود الذين عاشوا في دار الإسلام آمنين مطمئنين، ووصلوا إلى ما وصلوا إليه من مال، ومن ثروة، ومن مجد حين طردهم العالم ولفظهم لفظ النواة، طردتهم أوروبا، وطردتهم إسبانيا، لم يجدوا كهفًا

(١) رواه الطبري في تاريخه (٥٢٠/٣)، نشر دار التراث، بيروت، ط ٢، ١٣٨٧هـ.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٩٣)، ومسلم في الفتن (٢٩٢١).

(٣) رواه مسلم في الفتن وأشراف الساعة (٢٩٢٢).

يأوون إليه، ولا صدرًا حنونًا يلوذون به إلا في الوطن الإسلامي، في دار الإسلام، ثم حينما تمكّنوا بعض التمكّن قلبوا للمسلمين ظهر المجن، وأقاموا دولتهم في قلب بلاد الإسلام، وقلب بلاد العرب، أقاموا هذه الشوكة الدامية المدمية في قلب ديارنا، هؤلاء اليهود سنتصر عليهم، وسيكون كل شيء معنا، حتّى الحجر والشجر يقول: «يا عبد الله، يا مسلم، هذا يهودي ورائي فتعال فاقتله».

هل ينطق الحجر والشجر؟ بلسان المقال يتكلم؟ لا نستبعد من قدرة الله شيئًا، وما ذلك على الله بعزيز، هل يتكلم بلسان الحال؟ وكما قال العرب: قد يكون لسان الحال أفصح من لسان المقال. بمعنى أنّ كل شيء يدلّ عليهم، ويكشف عن اليهود، يكون مع المسلمين ضد اليهود.

حينما يأتيك النصر يكون كل شيء معك، وحينما يتخلف عنك النصر يكون كل شيء ضدك، كما حصل في معركة ١٩٦٧م، كانت معنا أسلحة تسدّ عين الشمس ما أغنت عنا فتيلًا، ولا أجّدت عنا شيئًا، لأنّها لم يكن وراءها الإيمان الذي يحرك اليد التي تستعملها، فتركنا دباباتنا، وتركنا آلاتنا وأسلحتنا الحربيّة غنيمة باردة لليهود، الأسلحة وحدها لا تقاوم كما قال الشاعر الطغرائي:

وعادة السيف أن يُزهى بجوهره وليس يعمل إلا في يدَي بطل^(١)

وكما قال أبو الطيب:

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا إذا لم يكن فوق الكرام كرام^(٢)

(١) ديوان الطغرائي ص ٣٠٧، لامية العجم، تحقيق د. علي جواد طاهر ود. يحيى الجبوري، نشر مطابع الدوحة الحديثة، ط ٢، ١٩٨٦م.

(٢) ديوان المتنبي ص ٣٩٠، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.



خيل من غير خيال، فرس من غير فارس، ماذا تغني؟

نحن سنتصر على اليهود، سيكون كل شيء معنا ضد هؤلاء اليهود، ولكن حينما ندخل المعركة تحت شعار العبودية لله، وتحت راية الإسلام، حتى يقول الحجر والشجر: «يا عبد الله يا مسلم». لم يقل له: يا مصري، ولا يا أردني، ولا يا فلسطيني، ولا يا سوري، ولا يا عربي، ولا يا قومي. بل يقول: «يا عبد الله، يا مسلم، هذا يهودي ورائي فتعال فاقتله».

متى نتصر على اليهود:

إذا دخلنا المعركة تحت شعار العبودية لله، وتحت راية الإسلام، فكل شيء معنا، الحجر والشجر، والملائكة والجن، وكل ما في الأرض والسماء سيكون في صفنا، لأننا مع الله فالله معنا، وإذا كان الله معنا، فلن نغلب، ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

أيها الإخوة، المبشرات من السنة كثيرة، وهناك المبشرات من التاريخ، والمبشرات من الواقع، والمبشرات من السنن، سنتحدث عنها في خطبة قادمة إن شاء الله.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.



الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

سينتصر الإسلام إن شاء الله، ثقوا واطمئنوا واملئوا أملاً ورجاءً في الغد؛ فإنَّ الله لن يضيع أجر العاملين، وإنَّ الله لن ينصر الباطل على الحق ما دام للحقُّ أهله ودعاته.

تجفيف منابع الإسلام:

صحيح أنَّ المكيدة كبيرة، وأنَّ المكر عظيم، وأنَّ أعداء هذه الأمة، وأعداء هذا الدين يكيِّدون له كيِّداً، الآن يصنعون ما يسمُّونه تجفيف المنابع، يريدون أن يجفِّفوا كل منبع ينشئ الشخصية المسلمة، ينشئ المسلمَ المعتزَّ بدينه، الغيورَ عليه، المتحمَّسَ له، ينشئ المعاني الإسلامية التي تخلق الهمة العالية، والإرادة القويَّة، والنيَّة الصالحة، والرغبة في التضحية والبذل في سبيل الله، والموت والشهادة في سبيل الله.

كل المعاني التي تُجرى على الباطل، وعلى اقتحام المعركة ضد الطواغيت أيًّا كانت أسماؤهم وعناوينهم، كل المعاني الإسلامية يريدون أن يجفِّفوا منابعها، هذا حتَّى يبقى الإسلام الذي يسير في الركاب، ويتمسَّح بالأهداب، ويُقبَّل الأعتاب، إسلام الموالد والبدع والخرافات، هذا هو الإسلام الذين يريدون له البقاء.

يريدون أن يستأصلوا المعاني الإسلامية القويَّة من كل المصادر التي تنشئ الأجيال الإسلامية الصادقة، في التعليم العام، في التعليم الجامعي، حتَّى في المساجد، فهم لم يكتفوا بهذا من الناحية النظرية،

ولكن أضافوا إلى ذلك شيئاً عملياً هو تفرغ هذه الأماكن كلها من العناصر الإسلامية الملتزمة فلا يبقى في المدرسة مسلم متحمس للإسلام، ولا يبقى في الجامعة مؤمن ملتزم واع مؤمن برسالة الإسلام، حتى المساجد فرغوها من كل داعية صادق مع الله ومع نفسه، هكذا سيطروا على المساجد.

إنهم ينشئون حرباً على هذا الدين، حرباً على كل ما يتصل بالإسلام القوي، الإسلام الصحيح، الإسلام الذي ينشئ الأمة المصطفاه، الأمة الوسط التي أخرجها الله للناس لتكون الشهيدة على البشرية، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

هذا ما يريدون أن يفعلوه، ولكن نحن مطمئنون أن الصحوة الإسلامية لن تموت أبداً إن شاء الله، الصحوة الإسلامية مستمرة وباقية، والله ﷻ سيحبط مكرهم، وييطل كيدهم، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ ﴿وَإَكِيدُ كَيْدًا﴾ ﴿فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْلُهُمْ رُؤِيًّا﴾ [الطارق: ١٥ - ١٧]، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، نحن مطمئنون إلى انتصار الإسلام، والبشائر معنا، قد تحدثنا اليوم عن بعضها، وموعداً إن شاء الله في الخطبة القادمة أو الخطب القادمة عن الحديث عن هذه المبشرات.

اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة؛ اللهم افتح لنا فتحاً مبيناً، واهدنا صراطاً مستقيماً، وانصرنا نصراً عزيزاً، وأتمم علينا نعمتك، وأنزل في قلوبنا سكينتك، وانشر علينا فضلك ورحمتك؛ إنك سميع قريب.



المبشرات بانتصار الإسلام من التاريخ

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زلنا في حديثنا عن المَبَشِّرَاتِ بِمُسْتَقْبَلِ الْإِسْلَامِ، المَبَشِّرَاتِ بِظُهُورِ هَذَا الدِّينِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، المَبَشِّرَاتِ بِانْتِصَارِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِدِينِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

تحدثنا عن المَبَشِّرَاتِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَتحدثنا عَنِ المَبَشِّرَاتِ مِنْ سَنَةِ رَسُولِ اللَّهِ، وَالْيَوْمَ نَتحدثُ عَنِ المَبَشِّرَاتِ مِنْ التَّارِيخِ، وَخِصُوصًا مِنْ تَارِيخِنَا الْإِسْلَامِيِّ الَّذِي يَبْدَأُ بِسِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسِيرَةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، مَرُورًا بِالْأُمُويِّينَ وَالْعَبَّاسِيِّينَ وَالْعُثْمَانِيِّينَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ، هَذَا التَّارِيخِ هُوَ ذَاكِرَةُ الْأُمَّةِ.

وَمَنْ قَرَأَ هَذَا التَّارِيخَ وَاسْتَقْرَأَ أَحْدَاثَهُ، يَجِدُ أَنَّ فِي هَذَا الْإِسْلَامِ قُوَّةَ ذَاتِيَّةٍ، قَادِرَةٌ عَلَى الصُّمُودِ وَالْمَقَاوِمَةِ، وَالْغَلْبَةِ فِي النِّهَايَةِ، مَهْمَا ادْلَهَمَّتِ الْخُطُوبُ، وَمَهْمَا تَفَاقَمَتِ الْكُرُوبُ، وَمَهْمَا اشْتَدَّتِ الْأَزْمَاتُ؛ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا فِي النِّهَايَةِ سَالِمًا؛ بَلْ مُنْتَصِرًا، هَذَا مَا حَدَّثَنَا إِيَّاهُ التَّارِيخُ.

وَذَلِكَ أَنَّ فِي الْإِسْلَامِ قُوتَيْنِ لَا تَوْجِدَانِ فِي غَيْرِهِ:



قوة الإسلام النظرية:

القوة الأولى قوّة نظريّة، أنّ الإسلام يحتوي من الأحكام والأصول والمبادئ، ما يفي بحاجات البشريّة، ومطالب الإنسانيّة في كل مكان، وفي كل زمان، وفي كل حال، لا تستطيع أي عقلية من العقليات أن تهيب هذا؛ إلا إذا كان ذلك من شرع ربّ حكيم عليم، يعلم ما تحتاج إليه الخليقة في كل عصر!

وهذا ما وجدناه، دخلت الشريعة الإسلاميّة الأقطار المختلفة التي كانت تسكنها حضارات متعددة: حضارة الفراعنة، وحضارة الفرس، وحضارة الروم، وحضارة الهند، وحضارة بابل وكلدان، دخل الإسلام البلاد التي سكنتها كل هذه الحضارات؛ فاستطاع أن يعالج مشكلاتها بتشريعاته وتوجيهاته، وبأحكامه ووصاياه، وكان عنده لكل مشكلة حل، ولكل داء دواء، ولكل حادث حديث.

هذا ما يقوله التاريخ، أنّ الرسالة الإسلاميّة والشريعة الإسلاميّة، كان فيها من السعة والمرونة؛ ما استطاعت أن توفي به ما تتطلبه البشريّة خلال تطورها التاريخي، حتّى في عصور التقليد والعصبية المذهبية؛ نشأ في ظلال المذاهب أئمة وعلماء كبار استطاعوا في ضوء اجتهاد محدود أن يضعوا لكل مشكلة حلًّا ضمن مذاهبهم، وأحيانًا يخرجون عن مذاهبهم، وأحيانًا يحتالون بحيل شرعيّة؛ من أجل الخروج من ضيق المذهب إلى الساحة الواسعة، هذه قوّة أولى.

قوة الإسلام في أبنائه:

والقوة الثانية أنّ هذه الأمة أمة ولود، وأنّ هذا الإسلام إسلام

خلاق، إسلام مُنْجَب يستطيع في كل حين أن يهَيئ من الأفراد: من العباقرة، ومن الأبطال، ومن المجددين، ومن الصالحين والمصلحين، كما يستطيع أن يلد من الشعوب من يحمل رسالة الإسلام، هذا ما نقرؤه في التاريخ.

ونحن - لكي نفهم هذا - في حاجة إلى أن نحسن فهم تاريخنا، فنحن للأسف قد ابتلينا في تاريخنا بمصيبتين، وببلويين: البلوى الأولى في كتابته وتسجيله، والبلوى الثانية في تفسيره وتأويله.

مشكلة كتابة التاريخ الإسلامي:

كُتِبَ تاريخنا للأسف بطريقة اختلط فيها السمين بالغبث، والحق بالباطل، والحابل بالنابل، حتَّى إنَّنا نجد إمامًا مثل الإمام الطبري الذي يُعد شيخ المؤرخين كما يُعد شيخ المفسرين قال: إنَّه جمع في تاريخه كل ما نُقل إليه دون تمحيص ولا تحقيق^(١).

في كتبه الحديثية، مثل كتابه (تهذيب الآثار)، وفي كتبه الفقهيَّة، مثل كتابه (اختلاف الفقهاء)، مَحَّصَ وحقَّق، ووضع الأسانيد على المشرحة أمامه؛ فحللها ونقد الروايات، وقبل الصحيح ورد الضعيف، ولكنَّه لم يفعل ذلك في التاريخ، لماذا؟ قال: لأنَّ التاريخ لا نقصد به الاحتجاج^(٢). يعني أنَّا لا نقصد أن نحتج به على أن هذا الأمر حلال أو حرام، أو واجب أو مندوب، ومن أجل هذا لم يحقق ولم يمحص، وقال: أدينا إليك كما أدى إلينا^(٣). كما يقول العلامة محب الدين الخطيب: إنَّه يفعل

(١) تاريخ الطبري (٧/١، ٨).

(٢) تاريخ الطبري (٧/١).

(٣) تاريخ الطبري (٨/١).

ما يفعله وكيل النيابة في تحقيق الحوادث، يجمع كل ما يُقال، وكل ما يصل إليه ثم يفرز بعد ذلك.

حاجتنا إلى إعادة كتابة التاريخ:

هكذا وجدنا في تاريخ الطبري روايات عجيبة وغريبة، ولا تتفق مع المنطق، ولا مع تسلسل الحوادث، ولا مع طبيعة الأمة في خير قرونها؛ فترتب على هذا التهاون والتساهل - في تمحيص وتحقيق الأسانيد - أن شُوِّهت صورة الأمة! جمع الطبري والمؤرخون من بعده روايات تظهر عصر الصحابة وعصر التابعين؛ كأنه عصر كله ظلم وظلام، هناك روايات مبالغ فيها لا تمثل الحقيقة.

ولذلك كل ما يفعله السادة الذين ينشغلون بالتاريخ أنهم ينقلون لك من تاريخ الطبري: الجزء كذا، صفحة كذا، طبعة كذا. وهذا هو التحقيق العلمي لديهم! ما قيمة هذه الرواية التي ذكرها الطبري؟ لا نعرف، هذا أمر يحتاج إلى منهج آخر هو منهج المحدثين الذين يمحسون الأسانيد والروايات.

ولهذا نحن في حاجة إلى أن يكتب التاريخ على طريقة المحدثين من جديد، ومن حسن حظنا أن الطبري وأمثاله ذكروا الروايات بأسانيدها، فكم ترجع إلى تاريخ الطبري ويقول لك: هذه الرواية عن فلان. فإذا نظرت إلى فلان هذا في كتب الرجال والجرح والتعديل قالوا: هذا هالك، هذا تالف، هذا محترق لا قيمة لرواياته، إنه دجال التاريخ. نحن في حاجة إلى دراسة التاريخ، هذا من ناحية.

سوء تفسير أحداث التاريخ:

أصيب تاريخنا في العصر الحديث ببلوى أخرى، وهي بلوى التفسير

والتأويل، هناك أناس يريدون أن يفسروا التاريخ على هواهم، وحسب فلسفاتهم، فالقومي يريد أن يجعل التاريخ قوميًا، والماركسي يريد أن يجعل التاريخ ماركسيًا، يقسم الصحابة إلى يمين ويسار، أبو بكر وعثمان في اليمين، وعلي وأبو ذر في اليسار، ويقيم معركة بين اليمين واليسار ما سمع بها الصحابة، ولا عرفها المسلمون، وهكذا!

ونجد من يريدون أن يحولوا أبطال المسلمين؛ كنور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبي إلى أبطال قوميين، أنهم قوميون عرب، وما خطر ببالهم نصره العرب، إنما خطر ببالهم نصره الإسلام.

شمس الإسلام لا تغيب:

نحن في حاجة إلى أن نقف وقفة لنفقه تاريخنا، ولو فقها تاريخنا سنجد أن هذا التاريخ حافل بالمبشرات، هذا التاريخ يدلنا على أن هذه الأمة أمة ولود، أمة منجبة يحمل رايتها شعب من الشعوب، فإذا تراخى هذا الشعب هيأ الله شعبًا آخر يحمل الراية، ويقوم بعبء الرسالة.

قام العرب في العصور الأولى بحمل رسالة الإسلام إلى العالم، وساعدهم من دخل في الإسلام مبكرًا؛ مثل الفرس في آسيا، والبربر في إفريقيا، ولما حدث التراخي من هؤلاء هيأ الله شعوبًا أخرى، هيأ الله الأتراك، هيأ الله السلاجقة الذين قاموا بدورهم في نصره الإسلام ومقاومة الروم: طغرل بك، ألب أرسلان، ملك شاه، هؤلاء الأبطال.

رأينا ألب أرسلان^(١) يقف أمام الروم بجيش إسلامي قوامه خمسة عشر ألف جندي، وجيش الروم مائة ألف، ولكن الله نصر هذا القائد

(١) انظر: ترجمته في سير أعلام النبلاء (٤١٤/١٨ - ٤١٨)، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط وآخرين، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

الَّذِي قَالَ لَجُنْدِهِ عِنْدَ الْمَعْرَكَةِ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصُرَ فَلْيَنْصُرْ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْقَى يَطْلُبُ النِّصْرَ أَوْ الِاسْتِشْهَادَ فَلْيَبْقَ، لَيْسَ هُنَا سُلْطَانٌ يَأْمُرُ وَيَنْهَى! تَرَكَ لَهُمْ حُرِيَّةَ الْإِخْتِيَارِ؛ فَبَقُوا جَمِيعًا، فَلَبَسَ الْبِيَاضَ وَتَحَنَطَ، أَيُّ شَابِ هَذَا الْبِيَاضَ بِالرَّائِحَةِ الطَّيِّبَةِ، وَقَالَ: إِذَا قُتِلْتُ فَهَذَا كَفْنِي. وَدَخَلَ مَعْرَكَةً مِنْ مَعَارِكِ التَّارِيخِ الْمَعْرُوفَةِ، وَنَصَرَهُ اللَّهُ فِيهَا.

بَعْدَ ذَلِكَ كَانَ الْأَتْرَاكُ الْعُثْمَانِيُّونَ الَّذِينَ وَصَلُوا إِلَى أَوْرُوبَا وَطَرَقُوا أَبْوَابَ فِينَا عِدَّةَ مَرَّاتٍ، وَظَلَمُوا فِي أَوْرُوبَا قَرُونًا خُصُوصًا فِي الْبَلْقَانِ. هَكَذَا يَحْدِثُنَا التَّارِيخُ أَنَّ الْإِسْلَامَ لَا تَغِيبُ شَمْسُهُ أَبَدًا، تَغْرُبُ شَمْسُهُ فِي مَكَانٍ لِتَشْرُقَ فِي مَكَانٍ آخَرَ، مَا غَابَتْ شَمْسُ الْإِسْلَامِ أَبَدًا، إِذَا تَخَلَّى شَعْبٌ أَوْ تَرَخَى أَوْ ضَعُفَ؛ ظَهَرَ شَعْبٌ آخَرَ يَحْمِلُ الرَّايَةَ، فَمَا سَقَطَتْ رَايَةُ الْإِسْلَامِ قَطُّ! نَحْنُ فِي حَاجَةٍ إِلَى أَنْ نَقْرَأَ التَّارِيخَ؛ لِنَرَى السَّلْسَلَةَ مُوَصُولَةً وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

رَايَةُ الْإِسْلَامِ لَا تَسْقُطُ:

خَرَجَ الْإِسْلَامُ مِنَ الْأَنْدَلُسِ بَعْدَ أَنْ أَقَامَ فِيهَا ثَمَانِيَةَ قُرُونٍ، وَصَنَعَ فِيهَا حَضَارَةً عَظِيمَةً، جَمَعَتْ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، وَبَيْنَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَلَكِنْ الْإِسْلَامُ اسْتَطَاعَ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى أَوْرُوبَا مِنْ مَنفَذٍ آخَرَ: مِنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، دَخَلَ عَلَى يَدِ الْأَتْرَاكِ الْعُثْمَانِيِّينَ إِلَى أَوْرُوبَا، طُرِدَ مِنْ جَنُوبِ أَوْرُوبَا لِيَدْخُلَ مِنْ شَرْقِ أَوْرُوبَا، وَهَكَذَا الْإِسْلَامُ لَا تَسْقُطُ رَايَتُهُ!

جَاءَ الصَّلِيبِيُّونَ بِقَضِيَّتِهِمْ وَقَضِيَّتِهِمْ، بِثَلَاثِهِمْ وَصَلِيْبِهِمْ فِي حَمَلَاتٍ مُتتَالِيَةٍ، تَحْتَ دَعَاوَى شَتَّى؛ لِيَنْقُذُوا قَبْرَ الْمَسِيحِ، لِيَقْفُوا مَعَ الْحِجَابِ النَّصَارِيِّ، الَّذِينَ يَظْلِمُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، وَمَا ظَلَمَ الْمُسْلِمُونَ حَاجًّا نَصْرَانِيًّا؛ بَلْ

هؤلاء الصليبيون كانوا أظلم الناس، ما دخلوا قرية إلا أفسدوها، وجعلوا أعزة أهلها أذلة، وسفكوا الدماء، وهتكوا الأعراض كلما دخلوا قرية، حتى من قرى النصارى، فما بالك بقرى المسلمين، إذا دخلوا قرية إسلامية قتلوا أهلها، وسالت الدماء إلى الركب، هذا هو شأن هؤلاء النصارى!

انتصار الإسلام في حروب الردة:

لكن الله تبارك وتعالى أنشأ من هذه الأمة رجالاً يدفعون هؤلاء، وهذا هو شأن الإسلام منذ حروب الردة، عندما ارتد العرب في عهد أبي بكر، واتبعوا الأنبياء الكذبة والكهنة الدجاجلة للقبائل، وقال قائلهم: كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر!

منع أغنياؤهم الزكاة، وقالوا: نصلي ولا نزكي. وقف أبو بكر ضد هؤلاء، هيأ الله هذا الرجل الرقيق الخاشع البكاء، الذي تذرّف عيناه الدموع كلما قرأ القرآن، أو دخل في الصلاة، وقف كالليث الهصور، وقف يزار ويهدر ويبرق ويرعد، وقال: والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه^(١). وأبى إلا أن يقاتل المرتدين ومانعي الزكاة معاً، وبعث بجيوشه: أحد عشر جيشاً عليها أبطال المسلمين؛ لتحارب المرتدين ومانعي الزكاة.

ونصر الله أبا بكر، ونصر قادة أبي بكر، نصرهم جميعاً في أخطر معارك التاريخ، لم تكن معارك هينة ولا سهلة، لم تكن بيضة مقشورة، ولم تكن غنيمة باردة، بل قاسوا الصعاب، وذاقوا الأمرين حتى انتصروا.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٤)، ومسلم في الإيمان (٢٠)، عن أبي هريرة.

ثم هيأ الله هؤلاء المرتدين الذين عادوا إلى حظيرة الإسلام؛ ليكونوا في مقدمة المقاتلين في فتح فارس والروم، وكانوا من أعظم الناس حماسًا وإقدامًا كأنما يُكفرون عن خطاياهم في الردة!

انتصار الإسلام على الحملات الصليبية:

انتصر الإسلام منذ فجره، وانتصر الإسلام حينما جاء هؤلاء الصليبيون، جاء الصليبيون في حملات تسع إلى ديار الإسلام، جاؤوا والمسلمون مختلفون، وما أوتي المسلمون إلا من تفرقهم واختلافهم، جاؤوا وكل أمير جعل نفسه كأنما هو الخليفة، كل همه أن يحتفظ بإمارته الصغيرة، ولو كان ذلك على حساب إخوانه، ونسي هؤلاء أن الملك لا يمكن أن يدوم بهذه الإمارات الصغيرة، إنما يدوم الملك بالوحدة، وبالتكافل، وبالتعاون، وبالتكاتف، هذا ما يقوله الواقع، وما يقوله التاريخ، وما يقوله القرآن والسنة.

جاء هؤلاء والمسلمون مختلفون متفرقون وخصوصًا على مستوى القادة والحكام، هؤلاء الذين شغلوا بترفهم وسرفهم، وشهواتهم ونسائهم وجواريتهم: عن أمر الإسلام والمسلمين؛ حتى هيأ الله رجالاً من أمثال عماد الدين زنكي، ونور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبي.

لم يكن هؤلاء الرجال من العرب، كانوا من السلاجقة الأتراك ومن الأكراد، ولكن الإسلام لا يعرف التفرقة العنصرية، لا يعرف الجنسيات، المسلم هو ابن الإسلام أيًا كان حسبه ونسبه، وقومه وجنسه، هؤلاء وجدوا أنفسهم ملزمين بالدفاع عن الإسلام.

وكل من يريد أن يدافع عن الإسلام أمام هجمات أعدائه لا بد أن يتمثل أمرين أساسيين:

لا نصر بغير إيمان:

الأمر الأوّل هو أنّ الإيمان شرط النصر، فلا نصر بغير إيمان، لا بدّ أن يكون القائد مؤمناً كل الإيمان، وأن ينفخ روح الإيمان في جنوده، لا بدّ أن تكون الجيوش تحارب من أجل رسالة، ومن أجل هدف كبير، أمّا أن تقاتل من أجل مغنم أو من أجل أرض فقط؛ فهذا لا يكفي!

ولذلك كان هؤلاء الأبطال مؤمنين، واستطاعوا أن ينقلوا هذا الإيمان إلى جنودهم، وأن يكونوا جيوشاً من المؤمنين، بدأ ذلك عماد الدين زنكي على نطاق ضيق، وبدأ المقاومة للصليبيين، ثمّ ورث ذلك عنه ابنه نور الدين محمود، الذي يُلقب بالشهيد وهو لم يُستشهد، ولكنّه عاش عاشقاً للشهادة، ولم ينلها كما نالها أبوه، ولكنّه سُمي الشهيد لذلك.

نور الدين محمود نموذج القائد المؤمن:

نور الدين محمود أحد أبطال التاريخ الإسلامي^(١)، يُشبّه بالخلفاء الراشدين في عدله وزهده وتقواه، وحسن سيرته، وبطولته وشجاعته، وقيامه في رعيته بكل ما أمر الله تعالى به، كان نموذجاً من الرجال المؤمنين بهذا الدين، حتّى إن بعض الشيوخ وسّطه بعض رجال حاشيته؛ ليعيد نظاماً ألغاه، وهو أخذ الناس بالظنة لا بالبينة الشرعيّة، وضربهم وإيذائهم إلى حد القتل أحياناً!

ألغى نور الدين هذا؛ فتوسط إليه بعض الشيوخ بواسطة بعض رجال الحاشية: أن يعيد هذا النظام؛ حتّى يعيد الأمن إلى البلاد، وحتّى يضرب

(١) راجع: الرجل والتجربة للدكتور عماد الدين خليل، عن نور الدين محمود، نشر مؤسسة

الرسالة، بيروت.

بيد من حديد على هؤلاء المجرمين، فكان ردُّه على هذا الشيخ عمر الملا، قال له: إِنَّ الله خلق الخلق، وهو أعلم بما يصلحهم، وقد فرض لذلك شريعة عادلة؛ أفتريدني أن أتجاوز شرع الله تعالى برأي منك أو مني؟! كأنما أنا بذلك أفضل عقلي على علم الله وَعَجَل!

انظروا إلى هذه الفلسفة، وإلى هذا الفكر النير المستقيم، رفض وقال: من لم يصلحه الشرع، فلا أصلحه الله.

وجاء هذا الرد إلى الشيخ عمر الملا فقال: انظروا خطاب الزاهد إلى الملك، وخطاب الملك إلى الزاهد. ما قاله الملك كان ينبغي أن يقوله الشيخ الصوفي الزاهد، ولكنّه لم يقله، واستقام النَّاس بالشرع وحده، واستتب الأمن بدون تجاوزات.

كذلك كان الذين قبله يفرضون ضرائب جائرة على النَّاس فرفضها، وقال له قواده: فمِمَّ نعطي الجنود؟ ومم ننفق على السلاح؟ فقال لهم: يقدر الله الخير. وفعلاً رفض الضرائب الظالمة؛ فتضاعفت موارد البلاد، النَّاس الَّذي يكتمون ما عندهم من أموال أظهروا ما عندهم، وجاءت الضرائب العادلة بأكثر مما يريد.

هذا نور الدين محمود الَّذي عاش طوال عمره للجهاد في سبيل الله، وكان من أهل العلم يقرأ الحديث، ويقرأ التفسير، ويقرأ الفقه، ويقدم العلماء والدعاة على الأمراء في مجالسه.

روح الإسلام حين تسري:

وفي يوم من الأيام كان يروي حديثاً مسلسلاً بالابتسام، أي أنّ النبي ﷺ في آخر الحديث تبسم، فالصحابي الَّذي يروي الحديث يرويه

ثمَّ يتبسم، والتابعي الذي يروي الحديث عن الصحابي يرويه ثمَّ يتبسم، وهكذا يفعل تابع التابعي، وكل راو يروي الحديث من بعده يرويه قولاً وفعلاً، يروي الحديث ويتبسم حتَّى تكتمل الرواية، ويكون الحديث مسلسلاً بالابتسام، فلما روى نور الدين محمود هذا الحديث اكتفى برواية الكلام، فقيل له: تبسم حتَّى تكتمل الصورة المروية. فقال لهم: لا أستطيع. قالوا له: لماذا؟ قال: كيف أبتسم وثغر من ثغور المسلمين محاصر؟!^(١) وكان المسلمون محاصرين بدمياط في مصر بالصليبيين.

هذه الروح هي التي تعيش من أجل الأمة، وترى وحدة المسلمين في كل مكان، وهو لم يكن قد استولى على مصر بعد، لكنَّه يرى أن مصر وفارس والمغرب وكل بلاد الإسلام: كلها بلد واحد، وكلها أمة واحدة، والمسلمون يسعى بدمتهم أديانهم وهم يد على من سواهم، كيف أبتسم وثغر من ثغور المسلمين محاصر؟!

هكذا كان نور الدين محمود، وهو الذي مهد الطريق لتلميذه صلاح الدين الأيوبي، فأستاذ صلاح الدين هو نور الدين، وهو من هو قدرًا ومكانة في الإسلام، ونحن في حاجة إلى أن نفرّد خطبة لنور الدين محمود، ونفرد مثلها لصلاح الدين، نحن في حاجة إلى أن نتعرف على أبطالنا.

غرس نور الدين محمود هذا الغرس في الأمة، وجاء بعده صلاح الدين الذي فتح الله على يديه الفتوح، فقطف ثمرات هذا الغرس في معركة حطين الشهيرة، وفي معركة بيت المقدس العظيمة، هكذا وفق الله صلاح الدين إلى انتزاع بيت المقدس من الصليبيين؛ بعد أن ظل تسعين سنة وهو أسير في أيديهم، هذا صنّع الإسلام، الإسلام يصنع الرجال

(١) حُسن المحاضرة للسيوطي (٢/٢٨٩)، نشر دار إحياء الكتب العربية، ط ١، ١٣٨٧هـ.

واحدًا بعد الآخر، ينجب الأبطال، ما عقت أرحام النساء أن تنجب الأبطال في عصر من العصور!

أثر تشويه التاريخ:

كثير منا للأسف يعتقد أن التاريخ الإسلامي كله ظلمات بعضها فوق بعض، وهذا ليس بصحيح، التاريخ الإسلامي فيه نقاط مضيئة، بعض الناس يعتقد أن الشريعة الإسلامية لم تطبق إلا في عهد الراشدين، وبعضهم يقول: حتى عهد الراشدين ليس سالمًا، كان عهد أبي بكر عهد حروب مع أهل الردة، وعهد عثمان عهد فتن، وعهد علي عهد حروب أهلية، فلم يبقَ إلا عُمر، وعمر فلتة! ومعنى هذا أن الشريعة لم تُطبق طوال التاريخ، وهذا كذب، هذه الشريعة كانت هي أساس الفتوى، وأساس القضاء، وأساس السلوك طوال أربعة عشر قرنًا!

انتصار الإسلام على التتار:

وكذلك جاء التتار، الصليبيون جاؤوا من الغرب، والتتار جاؤوا من الشرق، اجتمعت النكبتان على الأمة الإسلامية، ما كادت الأمة الإسلامية تقارب أن تنتهي من الحروب الصليبية؛ حتى ابتليت بهؤلاء التتار، هذا الجراد المنتشر، هؤلاء الذين كانوا كالريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم، سقطت أمامهم البلاد الإسلامية بلدًا بلدًا، سقطت الممالك الشرقية للدولة الإسلامية مملكة مملكة، حتى وصلوا إلى عاصمة الخلافة والدولة الإسلامية: بغداد دار السلام، وظلوا فيها أربعين يومًا يعملون السيف؛ حتى سالت الدماء أنهارًا! قال المؤرخون: كانت الدماء تسيل من الميازيب^(١).

(١) انظر: البداية والنهاية (٣٥٩/١٧)، نشر دار هجر، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

كانت أنابيب الصرف على السطوح لا تنزل مطراً، ولكن تنزل دماء من كثرة ما ذُبِح من النَّاس، واسود نهر دجلة من كثرة ما رُمي فيه من الكتب: كتب الثقافة الإسلاميَّة، والعلوم الإنسانيَّة، والحضارة العظيمة؛ من هذه الأُمَّة الغازية؛ التي لا تعرف قيمة العلم والثقافة.

سقطت بغداد سنة (٦٥٦هـ)، ساعد في ذلك بعض الخونة، ولا يؤتى المسلمون أبداً إلا من الخونة، الخونة الذين يبيعون أنفسهم لأعدائهم من أجل منصب، من أجل دراهم أو دنانير، من أجل إمارة أو سلطة يأخذها، أو شيء دنيوي حقير يبيع دينه، ويبيع شرفه، ويبيع أمته، ويشتريها بهذا الشيء الرخيص، بئس ما يشترون.

جاء التتار ففعلوا ما فعلوا، ثمَّ أرادوا أن يزحفوا إلى مصر، وبعث قائدهم إلى القائد المملوكي الذي كان يرأس مصر في تلك الفترة سيف الدين المظفر قطز، بعث إليه برسالة هائلة ترغي وتزبد، وتبرق وترعد، وتتوعد وتهدد: نحن الذين قتلنا العباد، ونحن الذين حكمنا البلاد، ونحن الذين لم يقف أمامنا أحد، ونحن الذين فعلنا وفعلنا. هكذا ليلقي الرعب في قلب قطز وقواده.

ولكن قطز ما كاد يقرأ الرسالة حتى مزقها أمام قواده ورجاله حتى يقوي قلوبهم، ويعلموا أنه لا يبالي بهؤلاء، وجاء إلى الرسولين الذين حملا الرسالة فأمر بضرب أعناقهما، مع أن السنة الإسلاميَّة أن الرسل لا تُقتل، ولكنه أراد أن يبلغ رسالة إلى قائد التتار، يقول له: إنَّ المسلمين لا يبالون به ولا بتهديداته، وسيقابلونه في يوم مشهود. هذا ما أراد أن يقول له الرجل الصالح قطز!

وفعلًا كان لا بدَّ من اللقاء، تهيأ النَّاس، هَيَّئُوا نَفْسِيًّا، وَهَيَّئُوا عَسْكَرِيًّا،

وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام: سلطان العلماء يدعو قطز إلى التوبة، وإلى الإقبال على الله، وإلى الخروج من المظالم، وإلى بيع ما عند القواد من الذهب والحلي، وإنفاق ذلك في شراء السلاح ومقابلة الأعداء. وفي يوم من أيام الله، في يوم من أيام التاريخ، في الخامس والعشرين من رمضان سنة (٦٥٨هـ)، أي بعد سنتين من سقوط بغداد كان اللقاء، كانت الجيوش الإسلاميّة المصرية بقيادة قطز في مواجهة الجيوش التتارية، في أوّل الأمر انهزم المسلمون، فقد كانت سمعة التتار تُرعب، وكان المثل السائر يقول: إذا قيل لك: إنّ التتار قد انهزموا؛ فلا تصدق! نفس الذي يُشاع الآن عن أسطورة القوّة التي لا تُقهر والدولة التي لا تُكسر، هكذا كانوا يُشيعون عن التتار، ولكن الله سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ غيّر الحال.

أبى هذا الرجل الصالح قطز أن يبدأ المعركة إلا بعد أن ينتهي المسلمون من صلوات الجمعة، قال لمن أراد التعجل: انتظروا حتّى تفيء الظلال، وتهب الرياح، ويصلي المسلمون الجمع في مساجدهم، ويدعوا الله لنا بالنصر، فعسى أن يكون في المسلمين من أهل الصلاح من يؤمّن على هذا الدعاء ويستجيب الله دعاءه.

وفعلًا بدأت المعركة، وانهزم من انهزم في بداية الأمر، فهاج الرجل حينما رأى إدبار المسلمين من حوله، وانهزامهم عنه؛ فألقى بخوذته في الأرض، وصاح صيحته التاريخيّة الشهيرة: وإسلاماه، وإسلاماه، وإسلاماه! الإسلام في خطر! ما كاد يقول هذه الكلمة حتّى تغير اتجاه الرياح، فإذا بالذين ولوا هاربين يعودون، وإذا بالجُبناء يتشجعون، وإذا بالمُترددين يثبتون، وإذا بالمُحجمين يُقدمون، وإذا بالمسلمين يُعملون سيوفهم في أعدائهم، ويهجمون هجمة الأسود الكاسرة؛ حتّى كان النصر

لهم، وانتصر المسلمون في إحدى المعارك الحاسمة من معارك التاريخ هي معركة (عين جالوت)، القرية الفلسطينية التي وقعت عندها هذه المعركة.

الانتصار المعنوي:

ويشاء الله أمراً آخر، هؤلاء العتاة من التتار الذين قدموا من شرق آسيا، ولم يقف أمامهم أحد، وكانت ديانتهم ديانة وثنية، كان هناك من يتنافس على أن يحولهم إلى دينه: البوذيون، والنصارى، والمسلمون، وشاء الله ﷺ أن يستجيبوا لدعوة الإسلام، وأن يدخلوا في الإسلام مختارين طائعين، وهذا ما يسجله التاريخ لأول مرة أن يدخل الغالب دين المغلوب، ويؤمن به، في أول الأمر لم يكن إسلامهم حسناً، ثم حسن إسلامهم بعد، وكان لهم دور في نصرته الإسلام.

في الأمة طاقات كامنة:

هذا كله مما حمله التاريخ، التاريخ يقول لنا: إن في الأمة قوى مذكورة، وطاقات مكنونة تحتاج إلى من يفجرها، إذا وجدت الأمة من يفجرها؛ فإنها تستطيع أن تفعل الكثير، إذا وجدت القيادة كما وجدتتها في عماد الدين، ونور الدين، وصلاح الدين، وسيف الدين قطز، والظاهر بيبرس، وغيرهم، إذا وجدت الأمة من يقودها باسم الله تصنع البطولات؛ بل تصنع ما يشبه المستحيلات، وهذا ما جربناه طوال التاريخ.

في الأمة هذه القوى، وأظهر ما تكون هذه القوى في حالات الشدائد، عندما تشتد الكروب والأزمات بالأمة: تظهر هذه القوة المخبوءة، وتظهر هذه الطاقة المكنونة، تتفجر حيث لا يتوقع الناس تفجرها، هذا ما رأيناه، تاريخ الأمة مليء بهذا كله.



معارك التحرير من الاستعمار:

وفي التاريخ المعاصر والحديث، نجد أنّ الذين قادوا الأمة في معارك التحرير من الاستعمار هم العلماء، والأبطال الدينيون، والحركات الدّينيّة؛ كما شهد بذلك المؤرخون المعاصرون، مثل برنارد لويس، يقول: إنّ الحركات الدّينيّة كانت وراء كل حركات الجهاد والتحرير في العالم الإسلامي. وهذا صحيح.

حتى أتاتورك الذي حوّل تركيا إلى بلد علماني لا ديني، وتنكر للإسلام، لم تكن انتصاراته إلّا بفضل الإسلام، كان الذين يقاتلون معه يقاتلون باسم الإسلام، وكان المسلمون يكبرون ويهملون كلّما انتصر، وكانوا يسمونه (الغازي مصطفى كمال)، وفي إحدى انتصاراته كتب أمير الشعراء أحمد شوقي إحدى قصائده الشهيرة:

الله أكبر كم في الفتح من عجبٍ يا خالد التُّرك جدّد خالد العرب^(١)

ما كان يعلم ما يُضمّره هذا الرجل؛ حتّى فوجئ بعد ذلك بأنه ألغى الخلافة، وألغى الشريعة، وألغى التقاليد الإسلاميّة، وألغى إسلاميّة تركيا، فقال قصيدته الأخرى ينعي الخلافة:

عادت أغاني العُرسِ رجَع نواحٍ ونُعتِ بين معالم الأفرحِ
كُفّنت في يوم الزّفافِ بثوبهِ ودُفنت عند تبلُّج الإصباحِ
ضجّت عليك مآذنٌ ومنابرٌ وبكت عليك ممالكٌ ونواحٍ
الهندُ والهِةُ ومصرٌ حزينَةٌ تبكي عليك بمدمعٍ سَحّاحِ^(٢)

(١) انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (٥٩/١).

(٢) أحمد شوقي، الأعمال الشعرية الكاملة (١٠٥/١ - ١٠٦).

دُفنت العروس في ثوب زفافها، هذه العروس هي الخلافة؛ يوم ظن
النَّاس أنها انتصرت فإذا بها تُلغى.

المجددون والمصلحون:

التاريخ الحديث يقول لنا: إنَّ الإسلام، إنَّ الإيمان، إنَّ قوَّة الروح
الإسلامية كانت هي وراء كل معارك النصر في العصر الحديث: في
إندونيسيا، وفي مصر، وفي الجزائر، وفي كل هذه البلدان، معركة
الجزائر مع الفرنسيين كان الإسلام وراءها، الإسلام هو صانع القوَّة، هو
الَّذي يصنع الروح التي تمسك بالسلاح، بغير هذا لا تستطيع الأمة أن
تفعل شيئاً.

وشيمةُ السيف أن يُزهى بجوهره وليس يعملُ إلَّا في يديِّ بطل^(١)

الإسلام ولود مُنجب، أنجب الأبطال، وأنجب المجددين
والمصلحين في كل عصر، إذا نظرنا إلى ميدان الإصلاح والتجديد منذ
عصر عمر بن عبد العزيز نجد في كل عصر يأتي مجدد، إذا كانت الأمة
تحتاج إلى مجدد: حاكم يوجد الحاكم الصالح، وإذا احتاجت الأمة إلى
فيلسوف: يوجد مثل الإمام الغزالي، وإذا احتاجت إلى مجدد صالح
يوجد مثل الشيخ عبد القادر الجيلاني، وإذا احتاجت إلى مجدد بطل
يوجد مثل نور الدين محمود، وهكذا الأمة أمة ولود، وهذا الإسلام قادر
على الإنجاب.

ولذلك نحن نقول: إذا نظرنا إلى تاريخنا الإسلامي نجد أنه مليء
بالمبشرات، يملؤنا ثقة بأنَّ الغد لهذا الدين، وأنَّ النصر لهذه الأمة، وأنَّ

(١) ديوان الطغرائي ص ٣٠٧.



المستقبل للإسلام، ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

الكيد بالسودان وضرورة الوحدة:

أتابع هذه الأيام بعقل مفتوح وقلب مجروح ما يُدبّر لإخوتنا في السودان الشقيق، أتابع هذا المكر الكُبَّار، وهذا الكيد العظيم الذي يُكاد للسودان، ماذا يُراد بهذا البلد الحبيب؟ وماذا جنّى السودان؟

كل جناية السودان تتلخص في جريمة واحدة، هي الجريمة الكبرى التي لا تعادلها ولا تدانيها جريمة! أنَّ السودان اختار الإسلام منهاجاً لحياته، رضي بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمُحمَّد رسولاً، وبالقرآن دستوراً، وبالشريعة منهاجاً لحياته كلها يرجع إليها ويحتكم لها، لأنَّه وجد أنَّه لا تمام للإيمان إلاَّ بهذا، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وكما قال عَجَلٌ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

هذا هو ذنب السودان، أنَّهُم قالوا: ربنا الله! كيف يقولون: ربنا الله. وهناك أرباب في هذا الكون يجب أن يخضعوا لها، قبل أن يخضعوا لله ولشرع الله ولحكم الله؟! كيف يخرجون عن الطاعة؟ كيف لا يسيرون في الركاب، ولا يتمسحون بالأعتاب، ولا يحرقون البخور بين يدي أولئك الأرباب؟! هذا هو ذنب السودان الأعظم!

دعوكم من الدعاوى التي تُقال، فوالله هذه الدعاوى كلها لا قيمة لها،

ولو أنّ عمر البشير غير جلدته، وبدل وجهته، وحول قبلته فلم يتجه إلى البيت الحرام، ولم يتجه إلى شريعة الإسلام، واتجه هناك نحو واشنطن أو لندن أو غيرهما - لقالوا له: أهلاً وسهلاً ومرحباً. لصفقوا له، لفتحوا له الأبواب، وهيئوا له الأسباب، وغفروا له كل الزلات إن كان هناك زلات.

جريمة السودان أنه اختار الإسلام:

جريمة السودان الأولى والكبرى أنه اختار الإسلام، كيف يختار الإسلام بدون إذن؟ قديماً قال فرعون للسحرة حينما آمنوا، وخروا سجداً وقالوا: ﴿أَمَّا بَرِّ هَرُونَ وَمُوسَى﴾ [طه: ٧٠]. قال فرعون: ﴿أَمَنَّمُ لَهُ، قَبْلَ أَنْ أَدْنَ لَكُمْ﴾ [طه: ٧١]. تؤمنون من غير إذني؟! من غير أن نصرح لكم؟! هذا هو المنطق الفرعوني الذي يسود الحياة الآن، لا يجوز لبلد مسلم أن يختار الإسلام بغير إذن السادة، والسادة لم يأذنوا لأنهم يكرهون الإسلام، ويخافون الإسلام؛ لأنهم يجهلون الإسلام، لو علموا الإسلام حقاً ما خافوه!

الحقد الأسود على الإسلام:

ولكن ليس الخوف فقط، إنه الحقد الأسود، إنها الكراهية من رواسب الحروب الصليبية إلى اليوم، لا زالت هذه العقدة تحكم القوم، يخافون أن ترتفع للإسلام راية، ولذلك يسمون الإسلام (الخطر الأخضر)، أرادوا أن يجعلوا من الإسلام عدواً جديداً بعد أن سقط الاتحاد السوفيتي، وسقطت الشيوعية الحمراء؛ فأرادوا عدواً لونه باللون الأخضر، وسموه (الخطر الأخضر)، والإسلام ليس خطراً إلا على الإلحاد والفساد والاستعباد، الإسلام رحمة الله للعالمين.

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة:

لماذا يُكاد هذا الكيد كله للسودان؟ ولماذا يقف الإخوة الأشقاء ضد السودان؟ لماذا يحاصرونه؟ لماذا يستجيبون لوساوس الموسوسين؛ حتى أصبحنا نرى العلاقة بين السودان وبين أشقائه وأقرب الناس إليه مقطوعة أو شبه مقطوعة، أو بينهما جفوة لا ينبغي أن تكون، خصوصًا مصر والسودان!؟

مصر والسودان بلد واحد يجمعهما النيل المشترك، يجمعهما الأصل المشترك، تجمعهما المصالح المشتركة، تجمعهما اللغة المشتركة، يجمعهما المصير المشترك، كيف يصل الأمر بين السودان ومصر إلى هذا الحد؟!؟

إننا نرى أن هذا من وحي الشياطين، ومن كيد الأبالسة الذين يفرقون بين الأخ وأخيه، وبين الشقيق وشقيقه، وليس هذا الشقاق في مصلحة السودان، ولا في مصلحة مصر، ولا في مصلحة العرب، ولا في مصلحة المسلمين، إنما يصب ذلك كله في مصلحة إسرائيل، إسرائيل التي تريد تمزيق هذه الأمة.

دور العدو الصهيوني:

وقد أثبتت الأحداث دور إسرائيل فيما يقوم الآن من مجازر بين زائير ورواندي، يد إسرائيل هناك في تلك البلاد: في إريتريا، وفي أثيوبيا، وفي أوغندا، في البلاد المحيطة بالسودان، وتكيد كيدها لتأليب هؤلاء على السودان، حتى إريتريا التي ساعدها السودان بكل ما يستطيع، حتى قامت على سوقها، رغم أن هناك من الإسلاميين من كان يعيب

ذلك على السودان، ولكنهم الآن تنكروا للسودان، وتأمروا على السودان، وكما قال الشاعر:

أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي
وَكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ القَوَافِي فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةً هَجَانِي^(١)

لماذا يقف الإخوة الأشقاء ضد السودان هذا الموقف؟ مع أن المصلحة توجب علينا أن نتجه إلى الوحدة؛ فلا قيام لهذه الأمة إلا بالوحدة، ولا انتصار لها إلا بالوحدة، ولا رخاء لها إلا بالوحدة، ولا قوة لها إلا بالوحدة، ولا كرامة لها إلا بالوحدة. وقد رأينا نور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبي؛ إننا نصرهم الله وَجَبَّكَ لَأَنَّهُمْ حاولوا أن يوحدوا الأمة، ولم تنتصر الأمة في تاريخها إلا بتوحيد من يمكن توحيدهم في مواجهة الأعداء.

ينبغي أن تتوحد هذه الأمة، أمّا أن يكيد بعضها لبعض، ويضمّر بعضها السوء لبعض فهذا لا يليق، نحن لا يسعنا إلا أن ننشد ما قاله الشاعر قديماً:

وَإِخْوَانٌ حَسَبْتَهُمْ دُرُوعًا فَكَانُوا وَلَكِنْ لِلْأَعَادِي
وَخَلْتَهُمْ سَهَامًا صَائِبَاتٍ فَكَانُوا وَلَكِنْ فِي فَوَادِي
وَقَالُوا قَدْ سَعِينَا كُلَّ سَعِي فَقُلْتُ نَعَمْ وَلَكِنْ فِي فَسَادِي^(٢)

(١) هو معن بن أوس، وقد عزا الجاحظ البيت الأول له ضمن عدة أبيات. انظر البيان والتبيين للجاحظ (١٥٧/٣)، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ. وعزا البدر العيني البيت الثاني له في المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية للبدر العيني (١٢٣/١)، تحقيق علي محمد فاخر، وأحمد محمد توفيق السوداني، وعبد العزيز محمد فاخر، نشر دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

(٢) عزا أبو تمام في الحماسة (٢٣٠/١) إلى محمد بن عبد الله الأزدي، وعزا الخالديان في حماستهما (٣٧/١) إلى عبيد السلامي، تحقيق د. محمد علي دقة، نشر وزارة الثقافة بالجمهورية العربية السورية، ١٩٩٥م.

أهكذا ينبغي أن يكون الأمر بين الأخ وأخيه؟ ما الذي أصاب هذه الأمة ووقفت عاجزة عن أن تصلح ذات البين؟ الأمة العربية والأمة الإسلامية على سعتها: شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً؛ للأسف لم تستطع أن تصلح بين مصر والسودان، لم تستطع أن توفق بين القوى المختلفة في أفغانستان، لم تستطع أن توفق بين قطر والبحرين في الخليج، لم تستطع الأمة الإسلامية أن تحل قضية من هذه القضايا، ومشكلة من هذه المشكلات!

مراجعة مصالح الأمة العليا:

يجب على الأمة الإسلامية أن تعيد النظر في علاقاتها بعضها ببعض، والله ليس لنا إلا أن يضع أحدنا يده في يد أخيه.

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَ لَهُ كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بغيرِ سِلَاحٍ
وإن ابنَ عمِّ المرءِ - فاعلم - جَنَاحُهُ وهل ينهضُ البازي بغيرِ جَنَاحٍ^(١)؟

إخوانك أشقاؤك هم قوتك التي بها تصول، وعدتك التي بها تجول، وجناحك الذي به تطير، وأصلك الذي إليه تصير.

إنني أدعو العرب جميعاً، وأدعو الإخوة المصريين، وأدعو الإخوة السودانيين، وأدعو الإخوة البحرينيين، وأدعو الإخوة القطريين، وأدعو الإخوة الأفغانيين، وأدعو كل المختلفين أن يراجعوا الأمر في ضوء المصالح العليا للأمة، لا يمكن أن تنتصر الأمة وهي ممزقة، وهي متفرقة، وهي ممزعة يميناً وشمالاً، إنما تنتصر الأمة إذا توحدت، وكانت كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بَنِينَ مَّرْضُوضًا﴾ [الصف: ٤].

(١) من شعر مسكين الدارمي، انظر: الأمثال لأبي عبيد ص ١٨١، تحقيق د. عبد المجيد قطامش، نشر دار المأمون للتراث، ط ١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.



يا أيُّها الإخوة الأحباء الأشقاء في السودان، قلوبنا معكم، وألسنتنا تدعو لكم، وأيدينا معكم، والله معكم ولن يترككم أعمالكم.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجمع كلمة هذه الأمة على الهدى، وقلوبها على التقى، وأنفسها على المحبة، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل، اللهم أكرمنا ولا تهنأ، وأعظنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا، اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم انصر إخوتنا المجاهدين في سبيلك، اللهم انصر إخوتنا في فلسطين ولبنان، وانصر إخوتنا في البوسنة والهرسك، وانصر إخوتنا في أفغانستان وأصلح ذات بينهم، انصرهم على أنفسهم، وانصر إخوتنا في الفلبين، ووفق بين المختلفين من المسلمين حيثما كانوا، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك.

اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء إليك، اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، وانشر علينا رحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم اسقنا غيثًا مغيثًا، هنيئًا مريئًا، مريعًا سحًا غدقًا، شاملاً واسعًا غير ضيق، اللهم أنزل علينا الغيث، وأنبت لنا به الزرع، وأدر الضرع، وأخرج لنا به من كل الثمرات إنك على كل شيء قدير.

نسألك اللهم ألا تعاملنا بذنوبنا، وأن تعاملنا بإحسانك فإننا عبید إحسان لا عبید امتحان، اللهم إننا خلق من خلقك وعباد من عبادك؛ فلا تمنع عنا رزقك وخيرك بذنوبنا ومعاصينا، اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا



مَنْ لَا يَخَافُكَ وَلَا يَرْحَمُنَا، وَارْفَعِ مَقْتِكَ وَغَضَبِكَ عَنَّا، وَاجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ
آمِنًا مَطْمَئِنًّا، سَخَاءً رِخَاءً وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا
الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا؛ رَبَّنَا إِنَّكَ
رَوْوْفٌ رَحِيمٌ.

* * *



المبشرات بانتصار الإسلام من الواقع

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

تحدثنا في عدة جُمع عن المبشرات بانتصار هذا الدين، بظهور هذا الدين على الدين كله ولو كره المشركون، بأنَّ الغد لهذا الدين، وأنَّ المستقبل لهذه الأمة مهما ادلهمت الخطوب، وتفاقت حولها الكروب.

تحدثنا عن المبشرات من كتاب الله، وتحدثنا عن المبشرات من أحاديث رسول الله ﷺ، وتحدثنا عن المبشرات من التاريخ الحافل، وخصوصاً تاريخ أمتنا الذي يبدأ بسيرة رسول الله ﷺ، وسيرة خلفائه الراشدين.

واليوم نتحدث عن مبشر آخر من مبشرات مستقبل هذا الدين، من مبشرات الانتصار للإسلام، هذا المبشر ينطلق من الواقع الماثل الذي نعيشه وتعيشه أمتنا، هذا الواقع يبشرنا أنَّ المستقبل لهذا الدين.

هذه الأمة تملك من القوى ما يجعل لها مكاناً في الأمم، ويجعلها تتبوأ مكانتها تحت الشمس؛ لا سيما إذا تمسكت بالعروة الوثقى لا انفصام لها: عروة التوحيد، عروة الإيمان، عروة الإسلام، عروة العقيدة

والشريعة، عروة القرآن والسُّنَّة، هذه الأمة تملك من القوى ما يجعلها القوة الأولى في العالم؛ لو أنها وظّفت هذه القوى واستفادت منها!

القوة البشريّة:

تملك هذه الأمة القوة البشريّة: القوة العدديّة، أمة تعدادها مليار وثلث من البشر، حوالي ألف مليون وثلاثمائة مليون من البشر، هذه قوّة هائلة، بعض النَّاس يقلل من قيمة هذه القوّة، ولكن الله تعالى يقول في معرض الامتنان والإنعام على لسان أحد رسله يقول لقومه: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦]. أي إنّ الكثرة نعمة، والشاعر العربي قديماً يقول:

وَلَسْتَ بِالْأَكْثَرِ مِنْهُمْ حَصِيٌّ وَإِنَّمَا الْعِزَّةُ لِلْكَاثِرِ^(١)

والشاعر الآخر يقول:

مَلَأْنَا الْبَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَا وَنَحْنُ الْبَحْرُ نَمْلُؤُهُ سَفِينَا^(٢)

دعوة أعداء الأمة لتقليل نسل المسلمين:

القوة البشريّة العدديّة لها قيمة إذا وظّفت هذه القوّة، وهذا ما حسب له خصومنا ألف حساب؛ يخافون من نمو القوّة الإسلاميّة العدديّة، ولهذا أوحوا إلينا بأن كثرة النسل بلاء، ينبغي أن نقلل من النسل، وينبغي أن نحدد النسل، هكذا قالوا، وهم في الحقيقة يخافون من نمو المسلمين وتزايدهم.

(١) للأعشى، كما في الرسائل السياسية للجاحظ ص ٤٢٧، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت.

(٢) ديوانه عمرو بن كلثوم ص ٩١، في معلقته الشهيرة، تحقيق إيمل بديع يعقوب، نشر دار

الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ.

هم في أوروبا يشكون من العقم، ويشكون من قلة النسل؛ لانتشار الزنى والفاحشة، ما ظهر منها وما بطن، والشذوذ الجنسي، وعري المرأة، وانتشار التحلل والإباحية، هذا كله أدى إلى ما يشكون منه اليوم، العقم وقلة النسل، إلا المسلمين وحدهم ممن يعيشون في أوروبا؛ فهم يتزايدون ويتكاثرون!

وعندما كان الاتحاد السوفيتي قائمًا؛ كانوا يُخوّفون من نمو عدد المسلمين في الجمهوريات الإسلامية، وفي المناطق الإسلامية من الاتحاد السوفيتي، الآن يُخوّفون من كثرة عدد المسلمين في أوروبا، ويُخوّفون من كثرة عدد المسلمين داخل العالم الإسلامي.

المسلمون أمة ولود:

ألّف الرحالة الألماني المعروف (بول أشميد) كتابًا سماه (الإسلام قوّة الغد العالمية)^(١) وقال: إنّ المسلمين يملكون من الأسباب ما يجعلهم قوّة كبرى في العالم، أوّل هذه الأسباب أنّ المسلمين أمة ولود، عندها قدرة على التكاثر والتناسل، وهذا أمر خطر، ثمّ إنّ عندهم وفرة في مصادر الثروة، ثمّ لهم رسالة يؤمنون بها. وعلى هذا نبّه الغرب أن يحذروا من المسلمين، وأن ينشئوا حروبًا صليبيّة جديدة ملائمة للعصر، حروبًا صليبيّة ولكنها ليست حربًا بالسلاح، لكنها حرب بالفكر والثقافة، والتخطيط والكيد والمكر، ولكن يجب أن تنفذ بأسلوب نافذ وحاسم، هكذا يقول الرجل!

(١) ترجمه الدكتور محمد البهي في إحدى محاضراته. وقد ترجم الكتاب كله فيما بعد د. محمد عبد الغني شامة، تحت عنوان: الإسلام قوّة الغد العالمية، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.

القوة الماديّة:

المسلمون يملكون هذه القوّة البشريّة العدديّة، ويملكون كذلك القوّة الماديّة، فالمسلمون يعيشون في أراضٍ خصبة، في سهول ووديان، وجبال ووهاد، وبحار وبحيرات، وأنهار عظام، ومياه جوفية، ومعادن من كل نوع، يكفي أن معظم النفط المخزون في العالم يملكه المسلمون، حتّى قال أحد الغربيين يوماً لنائب رئيس الوزراء في ماليزيا: نحن نستغرب لماذا لا يظهر البترول بهذه الوفرة إلّا في البلاد الإسلاميّة؟ لماذا يظهر في ماليزيا وإندونيسيا ولا يظهر في تايلاند؟ لماذا يظهر في كذا ولا يظهر في كذا؟ هم يرصدون هذه الأمور.

المسلمون عندهم هذه القوى والمعادن، وهم يعيشون في ملتقى القارات، في أعظم موقع في العالم، في مهبط الرسالات، في منبت الحضارات، كل الحضارات القديمة نبتت في أرض المسلمين: الحضارة الفرعونية، والآشورية، والبابلية، والكلدانية، والفينيقية، والفارسية، والهندية، كلها نبتت في أرض المسلمين، والرسالات السماوية كلها نبتت في أرض الإسلام: اليهودية، والمسيحية، والإسلام، فنحن نملك هذا الموقع الهائل بقيمته الماديّة، وقيّمته المعنوية، وقيّمته التاريخيّة، نملك هذه القوّة.

القوة الرُّوحية:

ثم نملك قوّة أخرى لا يملكها أحد في العالم، نملك القوّة الرُّوحية، نملك الرسالة السماوية التي خاطب الله بها البشر بآخر كلماته، التي لم يعترها تغيير ولا تبديل، نحن المسلمين وحدنا الذين نملك تلك الوثيقة الإلهية السماوية، التي تتضمن كلمات الله الهادية

للبشرية، نملك القرآن: الكتاب المحفوظ الذي تولى الله تعالى حفظه بنفسه، ولم يستحفظه الناس، لم يكل حفظه إلى غيره، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۗ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١ - ٤٢]، نحن المسلمين وحدثنا نملك هذه الوثيقة.

حُرِّفَت التوراة وُبدِّلت، وحُرِّفَ الإنجيل وُبدِّل، بل لا نعرف الآن وجودًا للإنجيل الذي أنزل على عيسى، هناك أناجيل كتبها تلاميذه أو تلاميذ تلاميذه، أمَّا الإنجيل الأصلي فلا نجده!

الكتاب الذي أنزله الله على مُحَمَّد لا زال كما هو؛ نقرؤه كما كان يقرأ النبي ﷺ وأصحابه؛ بغنّه ومدّه، بحركاته وسكناته، بإظهاره وإخفائه، وإدغامه وإقلابه، ولا زلنا نقرؤه كما كُتِب في عهد الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه.

نحن الأمة التي تملك الرسالة السماوية الوحيدة، التي خص الله بها هذه الأمة، رسالة السماء إلى الأرض، رسالة الخالق إلى الخلق، رسالة التوازن التي مزجت بين الروح والمادة، وجمعت بين الدنيا والآخرة، ربطت الأرض بالسماء، والعقل بالقلب، والحقوق بالواجبات، والفرد بالمجتمع، والإنسان بخالقه.

حاجة العالم إلى رسالة الإسلام:

نحن نملك هذه الرسالة الوسطية، المتوازنة الشاملة، التي امتدت طولاً حتى شملت آباد الزمن، فهي رسالة الأنبياء منذ آدم إلى مُحَمَّد ﷺ، وامتدت عرضاً حتى انتظمت آفاق الأمم، فهي رسالة الله لكل الناس،

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وهي رسالة امتدت عمقا حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة، وشؤون الفرد والمجتمع، وشؤون الحياة الرُّوحِيَّةِ والمادِّيَّةِ، كما قال الله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِّلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩]. وكما قال ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنه: لو ضاع مني عقل بعير لوجدته في كتاب الله ^(١).

هذه الرسالة الممتدة الشاملة، المتوازنة العميقة نملكها نحن المسلمين، لا تملك أمة رسالة تقدمها للبشريَّة كما يملك المسلمون، البشريَّة الآن تعاني من القلق والاكتئاب، واليأس والأمراض النفسيَّة في الغرب!

استطاع الإنسان في الغرب أن يصل إلى القمر، ويحاول أن يغزو كواكب أخرى، والذي صنع الكمبيوتر، وصنع الإنترنت، وصنع الإنسان الآلي، والذي صنع ثورات عدة: تكنولوجية، وبيولوجية، وإلكترونية، ومعلوماتية، ثورات على كل صعيد.

عصر القلق والخوف:

ولكن هذا الغرب يشكو من القلق، لم يسعد في حياته، لم يحس بالطمأنينة، يسمون هذا العصر (عصر القلق)، القلق المرضي، والاكتئاب، والشعور بتفاهة الحياة، يعيش الإنسان ويموت ولا يعرف له هدفاً، ولا يعرف معنى لحياته، ولا يذوق لها طعمًا، يأكل ويشرب، ويلهو ويلعب، وينتهي إلى التراب كما جاء من التراب، هذه هي الحياة عندهم!

(١) الإلتقان في علوم القرآن (٤/٣٠، ٣١)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.



ولهذا نجد أكثر نسبة من الانتحار في تلك البلاد، هذه البلاد التي تعيش في أعلى مستوى من الرفاهية والتنعم المادي: هي أعلى البلاد في الانتحار؛ كما نرى ذلك في السويد والنرويج، وكما نرى ذلك في أمريكا، أمريكا أكثر البلاد انتشارًا للجرائم، يعيش الناس في الخوف، لا يستطيع الإنسان أن يخرج من بيته بعد الغروب؛ يخشى أن يُضرب بسكين أو يُطلق عليه الرصاص من مجرم هنا أو هناك، الناس يعيشون في خوف وقلق!

العلاج في رسالة الإسلام:

ولهذا كان الناس في حاجة إلى رسالة جديدة، من يقدم لهم هذه الرسالة؟ لا تستطيع النصرانية أن تقدم لهم هذه الرسالة، فقد جربوها وثاروا عليها، ولم يتقدموا إلا بالتححرر منها، ومن رجالها ومن كنيستها، واليهودية أشد عجزًا؛ لأنها ما كانت رسالة منفتحة على العالم، ولا رسالة هداية، ولا رسالة انتشار.

لا يوجد من يقدم للإنسانية مضخة الإطفاء من هذا الحريق، وقارورة الدواء من هذا الداء الوبيل إلا رسالة الإسلام، التي تملكها هذه الأمة، هذه الأمة تملك رسالة عظيمة!

حاجة الأمة أن توظف هذه الطاقات:

نحن نملك من القوى ما لا يملكه غيرنا، نملك القوة البشرية، ونملك القوة المادية، ونملك القوة الروحية، ولكننا لا نوظف هذه القوى كما ينبغي، لا نستفيد منها كما ينبغي، ولهذا لا عجب أن يغلب الكم على الكيف، وأن تكون هذه الكثرة كغناء السيل كما قال النبي ﷺ:

«إِنَّكُمْ يَوْمئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْدِفَنَّ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ». قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»^(١).

ليس المهم إذن كثرة العدد، المهم أن نوظف هذه الكثرة، وأن ننتفع بها، وأن نستفيد منها، الصين عندها من العدد ما يقارب المسلمين في العالم حوالي ألف ومائتي مليون، وظفت هذا العدد، واستغلت هذه الكثرة في الإنتاج؛ فأنتجت ما يكفيها، وما يفيض عنها، وما تغزو به أسواق العالم!

ما لنا نحن لا نوظف أعدادنا، ولا نوظف هذا الكم الهائل من البشر؟! وعندنا من القوّة المادّيّة من الأرض الخصبة، ومن الثروات المذخورة في باطن الأرض والثروات المنشورة على ظهرها: فوق ما عند الصين بمرات ومرات، هذا العالم الإسلامي الممتد يملك خيرات هائلة!

بعض الأمريكيّين ألف كتابًا وقال في طبعته الأولى: إنّ المسلمين في آسيا وإفريقيا يملكون من الطاقات والخيرات في بلادهم: ما يكفي لأضعاف الأعداد الموجودة الآن. ثمّ حذف هذه الفقرات في طبعة ثانية، يبدو أنّ بعض النّاس نبّهه إلى خطورة هذا الكلام؛ فحذفه من الطبعة الثانية، ولكن الواقع يقول: إنّنا نملك طاقات هائلة.

في السودان وحده عشرات الملايين من الأفدنة، حوالي مائتي مليون فدان تصلح للزراعة، يقولون: إنّها حقل غلال العالم العربي والعالم الإسلامي. يمكن أن تكفي العالم الإسلامي كله وتفيض؛ لو أنّها وجدت الخبرة ورأس المال، والأيدي العاملة!

(١) رواه أحمد (٢٢٣٩٧)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٩٥٨)، عن ثوبان.



القوة تحتاج التكامل والتوحد:

والمسلمون بالتكامل يستطيعون أن يكونوا قوة كبرى مؤثرة في العالم، لكن للأسف الناس يتجمعون ونحن نتفرق، عاشت أوروبا قرونًا يحارب بعضها بعضًا. ومن قرأ تاريخ أوروبا يعرف تاريخ الصراع الأوروبي بين بلاد أوروبا بعضها ضد بعض، الآن نسيت هذا التاريخ، وتداعت وتنادت أن تتكتل فيما بينها تكتلاً اقتصادياً، تُكوّن كتلة اقتصادية كبرى، ثم بعد ذلك تتحول إلى كتلة سياسية، وهم سائرون في هذا الطريق، أمريكا وكندا والمكسيك، والبلاد التي يُسمونها النمرور الآسيوية كلها تتجه إلى نفس الأمر.

العالم يتكتل ويتجمع، ونحن نشرذم ونتفرق، هذا مستحيل، لا يمكن أن تستفيد هذه الأمة من الكثرة العددية إلا إذا تنادت بأن تتجمع فيما بينها، وأن تنسى خلافاتها، للأسف نحن نتقاتل على حدود فيما بيننا، نتقاتل على قضايا جزئية، يتجافى بعضنا مع بعض، وننسى أننا كلنا تُدبّر لنا المكاييد، وتُنصب لنا الشباك والمصايد من القوى المعادية لهذه الأمة، ننسى ذلك ويكيد بعضنا لبعض، وننسى أننا جميعاً أسرى كيد أعدائنا.

الدين هو المُحرِّك لهذه الأمة:

يجب على هذه الأمة أن تستغل قوتها العددية، وقوتها المادية، وتستفيد من قوتها الروحية، نحن نملك المنهج الإلهي الذي لا يملكه أحد غيرنا، والذي تؤمن به أمتنا، مجموع هذه الأمة لم يكفر برسالة مُحَمَّد ﷺ، لا زالت العقيدة أهم شيء في حياته، والشريعة هي مرجعه الذي يستفتي فيه العلماء، ليعرف الحلال من الحرام، والمسنون من المُبتدع.

الدين هو المُحرِّك الأوَّل لهذه الأمة، هكذا جرَّبنا في القضايا الكبرى، عرفنا أنه لا يُحرِّك هذه الأمة شيء مثل ما يُحرِّكها الدين، في قضايانا الكبرى: القضايا العسكريَّة، وقضايا الجهاد؛ عرفنا أنك حينما تنادي هذه الأمة بكلمة الإيمان، حينما ترفع أمامها المصحف، حينما تقول: يا ریح الجنَّة هُبِّي، ويا كتائب الله سيري؛ فإنَّ الأمة تنطلق وراءك كالمارد، لا يقف أمامها شيء، نملك نحن هذه القوَّة، ولكننا لا نستفيد منها.

إنَّ أعداءنا يعرفون المذخور في كيان هذه الأمة من الطاقات والقوى، ولذلك يحاولون أن يعطلوها، وأن يعوِّقوا سيرها، ودائمًا يوحون إلينا بالتيئيس من الغد، حتَّى نقنط من المستقبل، وحتَّى نقول: لم تعدَّ هناك فائدة!

ظهور الصحوة الإسلاميَّة:

وأنا أقول: المستقبل لنا، والغد لنا إن شاء الله، يكفي أيُّها الإخوة إذا نظرنا ما بين الأمس واليوم، ما بين الماضي والحاضر؛ نرصد هذه الظاهرة الهائلة التي ظهرت في الأفق، وشدت النَّاس من يمين وشمال، ومن مشرق ومغرب، هذه الظاهرة هي ظاهرة الصحوة الإسلاميَّة.

هذه الصحوة الإسلاميَّة ظهرت على حين غفلة من النَّاس، ما كانوا يظنون في وقت ضربوا فيه الحركة الإسلاميَّة ضربات وحشية موجعة؛ ظنوا أنَّها أصابت منها مقتلاً، وأنَّه لن تقوم للإسلام قائمة، ولن ترتفع لدعوة الإسلام راية، وأنَّ بساط الإسلام قد طوي، وأنَّ شمسها قد غربت، هكذا ظنوا في وقت من الأوقات! ثمَّ إذا بهذه الصحوة تفاجئ النَّاس، صحوة وُلدت ونمت وكبرت، وظهرت على النَّاس على كلِّ صعيد.



على صعيد التدين:

ظهرت الصحوة الإسلامية على صعيد التدين؛ فإذا بنا نرى المساجد تمتلئ بالمُصلِّين، ونرى مواسم الحج والعمرة تمتلئ بالحجاج والمُعتمِرين، نرى ظاهرة التدين، هذا التدين الطوعي الاختياري، أقبل الشباب من كلِّ فجٍّ عميق، ومن كلِّ حذبٍ وصبٍ على هذا الدين، تائبين إلى الله، مقيمين للصلاة، مؤتئين للزكاة، صائمين لرمضان؛ بل كثيرًا ما صاموا الاثني عشر والخميس، وتطوّعوا لله بالنوافل، راعين ساجدين، حافظين لحدود الله، أمرين بالمعروف ناهين عن المنكر، تدين عميق رأيناه في هذه الصحوة على المستوى الديني.

على المستوى الفكري:

وعلى المستوى الفكري رأينا المكتبة الإسلامية حافلة بصنوف الكتب في كل مجال: في العقيدة والشريعة، والأخلاق والسلوك، والاقتصاد والسياسة، والتربية والثقافة، ورأينا مئات الأطروحات العلمية الأكاديمية للماجستير والدكتوراه في الدراسات الإسلامية، ورأينا الكتاب الإسلامي في كل معرض يُقام للكتاب هو الكتاب الأوّل في سوق التوزيع، هذه ظاهرة للصحوة الإسلامية على المستوى الفكري والثقافي.

على المستوى الاقتصادي:

رأينا هذه الظاهرة على المستوى الاقتصادي، يتمثل في إنشاء بنوك إسلامية بعد أن كانوا يقولون: إنه لا يمكن أن تقوم بنوك بغير فوائد ربوية، فالاقتصاد عصب الحياة، والبنوك عصب الاقتصاد، والفوائد عصب البنوك، لا تحلموا بإقامة بنوك بغير فوائد. وقامت بنوك بغير

فوائد، وتوسعت في العالم الإسلامي والحمد لله، وقامت شركات ومؤسسات اقتصادية إسلامية، هذا على المستوى الاقتصادي.

على المستوى السياسي:

وعلى المستوى السياسي رأينا التناهي بالعودة إلى الإسلام، بتحكيم الشريعة الإسلامية، رأينا ذلك الصوت الذي كان خافتاً في وقت من الأوقات: يصبح صراخاً مدوياً هائلاً، يملأ الآفاق، ويبلغ عنان السماء: عودوا إلى الشريعة، لا بد من تطبيق الشريعة. رأينا هذا يتمثل في إقامة دولة لإخواننا الشيعة في إيران، ودولة للإسلام السني في السودان، وأوشكت أن تقوم دولة في الجزائر، ورأينا الإسلاميين يكتسحون الانتخابات إذا كانت حرة على مستوى النقابات، وعلى مستوى البرلمانات، كل هذه يدل على هذه القوة السياسية للصحة الإسلامية.

على المستوى الجهادي:

رأينا الصحة الإسلامية على المستوى الجهادي يتمثل في انتفاضة الأشبال في فلسطين، ثورة المساجد التي انطلقت من مساجد غزة والضفة الغربية، راياتها القرآن، وشعاراتها: لا إله إلا الله، والله أكبر. ونشيد أطفالها:

خيبر خيبر يا يهود جيش محمد سوف يعود

رأيناها في الجهاد الأفغاني الذي انتصر على أعتى قوة إحدانية في التاريخ: الاتحاد السوفيتي، روسيا، القوة الثانية الكبرى في العالم، انتصر هؤلاء الأفغان بأسلحتهم البسيطة على هذه القوة.

صحيح أنهم لم يقرأوا أعيننا بثمار هذا النصر، وهذا ما نأسف له،

ولكن الحقيقة التي لا ينبغي أن تغيب أنَّ الجهاد الأفغاني كان آية من آيات الله للانتصار على الشيوعيين الملحدين، ونجد مثل هذا في البوسنة والهرسك، ونجد مثل هذا في الشيشان، ونجد مثل هذا في الفلبين.

الشباب هم عماد الصحوة:

كل هذه الأمور أيُّها الإخوة من ثمار الصحوة الإسلاميَّة، فالصحوة الإسلاميَّة هي صحوة في كل مكان، داخل العالم الإسلامي وخارج العالم الإسلامي، رأيت هؤلاء الشباب والشابات؛ فهي ليست صحوة مقصورة على الرجال، إنَّها صحوة مسلمين ومسلمات، صحوة الجنسين، هذه العودة الاختيارية من المرأة المسلمة إلى الحجاب - وربما إلى النقاب - من دلائل هذه الصحوة، هي صحوة شباب بالدرجة الأولى، العمود الفقري لهذه الصحوة هم الشباب، وليس الشيوخ الذين أحيلوا على التقاعد، والذين ينتظرون الموت غدًا أو بعد غد، لا، بل عماد هذه الصحوة هم هؤلاء الشباب، وهؤلاء الشابات.

هذه هي الصحوة الإسلاميَّة استطاعت أن تغير من اتجاهات الأمة، ومن مفاهيمها، ومن مشاعرها، فهي صحوة عقول وأفكار، وصحوة قلوب ومشاعر، وصحوة إرادات وعزائم، وصحوة عمل وسلوك، وصحوة غيرة ودعوة، وصحوة جهاد في سبيل الله، هذه هي الصحوة!

محاولة التقليل من قيمة الصحوة:

بعض النَّاس يريد أن يقلل من قيمة هذه الصحوة، ويقول: ماذا في هذه الصحوة؛ اللحي الطويلة، والجلابيب القصيرة؟! هؤلاء يريدون أن يختصروا هذه الصحوة كلها في اللحية والجلباب، ثمَّ ما الذي يضيركم

أن يطيل الإنسان لحيته أو أن يقصر ثوبه؟! هذه الأشياء ليست أركاناً في الدين، ولكنها آداب مهمة، والالتزام بها دلالة على التشبث الديني، والتميز الثقافي، والتحدي الحضاري، وتماسك الشخصية الإسلامية، أمام الذين ذابت شخصيتهم في الحضارة الغربية وفلسفاتها الإباحية والمادية. إننا نعتقد أن هذه الصحوة هي الأمل لهذه الأمة، ولذلك عرف أعداء الأمة قيمة هذه الصحوة وقوتها؛ فكادوا لها كيّداً، ومكروا بها مكراً، وبيتوا لها المؤامرات، وأوقعوا بينها وبين الحكام حتى لا تستطيع هذه الصحوة أن تؤتي أكلها.

هجموا على الصحوة الإسلامية، وعلى الحركة الإسلامية، كما هجموا على الأمة الإسلامية منذ وضعوا فينا هذه الشوكة الدامية المسمّاة (إسرائيل)، شوكة في جنب هذه الأمة، في قلب بلاد العروبة والإسلام، يقوونها ويمدون بها بكل ما يستطيعون من مليارات، بلغ ما أعطته ألمانيا لإسرائيل أكثر من سبعين ملياراً، وما أعطته الولايات المتحدة، وما تعطيه أوروبا وغيرها أكثر وأكثر!

إنهم يريدون أن نظل دائماً في موقف المغلوب، يريدون أن يُغلبوا إسرائيل بملايينها الثلاثة أو الأكثر قليلاً، على مائتي مليون عربي، وأن يكون عندها من الأسلحة ما يزيد على الملايين من العرب، هذه الدول التي زادت على العشرين في جامعة الدول العربية، إنهم يريدون أن يضعوا حجر عثرة ضد الإسلام، وضد ظهور الإسلام، وضد صحوة الإسلام، كادوا لهذه الصحوة، ومكروا بها، ولكن كيد الله أقوى من كيدهم، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ أَهْمُهُمْ رُيْدًا﴾ [الطارق: ١٥ - ١٧]، ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ [البروج: ٢٠]، ﴿وَمَكْرُورًا وَمَكْرَ أَلَلِّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ﴾ [آل عمران: ٥٤].



ترشيد الصحوة الإسلامية:

نحن على يقين أنّ هذه الصحوة بالغة مداها إن شاء الله، ويجب أن نغذيها، ونرمي لها بالوقود، كما يجب أن نرشدها، نريد لهذه الصحوة أن تخرج من المراهقة إلى الرشد، نحن نعيب على بعض فصائل هذه الصحوة وليس على كل فصائلها، بعض فصائل هذه الصحوة لا تُقدّر الموقف الذي تعيشه، لا تُقدّر القوى المعادية التي تمكر بها، لا تُقدّر حجم المؤامرات التي تُدبر لها، لا تُقدّر هذا كله فتشغل أنفسها ببعض الأمور التافهة، وتنسى القضايا الكبيرة!

ومن هنا ننادي هذه الصحوة وأبناءها، ومرشديها والقائمين عليها: أن يخرجوا من إطار إلى إطار، من إطار الكلام والجدل إلى العطاء والعمل، من التشاجر والتشاحن إلى التضامن والتعاون، من الارتجال إلى التخطيط، من السطحية إلى التعميق، من العيش في سماء الأحلام إلى النزول إلى أرض الواقع.

نريد من هذه الصحوة أن تعرف عصرها، لا تعيش في الماضي وحده، وإنّما تستمد من الماضي، وتعايش الحاضر، وتستشرف المستقبل، نريد لها أن توازن بين الثوابت والمتغيرات، ثوابت الإسلام ومتغيرات العصر، نريد لها أن تجمع بين السلفية والتجديد، أو كما يقولون: بين الأصالة والمعاصرة. نريد لها أن تتخذ هذه القاعدة أساساً لها: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه.

نريدها أن تخرج من الفروع والجزئيات إلى الأصول والكليات، نريدها أن تهتم بالمتفق عليه أكثر من المختلف فيه، نريدها أن تهتم بالجوهر أكثر من اهتمامها بالشكل، وبأعمال القلوب أكثر من اهتمامها

بأعمال الجوارح، نريدها أن تهتم بالأركان قبل أن تهتم بالنوافل، نريدها أن تصحح فهمها للدين، وأن يضع كل واحد من أبنائها يده في يد أخيه، فإن لم تكن مع أخيك اليوم ستؤكل أنت وهو غداً، إنَّما أكلت يوم أكل الثور الأبيض، «المؤمن للمؤمن كالبنيان؛ يشد بعضه بعضاً»^(١).

إنَّنا نحن المسلمين نملك قوى هائلة، ومن أعظم هذه القوى التي نملكها في عصرنا قوَّة هذه الصحوة، ينبغي أن نحافظ عليها، وأن ننميها، وأن نرشدها، وأن نعلم أن أعداءنا ليسوا بغافلين عنا، إنهم يرصدوننا، أجهزة الرصد الحساسة تحصي علينا أنفاسنا، كشفونا في كل شيء حتَّى النخاع، فينبغي أن نعلم نحن حقيقة أنفسنا، ماذا نملك، وماذا عندنا؟ ونحاول أن نوظف ما عندنا وهو كثير والحمد لله، وأن نستفيد منه وهو شيء جليل وعظيم، إنَّنا إذا فعلنا ذلك فقد شكرنا نعمة الله علينا، نحن نملك الكثير، وكل هذا يبشر بأنَّ المستقبل لنا إن شاء الله، أنَّ المستقبل لهذه الأمة، أنَّ المستقبل لهذا الدين.

وقد كتب أحدهم (روبرت بين) كتاباً سماه (السيف المقدس)، قال في مقدمته: ينبغي أن نعرف كيف نتعامل مع المسلمين، ونسبر أغوارهم، فقد حكموا العالم قروناً، ولا يبعد أن يعودوا إلى حكمه مرة أخرى، إنَّ الشعلة التي أشعلها مُحَمَّد لم تُطفأ بعد، ويبدو أنَّها لن تُطفأ، كتبت هذا الكتاب لأنَّه الغربيين إلى خطورة هذا الأمر، وسميته باسم (السيف المقدس)^(٢). يريد أن يقول: إنَّ المسلمين هم أهل السيف وأهل القوَّة.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى الأشعري.

(٢) ص ١٧، من الكتاب بالإنجليزية، وقد نقلنا هذه الفقرة من تقرير للدكتور إسحاق موسى الحسيني عن هذا الكتاب، قدَّمه إلى الإدارة العامة للثقافة بالأزهر في أواخر الخمسينيات.

والمسلمون ما استخدموا السيف لإكراه أحد على الإسلام، ولا الاعتداء على أحد، ما استخدموا السيف إلا دفاعاً عن أنفسهم وعن دعوتهم وتحريراً للمستعبدين في الأرض كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥]. الإسلام يشرع القتال للدفاع عن المستضعفين في الأرض من الرجال والنساء والولدان، يشن الحرب لتحرير هؤلاء من براثن الطغاة الذين يستعبدونهم ويعذبونهم؛ حتى إنهم يدعون الله أن يخرجهم من هذه القرية الظالم أهلها، هذا هو الإسلام أيها الإخوة.

نحن نملك في واقعنا قوى كثيرة، لا ينبغي أن نستهن بهذه القوى، ومن نظر بين الأمس واليوم وجد تغيراً كبيراً في حياة المسلمين على كل صعيد، وهذا يبشر أننا نسير إن شاء الله إلى ما هو أفضل، وإلى ما هو أحسن.

أسأل الله تبارك وتعالى أن ينير بصائرنا، وأن يفقهنا في ديننا، وأن يسد خطانا، وأن يرشد مسيرتنا؛ حتى نصل إلى ما نصبو إليه، ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتَمَّ نُورُهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢ - ٣٣].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوا الله يستجب لكم.

الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

الاعتداءات المستمرة على الشعب الفلسطيني:

في كل يوم تطلع علينا الصحف ونشرات الأنباء بأحداث ترتكبها إسرائيل وأبناء إسرائيل في هذا الشعب وأبناء هذا الشعب المظلوم: الشعب الفلسطيني.

بالأمس وجدنا من قتل المصلين في المسجد الإبراهيمي، وقالوا: هذا رجل مجنون! وبالأمس الأقرب وجدنا آخر يطلق الرصاص على هؤلاء الأمنين العزل من السلاح، وقالوا: هذا رجل مجنون!

كيف يُسمح لهؤلاء المجانين أن يعيشوا بين أهل البلاد؟! هؤلاء المستوطنون كما يسمونهم، لا ينبغي أن يكون لهم مكان على الأقل في المدن الإسلاميّة العربيّة، هم في الحقيقة يجب ألا يكون لهم مكان في فلسطين كلها، هم مغتصبون، هم معتدون دخلوا أرضًا ليست لهم، واحتلوا بلادًا ليست بلادهم، جاؤوا من الشرق والغرب، جاؤوا من أوروبا ومن شرق أوروبا، ومن هنا وهناك ليحتلوا هذه الأرض، كما قال الحاج أمين الحسيني حينما قالوا: نريد أن نتخذ لنا وطنًا قوميًا في فلسطين. قال: إنّ فلسطين ليست وطنًا بغير شعب حتّى تستقبل شعبًا بغير وطن! ولكن هؤلاء جاؤوا واحتلوا الأرض، اغتصبوها بقوة السلاح، بالإرهاب الدموي، هؤلاء الذين يتهمون الإسلاميين بأنهم إرهابيون، ويقولون: نحن نحارب الإرهاب. هم أكبر الإرهابيين في العالم، الذين أخرجوا شعبًا من أرضه بالحديد والنار، بالدم والعنف، لا زالوا يستخدمون هذا إلى اليوم.

لا بدّ من مقاومة الاعتداء:

إنّه لا يمكن أن يُقاوم هذا الأمر إلاّ بما نادينا به، ولا زلنا ننادي وسنظل ننادي، بالجهاد لا بالاستسلام، الاستسلام يزيد هؤلاء قوّة وشوكة، هذا الاستسلام يسمونه (السلام)! أي سلام هذا بين غاصب ومغصوب؟ أي سلام هذا بين معتدٍ ومعتدى عليه؟ أي سلام هذا بين اللص وصاحب الدار؟! إلاّ ان يتنازل صاحب الدار للصوص، هذا هو السلام الذي يدعون إليه، والذي يزعمونه!

إننا ننادي أبناء فلسطين ألاّ يستسلموا، وأن يقفوا ضد هذه القوّة المعتدية الطاغية الظالمة، المدلّة بنفسها، المغرورة بعددها وعدتها، ولا بد لهم من يوم إن شاء الله، «إِنَّ اللَّهَ لِيَمْلِكُ لِلظَّالِمِ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَم يَفْلِتْهُ»، هكذا قال رسول الله، ثمّ تلا: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]^(١).

أيّها الإخوة، أنشأت وزارة الأوقاف في قطر صندوقاً للزكاة تجمع فيه الزكاة ممن تجب عليهم الزكاة ممن يملكون النصاب، وتوزعها على المستحقين في داخل قطر وفي خارجها، وهذا الصندوق يدعوكم إلى أن تدفعوا إليه زكواتكم أو ما تجود به أنفسكم من زكواتكم؛ حتّى يستطيع أن يواجه أعباءه ومسؤولياته، والزكاة هي الفريضة الثانية بعد الصلاة، هي الركن الثالث بعد الشهادتين وبعد إقامة الصلاة، رحم الله أبا بكر حينما قال: والله لأقاتلن بين من فرّق بين الصلاة والزكاة^(٢). ادفعوا زكاة

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٦٨٦) ومسلم في البر والصلوة (٢٥٨٣)، عن أبي موسى.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٩، ١٤٠٠)، ومسلم في الإيمان (٢٠)، عن أبي هريرة.

أموالكم يبارك الله لكم في أموالكم، وفي أنفسكم، وفي أولادكم، ﴿وَمَا
أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

اللهم هبّ لنا من أمرنا رشداً، اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا،
واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا
من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين
ولا أقل من ذلك.

يا حي يا قيوم برحمتك نستغيث، اللهم برحمتك نستغيث فأغث
لهفتنا، وفرج كربتنا، واكشف غممتنا، وانصر أمتنا، وخذ أعداءنا أخذ عزيز
مقتدر، اللهم عليك باليهود الغادرين، اللهم عليك بالوثنيين المتعصبين،
اللهم عليك بالوثنيين الحاقدين، اللهم عليك بأعدائك أعداء الدين،
اللهم خذهم ومن ناصرهم أخذ عزيز مقتدر.

اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تهلكننا بما فعل السفهاء منا،
ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، واجعل هذا البلد
أمناً مطمئناً سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين، ربنا اغفر لنا ولإخواننا
الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا؛ ربنا إنك
رؤوفٌ رحيم.



من أمراض الأمة: سوء الفهم

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

الأمة الإسلامية أمة حية لن تموت:

تحدثت إليكم من قبل عن المبشّرات، هذه المبشّرات من القرآن والسنة، ومن التاريخ والواقع، أنّ هذا الإسلام لن تغيب شمسهُ، ولن تنطفئ جذوته، وأنّه باقٍ ما بقيت الحياة، وأنّ الله وعد بأنّ يظهره على الدين كلّهُ ولو كره المشركون، وأنّ هذه الأمة أمة الإسلام باقية حية لا تموت ولن تموت؛ لأنّها الأمة الخاتمة للرسالة الخاتمة.

ليس بعد الإسلام شريعة، ولا بعد القرآن كتاب، ولا بعد مُحَمَّد نبي، وهذه الأمة هي الأمة الأخيرة التي حمّلها الله الرسالة الأخيرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

الأمة الإسلامية محفوظة من الاستئصال:

ولهذا حفظها الله من أن تُستأصل، وعد الله ألا يهلكها بالكوارث، والزلازل، والغرق، والمجاعة ونحوها، ووعد الله رسوله وضمن له ألا يسلب عليها عدواً من غيرها، فيستبيح بيضتها، ويستأصل شأفتها.

عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ زَوْي لِي الْأَرْضِ، فَرَأَيْتَ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَلَكَهَا مَا زَوْي لِي مِنْهَا، وَأَعْطَيْتَ الْكَنْزِينَ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَلَّا يَهْلِكَهَا بَسَنَةَ عَامَّةٍ، وَأَلَّا يَسْلُطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحُ بِيضْتَهُمْ، وَإِنْ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتَ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَلَّا أَهْلِكُهُمْ بَسَنَةَ عَامَّةٍ، وَأَلَّا أَسْلُطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بِيضْتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَاقِطَارِهَا - أَوْ قَالَ: مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»^(١).

الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ تَمْرُضُ وَلَكِنَّهَا لَا تَمُوتُ:

هذه الأمة باقية حية لم تمت، ولن تموت، ولكنها تمرض، تعثرها الأمراض والعلل كما تعثر سائر الأمم، وتنفذ فيها سنن الله وقوانينه في الكون والمجتمع، كما تنفذ قوانينه وسننه في الأمم الأخرى، ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]. هذه الأمة لا تموت ولكنها تمرض.

وقد لقيني أحد الإخوة الصالحين النابهين، وقال لي: حبذا لو حدثتنا عن هذه الأمراض التي تعثر الأمة؛ حتى نكون على بينة منها، وحتى نكون على حذرٍ منها، وحتى نحاول أن نعالجها إذا كان لها علاج. وكلُّ علّة لها علاج، «ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء، علّمه من علّمه، وجهله من جهله»^(٢).

(١) رواه مسلم في الفتن وأشراط الساعة (٢٨٨٩)، وأحمد (٢٢٣٩٥).

(٢) رواه أحمد (٣٥٧٨)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. والحاكم في الطب (٣٩٩/٤)، وصحّحه،

ووافقه الذهبي، والبيهقي في الضحايا (٣٤٣/٩)، عن ابن مسعود.

هذا في الأمراض الماديّة، وفي الأمراض المعنوية، في أمراض الأفراد، وفي أمراض الجماعات والأمم.

ولقد استجبت لهذا الأخ الكريم، وأردت أن أحدثكم عن الأمراض والعلل والأدواء التي أصابت أمتنا في تاريخها، وفي واقعها، فأخّرتها بعد أن كانت متقدمة، وجعلتها في ذيل القافلة بعد أن كانت في الطليعة.

الأمة الإسلامية أمة رائدة:

الأمة الإسلامية كانت الأمة الأولى حوالي ألف عام تقريباً، كانت هي الأمة الرائدة والقائدة في العالم كلّ، كانت هي أمة العلم والحضارة، كانت مدارسها وجامعاتها مؤثلاً لطلاب العلم من العالم، وكانت كتب علمائها هي المراجع العلميّة للعلماء والأطباء والفيزيائيين والكيميائيين وغيرهم.

كانت هذه الأمة هي الأمة الأولى، اللغة العربيّة هي لغة العلم والحضارة في العالم.

أقامت هذه الأمة حضارتها على هدى من كتاب ربّها، وسنة نبيّها، أقامت حضارة لا تماثلها حضارة، حضارة جمعت بين الرّبانيّة والإنسانيّة، مزجت بين الماديّة والروحيّة، حضارة وصلت الأرض بالسماء، ووصلت الإنسان بخالقه، حضارة لا نظير لها في التاريخ.

ثم أصاب هذه الأمة ما أصابها من أمراض وعلل.

أمراض الأمة:

هناك - كما قلنا - : أمراض وعلل أصابت الأمة، سنتحدث عنها اليوم وفي الجمع المقبلة، وهي:

سوء الفهم للدين:

أول هذه الأمراض، وأولى تلك العلل: أنها أساءت الفهم لدينها، لكتاب ربها، لسنة نبيها، فقدت الفقه الصحيح في جملتها، الفقه الذي من آتاه الله إياه فقد آتاه الخير، الفقه في الدين، والفقه في السنن، والفقه في الواقع، الفقه بمعناه القرآني والنبوي.

القرآن تحدّث عن الفقه، ليس هو الفقه بالمعنى الاصطلاحي الذي اشتهر بعد ذلك، وأصبحنا نطلق كلمة الفقه على من يعرف الأحكام الفرعية العملية التفصيلية، من يعرف أحكام الطهارة من: الوضوء والاستنجاء والحيض والنفاس، وأحكام الصلاة، والمعاملات، والزواج والطلاق والرضاع، هذه الأحكام الجزئية المتناثرة.

الفقه بهذا المعنى: هو معنى اصطلاحى، ولا مشاحة في الاصطلاح.

الفقه المفقود هو الفقه بسنن الله:

ولكن الفقه القرآني شيء آخر، شيء أعمق من هذا، جاء في القرآن المكي قبل أن تُشرع الأحكام، وقبل أن تُشرع الأنظمة، وقبل أن يأتي فقه العمل، الله تعالى يقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨]، ﴿نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، ومنها يتكاثر الناس، ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾، آيات الله وسننه، ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾، عندهم فقه، عندهم نور في عقولهم وقلوبهم، يستطيعون أن يقرؤوا آيات الله المبتوثة في كونه، هذا في سورة الأنعام المكية.

وفي هذه السورة يقول الله تعالى منذراً المشركين، ومخوفاً غيرهم: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥].

خصائص السنن الإلهية:

الفقه إذن فقه في آيات الله، فقه في سنن الله وَعَجَلِكُ ، والله سنن تُسَيِّر هذا الكون في قوانينه الماديّة وقوانينه الاجتماعيّة، وهي سنن عامّة، وسنن ثابتة، لا تلين لأحد، ولا تحابي أحداً، تجري على الأقدمين كما تجري على المتقدمين، تجري على المؤمنين كما تجري على الكافرين، سنن عامّة، وسنن ثابتة.

من هذه السنن:

١ - سنّة التغيير: أَنَّ اللَّهَ يُبَدِّلُ مَا يَشَاءُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿ [الأنفال: ٥٣].

٢ - سنن النصر: ﴿إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، ﴿وَلِيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

٣ - النصر لا يكون إلا للمؤمنين وبالمؤمنين، كما قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ﴾ [الأنفال: ٦٢]، سنن النصر، سنن التغيير.

٤ - سنن التداول: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

الأمر بالاطلاع على سنن الله:

القرآن مليء بالتنبيه على هذه السنن، ويأمرنا أن نسير في الأرض وننظر فيها، ونطلع على سنن الله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

القرآن المكي يحدثنا عن هذا الفقه، فقه الآيات، فقه السنن.

المشركون والمنافقون محرومون من فقه الآيات:

والقرآن المدني حدّثنا - أيضاً - عن هذا الفقه، وأنّ الله حرم منه المشركين، وحرم منه المنافقين، في سورة الأنفال يقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥].

طاقة المؤمن بطاقة عشرة من المشركين:

﴿يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، المؤمن ممكن أن يعمل بطاقة عشرة من غير المؤمنين، عنده من الطاقة والقدرة ما يوازي عشرة من غيره، هذا في الميدان العسكري، وفي الميدان الاقتصادي، وفي الميدان الحضاري، المؤمن بعشرة، لماذا؟

يقول الله: ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥]، هؤلاء الكفرة ليس عندهم فقه أهل الإيمان، ليس عندهم نور البصيرة، طمست أعينهم فلا ترى، وختم على آذانهم فلا تسمع، وطبع على قلوبهم فلا تفقه.

المنافقون لا يفقهون هذا الفقه:

وكذلك وصف الله المنافقين في كتابه في آيات عدّة كثيرة وفي رواية بأنهم لا يفقهون، المنافقون لا يفقهون، النفاق أعمى بصائرهم، وغشى على عقولهم وقلوبهم فما عادوا يفقهون شيئاً، وهذا واضح في سورة التوبة، وفي سورة «المنافقون»، يقول الله تعالى عن المنافقين: ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨٧].

﴿وَقَالُوا لَا نَفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١].

﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَكُمْ مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا ﴾ (تسللوا) صَرَكَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿ [التوبة: ١٢٧].

وفي سورة «المنافقون» يقول الله تعالى: ﴿ ذَلِكِ بِأَنَّكُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون: ٣].

الفقه أخص من العلم وأعمق منه:

هذا هو الفقه الذي نريده نحن من الأمة الإسلامية، وفي فترات المرض والضعف فقدته الأمة، لم تفقه دينها ولم تفقه دنياها، لم تفقه الدين الذي جاء به الحديث: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»^(١).

لم يقل: يعلمه، الفقه أخص من العلم، وأعمق من مجرد العلم، العلم يتصل بالرأس فقط، والفقه يتصل بالرأس والقلب معاً.

النفي للفتقه في الدين:

ويقول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً ﴾ لا بد أن يكون هناك توزيع للاختصاصات، لا ينبغي أن يهرع كل المؤمنين للنفي للجهاد، هناك نفي آخر، نفي للعلم، للفتقه، للفتقه في الدين، ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢]، ﴿ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾، الفقه في الدين هو المطلوب.

معنى الفقه في الدين:

والفقه في الدين ليس معناه أن تعرف أحكاماً متناثرة لا يربطها رابط،

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٧١)، ومسلم في الزكاة (١٠٣٧)، عن معاوية.

ولكن أن تعرف أسرار الدين، أن تدرك مقاصد الدين، أن تربط جزئيات الدين بكتلياته، أن تصل ظواهره بمقاصده، ألا تكتفي بالوقوف عند حرفية النص، ولكن أن تدرك ما وراءه.

الأحكام شرعت لأهداف ومقاصد:

فإن الله ﷻ لم يشرع هذا الدين، ولم يشرع أحكامه إلا لأهداف ومقاصد، فهل حققنا هذه المقاصد أو لم نحققها؟

الله تعالى علل الأحكام التعبدية، حتى التعبديات من صلاة وصيام، وزكاة وحج، جعل لها في القرآن عللاً، وجعل لها أهدافاً وثمرات^(١).

الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

والزكاة تطهرهم وتزكيهم: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

والصيام لتحقيق ملكة التقوى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

والحج: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨].

هناك علل للأحكام، هناك مقاصد للشريعة، فلا بد للمسلمين أن يدركوا هذا.

(١) انظر كتابنا: العبادة في الإسلام ص ١٠٧ - ١٦٨، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢٩، ١٤٣٠هـ -

ولكن المسلمين حينما ساء فهمهم للإسلام وقفوا عند الظواهر وتركوا المقاصد، ساء فهمهم للإسلام.

من إساءة الفهم الزيادة في الدين:

في الزمن الأول زادوا على الإسلام ما ليس منه، فأحدثوا في الدين بدعًا ما أنزل الله بها من سلطان، ولا قام عليها دليل ولا برهان، مع التحذير النبوي: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»^(١).

«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^(٢).

«إياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»^(٣).

الإسلام أتباع في الدين وابتداع في الدنيا:

كان الصحابة رضوان الله عليهم، وتلاميذهم، وتلاميذ تلاميذهم يفهمون هذا، أنّ الإسلام أتباع في الدين، وابتداع في الدنيا، في أمور الدين يُطلبُ الاتّباع؛ فإنَّ الله تعالى قد أكمل هذا الدين ولا يحتاج إلى زيادة، وفي أمور الدنيا الأصل فيها الابتكار والإبداع، وهذا ما جرى عليه المسلمون أيام ازدهار الإسلام.

فلمّا مَرَضَ المسلمون وَضَعُوا عكسوا الآية، زادوا في أمور الدين، وابتدعوا، وابتكروا من عندهم أشياء، وجمدوا في أمور الدنيا، عكسوا

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الصلح (٢٦٩٧)، ومسلم في الحدود (١٧١٨) (١٧).

(٢) رواه مسلم في الحدود (١٧١٨) (١٨)، عن عائشة.

(٣) رواه أحمد (١٧١٤٤)، وقال مخرّجوه: صحيح. وأبو داود في السُّنَّة (٤٦٠٧)، والترمذي في

العلم (٢٦٧٦)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في العلم (١٧٤/١)، وصحّحه، ووافقه الذهبي،

عن العرباض بن سارية.

الأمر على خلاف ما ينبغي أن يكون، فبعد أن كانوا هم المبتكرين، وهم أهل الاختراع والابتداع في أمور الدنيا، أصبحوا هم الجامدين!

المسلمون أصحاب العلم التجريبي:

وجاء العصر الحديث ونحن غرباء عن العلوم الكونية، ونحن الذين ابتدعناها، نحن الذين ابتكرنا المنهج العلمي التجريبي، الذي ينسبه الغربيون إلى «فرنسيس بيكون» وإلى «روجر بيكون»، مع أن المنصفين من مؤرخيهم يقولون: إن هذين إنما أخذوا هذا المنهج من الحضارة العربية الإسلامية.

المسلمون أول من طبّقوا المنهج التجريبي:

نحن الذين ابتكرنا هذا المنهج وطبقناه في الطب والفيزياء والكيمياء وغيرها، ونقينا العقل العلمي من الخرافات التي كانت سائدة في ذلك الوقت. نقلنا عن اليونان، ونقلنا عن الهنود، ونقلنا عن الرومان، ونقلنا عن غيرهم، ولكننا هذبنا وأضفنا وابتكرنا علومًا جديدة، مثل: علم الجبر، نحن الذين اخترعناه، اخترعه مُحَمَّد بن أبي بكر الخوارزمي؛ ليحل مسائل في الوصايا والمواريث، كما تشهد بذلك رسالته التي ألفها، «الاستقصاء في الجبر والمقابلة»، وكان فيها مبتكرًا لعلم الجبر، هكذا كنا نحن.

الأزهر يُسمّي العلوم التجريبية بالعلوم الحديثة:

نحن المسلمين الذين اخترعنا المنهج العلمي والمنهج التجريبي، ثمّ نسينا هذا وغفلنا عنه، فلما جاء الأزهر في الربع الثاني من هذا القرن وأراد أن يطور المعاهد، قرر دراسة هذه العلوم، وسمّاها: العلوم الحديثة،



الطبيعة والكيمياء والفيزياء والأحياء والرياضيات وغيرها، سمّاها: العلوم الحديثة، والواقع أنّها ليست حديثة، إنّها علوم قديمة، والمسلمون أساتذة فيها للعالم، ولكن هكذا مرّضت الأمة، مرّضت الأمة فأساءت الفهم لدينها، وأساءت الفهم لديناها.

الحذف من الدين:

مرّضت الأمة فأساءت الفهم لدينها، وأساءت الفهم لديناها، كان الأقدمون يزيدون في الدين، يخترعون أشياء يُضيفونها للدين، في عصرنا هذا أصبحت البدعة الجديدة هي الحذف من الدين!

الناس يريدون أن يحذفوا من الدين ما لا يروق لهم!

فهنالك من يريد أن يكون هذا الدين عقيدة بلا شريعة، ومن يريد ديناً بلا دولة، ومن يريد أخلاقاً بلا جهاد، ومن يريد عبادة بلا قيادة، ومن يريد زواجاً بلا طلاق، وهكذا، يريدون أن يحذفوا من الدين ما هو من صلبه، أي دين هذا الذي يريدون؟

إرضاء الغرب ولو على حساب الدين:

إنهم يريدون ديناً يروق للغربيين، فإذا كان الغربيون ينكرون الجهاد، فلا بدّ أن نحذف الجهاد حتّى يمدحنا الغربيون.

وإذا كان الغربيون ينكرون الرّبّاء، فلنحذف الرّبّاء من الاقتصاد الإسلامي.

وإذا كان الغربيون ينكرون حجاب المرأة، فلنحذف هذا من التشريع الإسلامي.

وإذا كان الغربيون ينكرون قيام دولة على أساس من الشرع والدين، فلنحذف الدولة من النظام الإسلامي.

هذا ما يريده هؤلاء، هل نستجيب لهذه الوسوس، وهذه الهواجس ونغيّر ديننا كما أنزله الله، وكما دعا إليه رسوله، وكما فهمه أصحابه، وكما طبّقه الراشدون من خلفائه، وكما استمرّ العمل به في القرون الأولى، وهي خير قرون هذه الأمة؟ هل نغيّر ديننا لنرضي هؤلاء؟

الغرب لا يرضيه إلا الكفر بديننا:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ عَنْ هَؤُلَاءِ: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، حَتَّىٰ وَلَوْ حَذَفْنَا هَذَا مِنَ التَّشْرِيعِ الْإِسْلَامِيِّ، لَنْ يَرْضِيهِمْ، لَا يَرْضِيهِمْ إِلَّا أَنْ نَكْفُرَ بِهَذَا الدِّينِ وَنَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

نحن مطلوبٌ منّا إذن أن نفقه ديننا، المسلمون أصيبوا في عصور التراجع وعصور الهزيمة والانحطاط في التاريخ الإسلامي، أصيبوا بسوء الفهم، سوء الفقه لهذا الدين، لم يفقهوا دينهم كما ينبغي.

سوء الفهم لعقيدة الإيمان والقدر:

أساء المسلمون فهم عقيدة القدر، عقيدة القدر ليس معناها أنها عقيدة الجبر.

القدر معناها: أن هذا الكون لا يسير جزافاً، ولا يمضي اعتباراً، وإنما كلُّ شيءٍ فيه بحساب وميزان، وبتقدير للكبير وللصغير، وللجليل وللحقير: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (أي بحساب) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن: ٥ - ٧] بحسبان، أي: بحساب.

كل شيء في هذا الكون بتقدير من الله، علمه الله قبل أن يقع، وقدره قبل أن يقع، ويعلمه بعد أن يقع، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

الإنسان مسؤول عن عمله:

ليس معنى هذا أن الله الذي علم وقدر أجبر الناس على أعمالهم، فهذا ما تردّه النصوص، وما تردّه الفطرة والحس والمشاهدة، النصوص تحمل الإنسان المسؤولية: ﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الإسراء: ١٥]، ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

الإنسان هو الذي يحمل مسؤولية نفسه، هو الذي يصنع مستقبله بقدر الله وَعَلَىٰ، هو الذي يخطُ مصيره بيده، ولذلك يتحمل مسؤوليته، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨].

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ولذلك لو فقد الإنسان إرادته، أو فقد وعيه، أو فقد عقله، لم يعد مكلفاً، ومن هنا «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المبتلى حتى يعقل»^(١).

(١) رواه أحمد (١٣٢٨)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود (٤٣٩٩)، والترمذي (١٤٢٣)، كلاهما في الحدود، وقال: حسن غريب. وصحّحه الألباني في مشكاة المصابيح (٣٢٨٧)، عن علي بن أبي طالب.

رفع القلم والتكليف عن المضطر: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

رفع عن المكره: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦].

الإنسان حرٌّ مخيرٌ في حدود السنن الإلهية:

عقيدة القدر ليس معناها الجبر، الإنسان حرٌّ مختار، مخيرٌ لا مسيرٌ، ولكن في دائرة السنن التي وضعها الله في هذا الكون، في دائرة ما هيأ الله من أسباب ومسببات، وعلى قدر مُكْنَتِهِ تكون مسؤوليته، ولهذا لا يتساوى الناس في المسؤولية؛ المسؤولية على قدر المُكْنَةِ، وعلى قدر الطَّاقة، ولا تكلف نفسٌ فوق طاقتها: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧]، ولكن المسلمين في عصور الضعف والانحطاط وإلى اليوم أسأؤوا فهم عقيدة القدر.

القدر مصدرٌ للقوة:

المسلمون الأولون اتخذوا من عقيدة القدر مصدرًا للقوة، فما كانوا يبالون أوقعوا على الموت أم وقع الموت عليهم؛ كانوا يخوضون المعارك وهم يعلمون أن ما كتب الله عليهم واقع، كما حكى الله تعالى عنهم: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]، ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ وكما قال الإمام علي رضي الله عنه وهو يخوض المعارك: أيُّ يومٍ من الموت أفرُّ يوم لا يُقَدَرُ أم يوم قُدِرَ يوم لا يُقَدَرُ لا أخذره ومن المقدور لا يُنَجَى الحذر^(١)

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه (١٢٤/٦)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ.

إذا كان مقدرٌ عليّ فلن يغني عنه الحذر، وإذا لم يكن مقدرًا فلماذا
أحذر وأهاب، وأرهب وأخاف؟

كانت عقيدة القدر قوةً للمسلمين، ولكن حينما ساء فهم المسلمين
لها، أصبحت مصدر ضعف، وأصبح الناس مستسلمين؛ لأن لا حول لهم
ولا طول.

ألقاه في اليم مكتوفًا وقال له إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تبتل بالماء^(١)!
أو كما قال آخر:

كريشة في مهب الريح طائرة لا تستقر على حالٍ من القلق^(٢)
فهذا هو شأن الإنسان، ريشة تحركها رياح الأقدار ولا إرادة له
ولا اختيار، ولا حول ولا طول، هذا سوء فهم أصاب الأمة الإسلامية
فكان أحد أمراضها.

إساءة الفهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

أساءت الأمة كذلك في هذا الأمر في موضوع الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر، من سوء فهمها للقدر أنها تركت الأشرار والفجار
والطغاة والظالمين يعيشون في الأرض فسادًا، ولم تقم بما ينبغي من
تقويم لهؤلاء، أو وقوفٍ في وجوههم، مغيرين للمنكر باليد إن
استطاعوا، فإن لم يستطيعوا باللسان، فإن لم يستطيعوا فبأضعف
الإيمان.

(١) القائل: حسين بن منصور الحلاج، انظر: تاريخ آداب العرب لصديق الرافعي (٣/٨٨)، نشر
دار الكتاب العربي.

(٢) ديوان المتنبي ص ٢٣٤.

عن أبي سعيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»^(١) بالكرهية بالقلب، والكرهية بالقلب معناها: ألا تعايش المنكر، وتبتعد عنه، من لم يستطع أن يزيل المنكر فليزل عنه.

سوء الفهم للقضاء أنتج السلبية أمام الفساد:

كانت نتيجة سوء الفهم لعقيدة القدر هذا الموقف من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشاع بين الناس هذه المقولة: أقام العباد فيما أراد. تقول له: هيا نصلح ما فسد من أحوال الأمة، تعال نضع أيدينا بعضنا مع بعض؛ لنقوم العوج ونصلح الفساد.

فيقول لك: ماذا نفع، دع الخلق للخالق، واترك الملك للمالك، أقام العباد فيما أراد.

أين إذن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي جعلها الله السبب الأول في خيرية هذه الأمة؟

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله؛ ليلفت الأنظار إلى أهميته حتى لا يغفل الناس عنه، وحينما وصف الله مجتمع المؤمنين قال: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [التوبة: ٧١].

(١) رواه مسلم في الإيمان (٤٩)، وأحمد (١١٤٦٠).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشمل المؤمنات:

قبل أن يصف الله مجتمع المؤمنين والمؤمنات بالصلاة والزكاة، وصفهم بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ليس هذا خاصاً بالمؤمنين، هو - أيضاً - يشمل المؤمنات، فكما أن مجتمع المنافقين بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، فمجتمع المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، كل إنسان له الولاية على أخيه بحكم سلطة الإيمان المشترك، ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، ولذلك وقفت المرأة في المسجد وردت على عمر رضي الله عنه وقال لها: أصابت المرأة وأخطأ عمر^(١).

هذا هو المجتمع المسلم.

لعن من ضيَّع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

المسلمون ضيَّعوا هذه الفريضة التي لعن الله بني إسرائيل حينما ضيَّعوها: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨]، ماذا كان عصيانهم واعتداؤهم؟ ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩]، كان لا ينهى بعضهم بعضاً عن منكر

(١) رواه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥٠٥٩)، والبيهقي في الصداق (٢٣٣/٧)، وقال: منقطع. ورواه من طريق آخر عن بكر بن عبد الله المزني عن عمر، وقال عقبه: مرسل جيد. وساقه ابن كثير في تفسيره (٢٤٣/٢، ٢٤٤) بإسناد أبي يعلى، عن مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن مسروق، عن عمر، وقال عقبه: إسناده جيد قوي. وكذلك قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢٩٦/١، ٢٩٧)، والسخاوي في المقاصد الحسنة (٨١٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أبو يعلى في الكبير، وفيه مجالد بن سعيد، وفيه ضعف. وقد ذكرها ابن كثير في تفسير سورة النساء (٢١٣/٢)، وقال: إسناده جيد.

فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون، هل يلعن الله بني إسرائيل؛ لأنهم أضاعوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويرحمنا نحن إذا أضعناه؟! لا فالله لا يكيل بمكيالين، ولا يزن بميزانين.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ: يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِّ فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ». ثُمَّ قَالَ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨ - ٧٩].

ثم قال: «كلا والله لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر، ولتأخذنَّ على يد الظالم، ولتأطرنَّه على الحقِّ أطراً، ولتقصرنَّه على الحقِّ قصراً، أو ليضربنَّ الله بقلوب بعضكم على بعض، ثمَّ ليلعننكم كما لعنهم»^(١).

ما يجري على غيرنا يجري علينا:

والله ذكر لنا هذا في القرآن؛ ليكون لنا منه عظةً وعبرةً، فما يجري على غيرنا يجري علينا، كيف نسكت عن المنكر ونقول: أقام العباد فيما أراد، والنصيحة هي الدين كما جاء في الحديث الصحيح: «الدين النصيحة».

قلنا: لمن؟

قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(٢).

(١) رواه أبو داود في الملاحم (٤٣٣٦)، والترمذي في الدعوات (٣٠٤٧)، وقال: حسن غريب.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٥٥)، وأحمد (١٦٩٤٠)، عن تميم الداري.

أي: للحكام والمحكومين، والرؤساء والمرؤوسين، الدين النصيحة لهم.

شروط النجاة من الخسران:

وفي سورة العصر يذكر الله تعالى شروط النجاة من الخسران؛ خسران الدنيا والآخرة، فيجعل منها التواصي بالحق والصبر: ﴿وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

معنى ﴿وتواصوا﴾ أي: أوصى بعضهم بعضًا، كلُّ واحد يوصي الآخر. هذا هو شأن المجتمع المؤمن الناجي من الخسران، إنه ليس فيه أحدٌ أصغر من أن يوصي، ولا أحدٌ أكبر من أن يوصى، التناصح والتواصي هو المشترك العام بين هذا المجتمع كله.

ولهذا فإذا ضاعت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع، يمكن أن يحلَّ به البلاء، يحلُّ البلاء بالجميع، وخصوصًا إذا ضيَّعوا المعروفات الكبرى، وسكتوا عن المنكرات الكبرى.

المنكرات الكبرى في الأمة:

ومن المنكرات الكبرى: أن يشيع الفساد في الناس، وتضييع الحقوق، وتنتهك الحرمات، وتضييع الفرائض والأركان الأساسية للإسلام، وتشيع الفاحشة، ومع هذا لا يغضب الناس لله، لا تحمر وجوههم غضبًا لله ولحرماته المنتهكة!

هذا هو الخطر.

الخطر أن يسكت النَّاس على المنكر حتَّى يتفاقم ويزداد، يتفاقم ضرره، ويتعاضم خطره، ويتطير شرره، فإذا بالشرارة تصبح حريقًا هائلًا، حريقًا لا يأكل الأحجار والمباني، ولكنه يأكل القيم والمعاني، حريقٌ يأكل الأخضر واليابس، ويأكل الأمة حينما يسكت الساكتون على المنكر. أصاب الأمة هذا المرض، مرض السكوت على المنكر، نتيجة سوء فهمها لدينها، أو هكذا تعلَّت بالأقدار، علَّت سكوتها وتقايسها أن تقول للظالم: يا ظالم.

في الحديث عن عبد الله بن عمرو، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا رأيتم أمتي تهاب الظالم أن تقول له: أنت ظالم، فقد تودع منهم»^(١). يعني: لا خير فيها، بطن الأرض خير لها من ظهرها، إذا هابت أن تقول للظالم: يا ظالم.

معناها: أن الأمة فقدت الشجاعة، فقدت اليقين، فسكتت عن الظالمين، وهابت أن تقول له: يا ظالم.

فكيف إذا قالت الأمة للظالم: أيُّها البطل، أيُّها المنقذ، أيُّها المحرّر، أيُّها الهمام، وألقت عليه من الأوصاف والنعوت ما لا يستحق ذرةً منها؟! كيف يكون الحال في أمة تصنع هذا؟

هذا هو الخطر الذي أصاب الأمة، أصاب الأمة؛ لأنّها أساءت الفهم

(١) رواه أحمد (٦٧٨٤)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والحاكم في الأحكام (٩/٤)، وصحّح إسناده، ووافقه الذهبي، والبخاري (٢٣٧٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢١١٠): رواه أحمد والبخاري بإسنادين، ورجال أحد إسنادي البخاري رجال الصحيح، وكذلك رجال أحمد. عن عبد الله بن عمرو.

لدينها، أساءت فهم العقيدة، وأساءت فهم الشريعة، وأساءت فهم الأخلاق، أدخلت على الدين ما ليس منه، وأخرجت من الدين ما هو من صلبه، ولبست الدين كما يلبس الفرو مقلوبًا، كما قال الإمام علي رضي الله عنه (١).
هذا بعض ما أصاب الأمة من حيث الفهم.

التوكل هو الأخذ بالأسباب:

وكما أساءت الأمة - أيضًا - فهم القدر، أساءت فهم التوكل، فظنت أن التوكل هو التواكل، هو اطراح الأسباب، هو أن تدع الأمور تجري في أعنتها، وتدع الحبل على الغارب، وتنتظر مدد السماء.
لا، ما هذا هو التوكل.

التوكل الذي فهمه سلف هذه الأمة: أن تأخذ بالأسباب وفق سنن الله، وأن تدع النتائج لرب الأرباب، هكذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم، حينما أراد الهجرة رتب الأمر أفضل ما يكون الترتيب البشري، هيأ الرفيق الذي يسافر معه، هيأ الرواحل التي سيركبها، هيأ الدليل الذي يدلّه في طريقه، حدّد الغار الذي سيختفي فيه، من يأتي له بالطعام والزاد وهو في الغار، هيأ كلّ هذا، فلما جاء المشركون إلى باب الغار الذي يختفي فيه ووقفوا على بابه، قال أبو بكر: يا رسول الله، لو أنّ أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: «ما ظنك - يا أبا بكر - باثنين الله ثالثهما» (٢).

خذ بالأسباب، والنتائج لرب الأرباب، هذا هو التوكل.

(١) انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١٩١/٧)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار إحياء التراث العربية، عيسى البابي الحلبي، مصر.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٦٦٣)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٣٨١).

عندما جاء أعرابي وترك ناقته أمام المسجد وقال: يا رسول الله أعقلها
وأتوكل أو أطلقها وأتوكل؟

قال: «اعقلها وتوكل»^(١).

فالتوكل لا ينافي الأسباب، ولكن المسلمين - للأسف - تركوا
الأسباب لغيرهم.

شروع الفكر الخرافي عند المسلمين:

وقد شاع عند المسلمين فكرة الكرامات وخوارق العادات، وأن
الإنسان يستطيع أن يكون في بلد ويصلي في بلد آخر! من أهل الخطوة
كما يقولون، وأنه ليس هناك أهمية لهذه الأسباب ولا لهذه السنن.

فقدت السنن والأسباب قيمتها عند المسلمين، وشاع هذا الفكر الخرافي.

ثبوت الكرامات:

الكرامات ثابتة، ولكن الإشاعات التي تنطلق بها السنة الناس حول
هذا وذاك، وتكثير هذه الأشياء، أمر لا يقبل ولا يعقل، كم كرامة وقعت
للصحابه وهم أفضل أجيال هذه الأمة؟

أشياء معدودة، أمّا هذا الركام الهائل المذكور في كتب الرقائق
والتصوف وغيرها أشياء لا تكاد تصدق.

المسلمون أسأؤوا فهم الأسباب، وأسأؤوا فهم السنن، ولذلك تخلفوا
حين تقدم غيرهم، وناموا حينما استيقظ غيرهم، ورددوا وقعدوا حينما
هب غيرهم، وحدث ما حدث.

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٥١٧)، وقال: حديث غريب. وأبو نعيم في حلية الأولياء
(٣٩٠/٨)، وحسنه الألباني في تخريج مشكلة الفقر (٢٢)، عن أنس.



إساءة فهم الزهد في الدنيا:

أساء المسلمون فهم قضية الزهد، الزهد في الدنيا، وظنوا أنّ الزهد في الدنيا: أن تترك الدنيا للكفرة؛ فالدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة، ولو كانت تساوي عند الله جناح بعوضة، ما سقى الكافر منها شربة ماء، كما في الحديث، عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»^(١).

وهذا سوء فهم.

صحيح أنّ الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، ولكن لا بدّ أن نعمل للدنيا، ونتج فيها، ونكون سادتها، أن نضع الدنيا في أيدينا ولا نضعها في قلوبنا، أن نملك الدنيا ولا تملكنا، أن نسخرها ولا تسخرنا، أن نستخدمها ولا تستخدمنا، نستخدمها في خدمة دين الله، في طاعة الله، في سبيل الله، وهذا ما صنعه المسلمون الأوائل، فكافأهم الله بأن أعطاهم الدنيا، فقال: ﴿فَعَانَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤٨].

ولذلك كان أكثر ما يدعو به النبي ﷺ - كما روى أنس - هذا الدعاء القرآني: ﴿رَبَّنَا آئِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]^(٢).

(١) رواه الترمذي في الزهد (٢٣٢٠)، وقال: صحيح غريب. وابن ماجه في الزهد (٤١١٠)، والحاكم في الرقاق (٣٠٦/٤)، وصحّحه، وقال الذهبي: زكريا بن منظور ضعّفوه. وصحّحه الألباني في الصحيحة (٩٤٣)، عن سهل بن سعد.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٨٩)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٠).

الصحابة يعملون للدنيا والآخرة:

لا بد أن نعمل للدنيا كما نعمل للآخرة، وهكذا كان الصحابة يعملون لدنياهم كما يعملون لآخرتهم، وكان في الصحابة الأغنياء والتجار، ومن العشرة المبشرين بالجنة عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وكل هؤلاء من كبار أثرياء الأمة، حتّى إنَّ عبد الرحمن بن عوف حينما تُوفي ترك ذهبًا، قال ابن سعد: إنَّه قُطِعَ بالفؤوس^(١)! كميات هائلة من الذهب، غير العقارات، غير الأموال السائلة.

هذا هو شأن هذه الأمة.

المسلمون تركوا الدُّنيا وعاشوا عائلة على غيرهم:

المسلمون أساؤوا فهم الزهد، وفهموا أنَّ الزهد هو أن تترك الدُّنيا يأخذها الكفار، ويعملون فيها، ويستمتعون بطيباتها، حتّى جاء العصر الحديث ونحن خارج هذه الدنيا، نحن عائلة على غيرنا، لم نصنع في هذه الدُّنيا شيئًا يذكر، كل المصنوعات نستوردها، لا نكاد نصنع شيئًا إلاّ الأشياء التافهة، لم نصنع سيارة، لم نصنع محركًا، لم نصنع شيئًا، بعض البلاد الشريقيّة صنعت سيارات، صنعت قبلة نوويّة، مثل الهند، نحن ماذا صنعنا؟ لم نصنع شيئًا؟

نحن إذن لم نفهم الحياة كما ينبغي، كيف نقود الكون؟ كيف نكون أئمة؟ كيف نكون الأمة الوسط التي تشهد على الناس؟ ونحن نمد أيدينا

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/١٣٦)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية،

بيروت، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

إلى غيرنا! نحن بلاد زراعية ومعظم بلاد المسلمين تستورد أكثر من نصف أقواتها! لا تملك الرغيف الذي تأكله!

نحن أمة سورة الحديد، ومع هذا لم نتقن صناعة الحديد! الله تعالى يقول: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ إشارة إلى الصناعات الحربية، ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾: إشارة إلى الصناعات المدنية، ونحن لم نحسن الصناعات الحربية ولا الصناعات المدنية، نحن عالة على غيرنا حتى في القوت، وعالة على غيرنا في السلاح! لا نصنع سلاحنا بأيدينا، إنما نستورده من غيرنا، وهو لا يعطينا منه إلا بقدر، إلا في ضوء سياسته، وحينما يرى أن هذا السلاح سيصبح خطرًا عليه، أو على أحد يواليه، سيمنعه عنا، سيكف يده عنا، وهذا ما حدث.

يا أيُّها الإخوة، إنَّ أوَّل ما أصاب هذه الأمة من أمراض هو سوء الفهم لدينها ودنياها، والموضوع طويل الذبول، ولا بدَّ أن نعود إليه مرَّة ومرَّة ومرَّة؛ حتى نوفيه حقَّه.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

وضع المسلمين في البوسنة:

اتصل بي بالأمس أحد الإخوة القطريين الذين يعملون في البوسنة مع إخوانهم هناك، وبشّرنى بقوله: إنّ الإخوة في البوسنة - والحمد لله - قد انتشر فيهم التدين إلى حد كبير، والدعوة تعمل عملها.

فقد عاش هؤلاء النّاس بعيدين عن الإسلام تمامًا نصف قرن من الزمان، تحت وطأة الشيوعيّة الكافرة الجاحدة المستبدة، فعادوا إلى الإسلام، ومن الأشياء السارة أنّ الدولة هناك قررت تعليم اللغة العربيّة، والتربية الإسلاميّة، ابتداء من الصف الخامس الابتدائي، اللغة العربيّة تدرس كمادة أساسيّة، هذا شيء يسرُّ والحمد لله.

والإخوة صامدون هناك رغم ما يحاك لهم من مؤامرات، وما يكاد لهم من مكائد، لا تصدقوا هذه الأشياء التي تقول: إنّ فلانًا ذهب واتفق مع هؤلاء الصرب. إنّهم لا يباليون بهذه الاتفاقات، ويضربون بها عرض الحائط، ولا كلمة إلّا للقوة، ليس الخضوع لقوة المنطق، بل لمنطق القوّة.

تكلم السيف فاسكت أيّها القلم

هذا هو الذي يجري هناك، ولذلك يجب علينا أن نساعد إخواننا، وخصوصًا في هذه الأيام التي ينزل فيها الثلج بكثرة، حتّى أصبحت الطرق لا تستطيع أن تسير فيها السيارات للوصول إلى أهدافها، من إغاثة

المنكوبين، فليس لنا إلا أن ندعو لإخواننا أن يفرج الله عنهم كربتهم،
ويأخذ بأيديهم، ويهيئ لهم من أمرهم رشداً.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دُنياً التي
فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا
في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

اللهم طهر أعمالنا من الرياء، وطهر قلوبنا من النفاق، وطهر حياتنا
من العبث، وطهر ألسنتنا من الكذب، وطهر أنفسنا من الضعف، وطهر
أعيننا من الخيانة، إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

اللهم هب لنا من أمرنا رشداً، واجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل
غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي
الدُّنيا وعذاب الآخرة.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين.
اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين، اللهم انصر المجاهدين في
سبيلك حيثما كانوا.

اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهم رد عنا كيدهم، وقل
حدهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تجعل لهم سبيلاً على أحدٍ من
عبادك المؤمنين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].



اللهم صلِّ وسلِّم وباركْ على نبيِّك وعبدك ورسولك مُحَمَّد، وعلى
آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.
﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *





من أمراض الأمة: اختلال ميزان الأولويات

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

كنا نتحدّث عن أمراض الأمة، وقلنا إنّ هذه الأمة فقدت فقه السنن، وفقه الآيات، وفقه مقاصد الشريعة، واختل فيها ميزان الأولويات، مما أصيبت به هذه الأمة في عصرنا هذا وقبل عصرنا؛ في عصور التراجع الحضاري، والتخلف، والانحطاط الفكري والثقافي والاجتماعي والعمراني! اختل ميزان الأولويات، فلم تقدم ما حقه التقديم، ولم تؤخر ما حقه التأخير! صغرت الكبير، وكبرت الصغير، وعظمت الهين، وهونت الخطير، وأخرت الأوّل وقدمت الأخير، اختل ميزان الأولويات في الأمة كما جاء به الشرع، الشرع جاء بأولويات لكل شيء، ووضع لكل عمل ولكل حكم تسعيرة، هناك الأعلى وهناك الأدنى، هناك ما هو رقم واحد وما هو بضع وسبعون، والإيمان بضع وسبعون شعبة كما جاء في الحديث: «الإيمان بضع وستون - أو: بضع وسبعون - شعبة، أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق»^(١).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٩) مختصراً، ومسلم (٣٥)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

لم تميز الأمة ما يجب أن يقدم وما يجب أن يؤخر، والله تعالى يقول: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [التوبة: ١٩، ٢٠].

لا بد من أن نعرف الأولويات، والأمة اختل فيها ميزان الأولويات على مستوى الفرد،

وعلى مستوى الأسرة، وعلى مستوى المجتمعات، وعلى مستوى الأمة الإسلامية ككل؛ على مستوى الفرد أصبح الفرد لا يعرف ما يجب أن يقدم وما يجب أن يؤخر، بل قدم الدنيا على الدين، قدم الأولى على الآخرة، قدم الهوى على الحق، قدم المصلحة الفردية على مصلحة الجماعة والأمة، قدم المادة على الروح، قدم الكم على الكيف.

اختل ميزان الأولويات عند الفرد المسلم، فأصبح لا يبالي في باب العبادات بالسنة والبدعة: أمسنون هذا أم مبتدع؟

اختلال معيار الأخلاق والمعاملات:

لا يبالي في باب الأخلاقيات: أهذا فضيلة أو رذيلة؟

لا يبالي في باب المعاملات: أهذا حلال أم حرام، حلال أكلناه، حرام أكلناه، كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري: «يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ: أمن الحلال أم من الحرام»^(١). إنه يريد أن يجمع الثروة، يريد أن يجمع الدنيا بعضها على بعض، يريد أن يبني

(١) رواه البخاري في البيوع (٢٠٥٩)، عن أبي هريرة.

قصورا ولو من جماجم الخلق، وأن يزخرفها ولو بدماء النَّاس، يريد أن يزيد رصيده في البنوك الربوية بأي وسيلة كانت، لا يسأل الإنسان نفسه: من أين له هذا المال؟ أيستحقه أم لا يستحقه؟ الراتب الذي يأخذه عمل في مقابله عملا أم لم يعمل؟ أيستحق اللقمة التي تدخل إلى بطنه؟ الدرهم الذي يدخل إلى جيبه؟ المبلغ الذي يدخل إلى رصيده؟ ما يسأل الفرد نفسه هذا، اختل ميزان الأولويات في حياة الفرد!

اختلال نظام الحياة:

اختل نظام الحياة عند النَّاس، كان النَّاس قديماً في مثل هذا المجتمع ينامون بعد العشاء ويستيقظون قبل الفجر، تدب الحياة والحركة في النَّاس وفي المجتمع، الآن ماذا صنعت أجهزة الإعلام الحديث؟ إنها تُسَهِّر النَّاس حتَّى يناموا بعد منتصف الليل ولا يقومون إلا بعد أن تطلع الشمس، وقد ذُكر رجل عند النبي نام حتَّى أصبح - أي طلعت عليه الشمس - فقال: «ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه»^(١). يقول الحسن البصري رضي الله عنه: والله إن بوله لثقيل^(٢)! وما أكثر الذين أصبحت آذانهم مباول للشيطان، اختل نظام الحياة، كانت الصلاة هي التي تنظم الحياة في حركتها، كان المسلم ينام ويستيقظ حسب مواقيت الصلاة، ولكن الأمر اختل.

الولاء والبراء:

أصبح الشخص يوالي أو يعادي ليس حسب الدين كما جاء في

(١) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٧٠)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٧٤)، عن عبد الله بن مسعود.

(٢) رواه أحمد (٩٥١٦)، كما قال الحسن البصري رضي الله عنه.

الحديث: «أوثق عرى الإيمان الحبُّ في الله، والبُغْضُ في الله»^(١)، أن تحب لله وتكره لله، أن توالي لله وأن تعادي لله، أن تسالم لله وتحارب لله، لا لدنيا ولا لمصلحة، الدين هو الذي يحكم ولاءك وعدائك، الدين هو الذي يحكم بغضك وحبك، الدين هو الذي يحكم مسالمتك ومحاربتك، الله تعالى يقول: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءِآبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣]، الولاء والعداء لله.

ميزان الأولويات في الأسرة:

اختل ميزان الأولويات عند الفرد، واختل ميزان الأولويات في الأسرة: لم نعد نرى الأسرة المسلمة التي كان يظللها الحب والمودة والسكينة والرحمة، وهي الأركان التي جعلها القرآن دعائم للحياة الزوجية، ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]. أين السكينة والمودة والرحمة في حياة الأسرة؟ أين ما عبر عنه القرآن بقوله تعالى في الحياة الزوجية والعلاقة الزوجية: ﴿هُنَّ لِيَأْسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَأْسُ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

تبدأ الحياة الزوجية بداية خاطئة، الله تعالى ورسوله أمرا المسلم أن يحسن الاختيار، أن يحسن اختيار زوجته، فكما جاء في الحديث: «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة»^(٢)، لم يعد الإنسان يبحث عن المرأة

(١) رواه أحمد (١٨٥٢٤)، وقال مخرّجوه: حسن بشواهده. والطيالسي (٧٨٣)، وابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٤٧٩)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٣٠) حسن بمجموع طرقه. عن البراء بن عازب.

(٢) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٧)، عن عبد الله بن عمرو.

الصالحة، إنَّما يبحث عن المرأة الغنية، أو المرأة الجميلة، أو المرأة من الأسرة المشهورة، ما عاد الصلاح وما عاد الدين محور الاختيار، «فاظفر بذات الدين تربت يداك»^(١)، صاحبة الدين، صاحبة الأخلاق، التي تخشى الله وتراقبه في رعاية زوجها، ورعاية بيته وماله، ورعاية أولاده، وهي كما قال الله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَنِينَاتٌ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]. ما عاد الرجل في كثير من الأحيان يهتم بهذا إلا من رحم ربك.

وما عادت المرأة ولا الأسرة يهتمون بالرجل الصالح، الذي جاء في الحديث: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»^(٢). من ترضون دينه وخلقه، وهذا ما كان يسأل عنه السلف الصالح، كانوا يسألون عن دين الرجل، عن أخلاقه، يسألون عنه أرى في المسجد؟ أيحافظ على الصلاة؟ يسألون عن سلوكه، عن أخلاقياته، عن تعامله بالدينار والدرهم، يسألون جاره الأدنى الذي يعرف مدخله ومخرجه، يسألون من شاركه، يسألون من خالطه حتى يعرفوا دينه وخلقه.

الآن يبحثون عن الرجل ماذا يملك من عمارات؟ كم رصيده في البنك؟ من أي أسرة هو؟

معايير التقدير في المجتمع:

وكثيراً ما جاءتني رسائل وهواتف تشكو من شاب رُفض لا لشيء؛ إلا لأن لونه أسمر، هو لم يخلق نفسه، أبيض أسمر، لا فضل لأبيض

(١) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٠٩٠)، ومسلم في الرضاع (١٤٦٦)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه الترمذي (١٠٨٤) موصولاً ومرسلاً. وإنَّما يعني بقوله: مرسلاً انقطاع ما بين ابن عجلان

وأبي هريرة، وقد رجَّح البخاري المنقطع على المتصل. وابن ماجه (١٩٦٧)، كلاهما في

النكاح، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٢٢)، عن أبي هريرة.

على أسود، ولا لعربي على عجمي إلا بالتقوى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقَكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

شاب يُرْفَضُ لأن أسرته ليست شهيرة، وهو شاب عالم متخصص ذو مكانة في المجتمع، هو لم يختَر أسرته، لم يختَر أحد منا أبويه، كل إنسان ولد من أبوين فُرِضا عليه، فرضهما عليه القدر، الإنسان يقاس بقيمه الذاتية، بدينه، بعلمه، بإيمانه، بأخلاقه، هذا ما جاء به الإسلام.

الشخص يقدر بما في رأسه من علم، بما في قلبه من إيمان، بما يثمر إيمانه من عمل، بما يصحب عمله من إخلاص، لا يقاس الإنسان بطوله ولا عرضه، لا يقاس الإنسان بماله ولا بأي شيء من هذا، وقد قال النبي ﷺ: «إِنَّهُ لِيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزُنُّ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، اقْرَأُوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]»^(١). وقد قال النبي ﷺ عن رجل فقير ليس له وزن في المجتمع، ورجل آخر له وزنه في المجتمع: «هذا خير من ملء الأرض مثل هذا»^(٢).

المسؤولية عن تنشئة الأبناء:

اختل ميزان الحياة في الأسرة: أصبح هناك آباء كأن كل مهمتهم أن ينتجوا الأبناء والبنات والذرية؛ ولا شأن لهم بعد ذلك، لا يتحملون أي مسؤولية في تنشئة الأولاد وتربية البنات، أين الأبوة إذن؟ أين قوله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته... والرجل في أهل بيته راع وهو مسؤول عن رعيته»^(٣).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٧٢٩)، ومسلم في صفات المنافقين (٢٧٨٥)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري في النكاح (٥٠٩١)، عن سهل بن سعد.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في العتق (٢٥٥٨)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

بعض الآباء لا يعرف إن كان ابنه دخل المدرسة أو لم يدخل، وإن كان في المدرسة نجح أو رسب، ولا يعرف في أي صف هو، ولا يعرف هل له أصدقاء أو لا، هل أصدقاؤه صالحون أم فاسدون، أين يسهر أبنائه؟ لا يعرف!

بعض الآباء يأتون بيوتهم متأخرين في الليل بعد أن يكون الأولاد قد ناموا، ويستيقظ متأخرًا في النهار بعد أن يكون الأولاد قد ذهبوا إلى المدرسة، لا رأى الأولاد ولا رأوه، أين الأبوة وأين المسؤولية؟

بعض الأمهات يكلن أمر أولادهن إلى المربية أو الخادمة الهندية أو الفلبينية، لا تعرف عن أولادها شيئًا، ماذا تلقنهم هذه الخادمة؟ وكثيرًا ما تكون غير مسلمة، لا هي عربية ولا هي مسلمة، لا تلقنهم دين القوم ولا لغة القوم، تلقنهم عقائد غير عقائدنا، قيمًا غير قيمنا، مفاهيم غير مفاهيمنا، تقاليد غير تقاليدنا، أين الأمومة؟

إنَّ شر ما يصاب به الطفل أن يعيش يتيماً في حياة والديه، هذا شر أنواع اليتيم، وهو الذي قال فيه أمير الشعراء أحمد شوقي رَحِمَهُ اللهُ:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من هم الحياة وخلّفاه ذليلاً
إنَّ اليتيم هو الذي تلقى له أمّا تخلّت أو أبًا مشغولاً^(١)!

ما قيمة أن تتخلى الأم عن أولادها، ولا تسأل عنهم، ولا تعيش بهمهم، وتنشغل بزينتها وتجميلها، وبالخروج إلى هنا وهناك، تقف أمام المرأة ساعات ولا تقف مع أولادها ولا تجلس مع أولادها ساعات! أين هذه الأمومة؟ أين الأمومة الحانية؟ وأين الأبوة الراعية؟ لهذا نرى

(١) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١/١٨٣).

ما نرى من الفساد الذي نسمع عنه في الشبان والشابات في كل أوطاننا ومجتمعاتنا.

هناك اختلال في ميزان الأولويات على مستوى الفرد، واختلال على مستوى الأسرة، واختلال على مستوى المجتمع!

خلل ميزان الأولويات في المجتمع:

اختل ميزان الأولويات في المجتمع، من أهم الناس في المجتمع؟ أهم الناس في المجتمع هم من يسمون أهل الفن، رجال الفن ونسأؤه هم نجوم المجتمع، هم الكواكب اللامعة في سماء المجتمع، افتح الصحف، واسمع الإذاعة، وشاهد التلفزيون، لا تجد إلا الحديث عن هؤلاء المغنين والمغنيات، والممثلين والممثلات، والرقاصين والرقاصات، والطبالين والزمارين الذين كان الناس يأنفون منهم قديماً، يرفض المجتمع أن يشاركهم، يرفض أن يعايشهم، يرفض أن يصاهرهم، لأن أعمالهم مخلوطة الحلال بالحرام، فكيف إذا كانت كلها حراماً كما نرى في أكثر أعمال هؤلاء الآن؟ ولكنهم يسمونهم الآن: الفنانين والفنانات.

الأخبار العامة والأخبار الخاصة، المقابلات واللقاءات، الحديث عن هؤلاء يملأ الدنيا، خلل في ميزان المجتمع، ولذلك إذا مات فنان أو فنانة ترتج الدنيا، تهتز الكرة، تمتلئ الصحف اليومية والأسبوعية والشهرية بالحديث عن هؤلاء، وأمجاد هؤلاء، ومآثر هؤلاء، وحيات هؤلاء! على حين يموت العالم الكبير، يموت المصلح، يموت المربي، يموت الأديب، يموت أستاذ الجامعة فلا يكاد يسمع عنهم أحد، ولذلك نجد عندما مات بعض الفنانين والفنانات قامت الدنيا ولم تقعد، ذرفت

العيون العبرات، وصعدت الصدور الزفرات، وذهبت النفوس حسرات، ووجدنا بعض الفتيان الأغرار والفتيات المخدوعات من يلجأ إلى الانتحار حزناً وأسى على الفقيد الراحل، أو الفقيده الراحلة.

هذا اختلال في ميزان الأولويات في المجتمع، ومثل ذلك يقال عن الرياضة، الإسلام يُعنى بتقوية الجسم، و«المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»^(١). وهو أوّل دين يقول: «إن لبدنك عليك حقاً»^(٢)، وقد جاء برياضات مختلفة وبالفروسية وبالرماية وبغيرها، ولكن كل شيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده:

خلل ميزان الأولويات في الرياضة:

ما هذا الذي تفعله الأمة العربيّة في المشرق والمغرب في الإنفاق على الرياضات، وخصوصاً رياضات المنافسات مثل رياضة كرة القدم؟ التي أصبحت وثناً عند الناس، وتقسم المجتمع إلى قسمين، هذا مع الأهلّي وهذا مع الزمالك، وهذا مع السد وهذا مع غيره، ما هذا؟ وهي عبارة عن أحد عشر فرداً يلعبون، وبقية المجتمع يتفرج، وتنفق الميزانيات الهائلة على هذه الرياضات على حين يُقتر على ما يتعلق بالتعليم، بالتربية، بالصحة، بالإسكان، بالمواصلات، بالأشياء التي يحتاج إليها المجتمع.

لا أزال أذكر في الصيف قبل الماضي حينما نزلت إلى مصر، وسألت ابني: ما الأخبار؟ قال: الخبر الذي يتحدث عنه الناس في الصباح

(١) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، وأحمد (٨٧٩١)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩)، كلاهما في الصوم، عن عبد الله بن عمرو.

والمساء هو خبر رضا. قلتُ: من رضا؟ قال: رضا عبد العال. قلتُ: من هو رضا عبد العال؟ قال: أنت ما تعرف رضا عبد العال؟! هذا لاعب تتقاذفه الملاعب، وتتهافت عليه، كل نادي يريد أن يأخذه، وقد وصل إلى ثلاثة أرباع المليون جنيه، يراد أن يشتري بثلاثة أرباع المليون جنيه. هذا خلط وخبط في ميزان الأولويات في حياة المجتمع، المجتمع اختلطت عليه الأمور!

فقدم ما حقه التأخير، وأخر ما حقه التقديم، وأنا لا أقصد مجتمعاً معيناً، كل المجتمعات الإسلاميّة أصبحت فيها هذه الآفات، أصبحت آفات مشتركة.

خلل في مسيرة الأمة:

إذا نظرنا على مستوى الأمة ماذا نجد؟ نجد الأمة - كما جاء في الحديث - أصبحت تتداعى عليها الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها. الأمم المختلفة تريد أن تأكل هذه الأمة، أن تبتلعها، أن تزدردها لقيمة لقيمة، لماذا؟ ليس لأنها قليلة العدد، «أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل»، الغثاء هو ما يحمله السيل من قش وحطب وورق وعيدان وأخشاب، أشياء سطحية خفيفة، لا عمق لها، لا ثقل، لا وزن، ثم هي أشياء غير متجانسة، خشب على حطب على ورق على كذا، وهي أشياء ليس لها هدف، السيل لا هدف له، النهر له هدف، وله طريق، هدف مرسوم ومجرى معلوم، ولكن السيل لا هدف له ولا طريق، يذهب يميناً وشمالاً، ويطلع فوق وينزل تحت، هذه الأمة في مرحلة الغثائية، وسر ذلك ما قاله النبي ﷺ أن الأمة أصابها الوهن، وقد فسره بأنه

«حب الدنيا وكرهية الموت»^(١)، أصبحت تحب الدنيا وتكره الموت، لم تعد أمة الجهاد، لم يعد الجهاد في سبيل الله أحب شيء إليها، كما كان خالد ابن الوليد يقول لقادة الفرس والروم: أسلموا تسلموا، وإلا غزوتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة^(٢).

القرآن فصل أمر الأمة في ذلك حين قال: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا﴾ إن كان هذا كله ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

لا بد أن يكون الله ورسوله والجهاد في سبيله أحب إلى الأمة من كل ما يحرص عليه الناس، من آباء وأبناء وإخوان وأزواج وعشيرة وأموال وأوطان، وهي المساكن التي يرضونها؛ إشارة إلى الأوطان، والتجارة التي يخشون كسادها!

لا بد أن تكون العقيدة فوق هذا كله، لا بد أن يكون الدين في كفة وهذه الأشياء كلها في كفة فترجح كفة الدين، ترجح كفة حب الله ورسوله والجهاد في سبيله.

تمزق الأمة وضعفها:

الأمة - للأسف - تمزقت شر ممزق، كنا قديمًا نتحدث عن النزاع العربي الإسرائيلي، الآن أصبحنا نتحدث عن النزاع العربي العربي!

(١) سبق تخريجه ص ٧٤.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في التاريخ (٣٤٤١٧)، وأبو يعلى (٧١٩٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٨): رواه أبو يعلى وفيه مجالد وهو ضعيف وقد وثق. عن الشعبي مرسلًا.

لا يكاد يوجد بلد إلا وهناك خلاف مع البلد المجاور، هناك نزاع على الحدود بين البلدان العربيّة المختلفة، هناك هذا الخلاف الذي نرى آثاره في كل مكان، وخصوصًا بعد تلك الكارثة التي وقعت وهي كارثة حرب الخليج الثانية، مزقت الأمة فلم تقم لها ولوحدتها قائمة إلى اليوم، ومع هذا أصبح الكل يتقرب من إسرائيل، والاعتراف بإسرائيل، والسلام مع إسرائيل، تغير حال الأمة بزواوية مائة وثمانين درجة مرة واحدة!

وماذا صنعت إسرائيل؟ وماذا قدمت إسرائيل حتى يتغير الوضع هذا التغير؟ لم نر استقلالاً حقيقياً لغزة وأريحا، لم نر استقلالاً حقيقياً للفلسطينيين في هذه البقعة من الأرض إلى اليوم، حتى إن رئيس السلطة الفلسطينية نفسه لا يستطيع أن يتحرك إلا بإذن إسرائيل، وها هي تأخذ أرض الفلسطينيين كما شاهدنا في التلفزيون الأيام الماضي، تأخذ الأرض من أهلها من أصحابها لتوسع المستوطنات، ولا تبالي بالرأي العام العربي ولا الإسلامي ولا الدولي، المنطق للقوة.

تَحَكَّمَ الذُّبُّ فَأَخْضَعَ أَيُّهَا الْحَمَلُ تَكَلَّمَ السَّيْفُ فَأَسْكُتُ أَيُّهَا الْقَلَمُ

هذا هو الواقع، ما الذي جرى حتى يجري الجميع نحو إسرائيل؟ يقولون السلام مع إسرائيل، ويضعون الآيات الكريمة في غير موضعها، يقولون إن إسرائيل جنحت للسلم فلنجح لها، ويقرؤون الآية الكريمة من سورة الأنفال: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١].

أين الجنوح للسلم؟! أيعد جانحاً للسلم من اغتصب الأرض، وانتهك العرض، وسفك الدم، وشرد الأهل؟ أيعتبر هذا جانحاً للسلم؟ إذا اغتصب إنسان دارك وأخذها منك ثم قال لك تعال أعطك جزءاً تحت

بير السِّلْم أو شيء من هذا؛ هل يعتبر بذلك جانحًا للسِّلْم؟ لا يعتبر
المغتصب جانحًا للسِّلْم!

هذا - للأسف - ما يسيء فهمه كثير من النَّاس، حتَّى بعض العلماء
الكبار يقولون: إنَّ الهدنة جائزة. وهذا صحيح، الهدنة مع الكفار ومع
المشركين جائزة، وقد هادن النبي ﷺ مشركي قريش عشر سنوات، وفي
التاريخ الإسلامي هدنات كثيرة، وصلاح الدين الأيوبي هادن الصليبيين
حتَّى تمكن منهم!

ولكن الهدنة شيء والاعتراف شيء آخر، الهدنة بمعنى إيقاف
القتال مع العدو لمدة تقصر أو تطول هذا أمر جائز؛ وفق المصلحة،
ووفق الضرورات والحاجات، أمَّا أن تعترف أن حيفا ويافا وعكا واللد
والرملة والقدس وهذه الأرض العربيَّة الإسلاميَّة كلها أصبحت أرضا
إسرائيلية، وأن لإسرائيل السيادة عليها، وأنَّه لا حق لنا فيها، لأنَّها
أصبحت ملكهم باعترافنا، هذا أمر آخر غير مجرد الهدنة، الخطأ هنا
ليس في الحكم الشرعي، الخطأ في تكييف الواقع، الواقع أن هذا ليس
هدنة، هو اعتراف بحق العدو فيما اغتصبه من أرضنا، هل يجيز الشرع
بأن نعرف لهؤلاء بحقهم فيما اغتصبوه منا؟ لا، نهادنهم لا بأس
بذلك، أمَّا أن نعرف لهم ونكتب بذلك صكًّا ونوقع عليه أفرادًا
وجماعات فهذا أمر لا يجوز.

أهمية فقه الأولويات لعلاج أمراض الأمة:

الأُمَّة مريضة، وأمراضها كثيرة، ولا يمكن أن تصح الأمة إلَّا إذا
عادت إلى الإسلام، تفقهه من جديد في ضوء كتاب الله وسنة رسوله،
وفي ضوء الفقه الصحيح للإسلام، والفقه الصحيح للأولويات، إنَّ الأمة

أصيبت في فقه الأولويات، وليس هذا على المستوى العام، بل حتّى على مستوى المتدينين أنفسهم:

نجد المتدينين أيضًا قدموا ما حقه التأخير، وأخروا ما حقه التقديم، اهتموا بالنوافل على حساب الفرائض، واهتموا بالصغائر على حساب الكبائر، وبالمكروهات على حساب المحرمات!

نجد كثيرًا من النَّاس يهتمون بالأذكار والأوراد وهذه الأشياء، ومع هذا تجد هذا الشخص قاطعًا لرحمه، عاقًا لوالديه، غاشًا في معاملاته، غير مهتم بما يدخل إليه من حلال أو حرام!

تجد هناك من يعتمر كل سنة في شهر رمضان، وربما اعتمر في وسط العام، ومن يحج كل سنة في الموسم ومع هذا لو طالبتّه بأن ما ينفقه في الحج والعمرة يمكن أن يتبرع به لإخوته في فلسطين، أو في البوسنة والهرسك، أو في الشيشان، أو في الصومال، أو في كشمير، أو في الفلبين، أو غير هؤلاء من المجاهدين والمضطهدين والمشردين من أبناء الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها لا يستجيب لك، إنّه يقدم النافلة على الفريضة، مع أنّ من المقرر إسلاميًا أنّ الله لا يقبل النافلة حتّى تؤدى الفريضة، ويقول علماؤنا: من شغله الفرض عن النفل فهو معذور، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور. فهؤلاء شغلتهم النوافل عن الفرائض.

هناك من يقيم الدُّنيا ويقعدها من أجل الأمور المختلف فيها! من أجل أمور هي سنن عند البعض، وواجبات عند البعض، ولكنها ليست بأركان ولا فرائض أساسية، مثل من يقاتلك ويعاركك من أجل تطويل اللحية، أو من أجل تقصير الثوب، أو من أجل نقاب المرأة!

هي أمور مختلف فيها، ولكنها تأخذ من بعض المتدينين أوقاتاً طائلة، وتخلق الحزازات، وتمزق الجماعات، وأولى من هذا أن نجمع الناس على الفرائض الأساسية، الناس أضاعوا الصلوات، واتبعوا الشهوات، ومنعوا الزكوات، وارتكبوا الموبقات! لا بدّ أن نفقه ما ينبغي أن يقدم وما ينبغي أن يؤخر.

كثير من هؤلاء اهتموا بأشياء وحاربوا من أجلها وتركوا أشياء مهمة، ما نراهم يتحدثون عن العدالة الاجتماعية، عن كرامة الإنسان وحقوقه، عن ما يجب أن يقوم عليه المجتمع المسلم، عن هموم الأمة الإسلامية وقضاياها، و«من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يصبح ويمس ناصحاً لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين، فليس منهم»^(١)، لا بدّ لنا من هذا الفقه إذا أردنا أن تصح هذه الأمة وأن يسلم جسدها، وأن تعود إلى ما كانت عليه أمة وسطا لتكون شهيدة على الناس، وتكون خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

(١) رواه الطبراني في الصغير (٩٠٧)، والأوسط (٧٤٧٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٤): فيه عبد الله بن أبي جعفر الرازي، ضعفه محمد بن حميد، ووثقه أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان. عن حذيفة بن اليمان.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، أيّها الإخوة:
هناك كلمات ثلاث:

الكلمة الأولى:

ما قلناه لا يعني أنّ الأمة خلت من الخير:

أن ما قلناه عن أمراض الأمة لا يعني أنّ الأمة خلت من الخير، لا، فمن خصائص هذه الأمة أنّ الخير سيظل فيها إلى يوم القيامة، ولا تجتمع هذه الأمة على ضلالة، ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]، ولا تزال طائفة من هذه الأمة قائمة على الحق لا يضرها من خالفها حتّى يأتي أمر الله وهم على ذلك، ولذلك ينبغي ألا نئس، وألا ننظر أن هذه الأمراض قد شملت الجميع ولم يسلم منها أحد، لا، هناك طائفة منصورّة قائمة على الحق، وهذا ما نلمس آثاره في كل مكان.

في الأسابيع الماضية وجدنا تنافساً في الخيرات، ووجدنا عملاً لنصرة المسلمين، فقامت بعض الأخوات في الوكرة بعمل سوق خيري جمعن فيه مبالغ طيبة لإخوانهم، وقام الإخوة والأخوات أيضاً في جامعة قطر بعمل معرض خيري لمعاونة الإخوة في البوسنة والهرسك، وقد جمعوا نحو ثمانمائة ألف ريال قطري، فالخير في هذه الأمة إلى يوم القيامة.

الكلمة الثانية:

ربط المسجد الحرام بالمسجد الأقصى:

في هذه الأيام احتفل كثير من المسلمين في بقاع الأرض بذكرى

الإسراء والمعراج، جرت عادة المسلمين أن يحتفلوا بالإسراء والمعراج في ليلة السابع والعشرين من رجب، وإن لم يكن هناك دليل ثابت على أن الإسراء في وقع في رجب أو في السابع والعشرين من رجب، ولكن هذا يذكرنا، كلما جاءت ذكرى الإسراء والمعراج ذكرتنا بما ذكرنا به القرآن، حينما ربط بين المسجدين العظيمين مبدأ الإسراء ومنتهاه، ربط القرآن بين المسجد الحرام؛ حيث بدأ الإسراء، والمسجد الأقصى؛ حيث انتهى الإسراء، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

المسجد الأقصى ينبغي أن يظل في يد المسلمين، والقدس ينبغي أن تبقى في أيدي المسلمين، وفي أيدي العرب، وفي أيدي الفلسطينيين، ولا يجوز التنازل عنها بحال، لقد ظلت أربعة عشر قرنًا وهي عربيّة إسلاميّة، ويجب أن تظل كذلك، يجب أن يرفض ما يقوله رابين من أن القدس هي العاصمة التاريخيّة والأبدية للشعب اليهودي!

لا، إنّها العاصمة الأبدية للشعب الفلسطيني، هذا ما يجب أن نقاتل عليه، ولا نفرط فيه بحال، وكان يجب أن يتم هذا الأمر قبل الاتفاق، ولكن للأسف الاتفاق أجل موضوع القدس، وأجل موضوع المستوطنات، وأجل موضوع اللاجئين، وأجل موضوع الحدود، وأجل، وأجل؛ فماذا أنجز! كله آخر وأجل، ولذلك تؤخذ الأرض الآن من أصحابها، ويقال إن اتّفاق المبادئ ليس فيه شيء عن المستوطنات.

لا بد أن نستمسك بالمسجد الأقصى، وأن نرفض تلك الحفريات

التي تصنع الآن، ولا يُدرى ما يراد بهذا المسجد الذي يريد أن يجعل اليهود على أنقاضه هيكلهم.

الكلمة الثالثة:

محنة إخواننا في الشيشان:

قد أضيفت إلى مواجهنا القديمة مواجع جديدة، نحن دائماً نتلقى أوجاعاً بعد أوجاع ومحنة بعد محنة، ومن المحن الجديدة والأوجاع الجديدة محنة إخواننا الشيشان في جمهوريتهم المستقلة التي يراد أن يستسلموا ويسلموا كل أسلحتهم، وبيقوا عُزْلاً! هكذا تريد روسيا من هؤلاء المسلمين، أصبح المسلمون هم الطرف الضعيف، أصبح المسلمون هم الأضيع من الأيتام على موائد اللئام؛ كما يقول المثل العربي! طمع فيهم من لا يدفع عن نفسه، تجراً عليهم الجبان، وتعزز عليهم الذليل، وكل إنسان أصبح طامعاً في المسلمين، ولذلك أصبح الروس يضربون مدينة جروزني بالقاذفات وبالصواريخ، وبالطائرات، وبالمدببات لتستسلم، ولكن هؤلاء مستبسلون مستقتلون مستميتون استماتة الأبطال في الدفاع عن بلدهم واستقلالهم.

وليس أمامنا إلا أن نسأل الله تبارك وتعالى أن يثبت أقدامهم، وأن ينصرهم على عدوهم، وأن يمدهم بروح من لدنه!

وعلينا واجب آخر، وهو أن نساعدهم ما استطعنا، وقد افتتح مصرف قطر الإسلامي حساباً لمساعدة الشيشان، في مصرف قطر الإسلامي فتحوا حساباً لمساعدة الإخوة في الشيشان، فينبغي أن نثبت لهم أننا إخوانهم وأنهم إخواننا: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]،

«المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسلمه، ومَن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»^(١).

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، اللهم اجمع كلمة المسلمين على الهدى، وقلوبهم على التقى، وأنفسهم على المحبة، وعلى التعاون على البر والتقوى، وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل.

اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخاف ولا يرحمنا، ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، اجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

اللهم انصر إخواننا المجاهدين في البوسنة والهرسك، وانصر إخواننا المجاهدين في فلسطين، وانصر إخواننا المجاهدين في الشيشان، وانصر إخواننا المجاهدين في كشمير، وانصر إخواننا المجاهدين في السودان، وانصر إخواننا في سائر بلاد الإسلام.

اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهم رد عنا كيدهم، وقل حدهم، وأدل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلًا على أحد من عبادك المسلمين. اللهم آمين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠)، عن

عباد الله: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



من أمراض الأمة: الفرقة

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

الاهتمام بالأمراض الداخلية:

لا زلنا نتحدث عن أمراض هذه الأمة، الأمراض التي أدت بها إلى ما نرى من وهنٍ وضعفٍ، التي أطمعت فيها أعداءها، وجعلتهم يتحكمون في أمورها، ويسوسونها إلى ما يريدون.

لم يأت هذا إلا ممّا أصاب الأمة في داخلها، ولهذا نركز نحن على الأمراض الداخلية، أكثر ممّا نركز على المكائد الخارجية، هناك مكائد حقيقية تكاد لهذه الأمة، وهناك مؤامرات تدبر لها، وهناك مخططات من أجل تدميرها، لا ننكر ذلك، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقد يقاتلوننا بالسلاح، وقد يقاتلوننا بالكيد والتدبير والمؤامرات، ولعلّ هذا أشدّ خطرًا.

ولكن الذي يعيننا أن نعرف ما في أنفسنا، حتّى نتلافاه، والله تعالى قال للصحابة بعد غزوة أحد: ﴿أَوْلَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنِّي هَذَا أَقَلُّ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

الفرقة من أمراض الأمة:

المرض الذي أتحدث عنه اليوم هو: الفرقة والاختلاف، الذي يؤدي إلى العداوة والبغضاء، ويجعل هذه الأمة تعادي بعضها بعضًا، حتى يقاتل - أحيانًا - بعضها بعضًا، هذا مرض خطير، سمّاه النبي ﷺ: داء الأمم، في الحديث عن النبي ﷺ قال: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ، وَالْبَغْضَاءُ. وَالْبَغْضَاءُ: هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ: تَحْلُقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلُقُ الدِّينَ»^(١).

وفي الحديث الآخر: «أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟».

قالوا: بلى، يا رسول الله.

قال: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ»^(٢).

الفرقة سبب في وهن الأمة وتسلب الأعداء:

هذه الفرقة التي أدت إلى العداوة والبغضاء بين المسلمين، هي التي أوهنت هذه الأمة، ومكنت منها أعداءها قديمًا وحديثًا.

ما تمكّن أعداء هذه الأمة قديمًا منها إلا بفرقة أبنائها، وخصوصًا فرقة الأمراء والحكام، الذين عادى بعضهم بعضًا، ووالوا أعداء الله، واستعان بعضهم بالكفار على إخوانه المسلمين.

(١) رواه أحمد (١٤١٢)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢١٢٢)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦١/٣): حسن لغيره. عن الزبير بن العوام.

(٢) رواه أحمد (٢٧٥٠٨)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين. وأبو داود في الأدب (٤٩١٩)، والترمذي في صفة القيامة (٢٥٠٩)، وقال: صحيح. وابن حبان في الصلح (٥٠٩٢)، وصحّحه الألباني في غاية المرام (٤١٤)، عن أبي الدرداء.

بهذا دخل الصليبيون من الغرب دار الإسلام، ودخل التتار من الشرق دار الإسلام، وتمكن المستعمرون حديثاً من دار الإسلام، وخرج المسلمون بعد ثمانية قرون من الأندلس، من إسبانيا والبرتغال، بعد أن أقاموا حضارة شامخة الذرى، تفرّقوا فمكّنوا أعداءهم منهم.

فُرْقَةُ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ:

واليوم يحدث هذا، نرى المسلمين يجافي بعضهم بعضاً، بل يعادي بعضهم بعضاً، بل يقاتل بعضهم بعضاً، ألا نرى ذلك في أفغانستان؟
إخوة الجهاد بالأمس هم أعداء اليوم! يضربون بعضهم بعضاً بالصواريخ، كما كانوا يفعلون مع أعدائهم السوفيت أعداء الله، يستحلُّ أحدهم دم أخيه!

هذا ما نراه في أفغانستان، هذا ما نراه في الصومال، هذا ما نراه في كراتشي، هذا ما نراه في النزاعات الحدودية بين البلاد الإسلامية بعضها وبعض، ولا يكاد بلد إلا وفيه نزاعٌ حدودي مع البلد العربي والإسلامي الآخر.

النزاع الحدودي صنعة الاستعمار:

صحيحٌ أنّ ذلك من صنع الاستعمار، الاستعمار لم يفارق ديار العرب والإسلام إلا بعد أن ترك في كل بلدٍ مشكلةً مع جيرانه وإخوانه، ولكن إلى متى نستجيب لهذه المكاييد؟ إلى متى لا نعرف قدر أنفسنا؟

المسلمون أمة واحدة:

نحن أمةٌ واحدة، أمةٌ وحدها الله تبارك وتعالى، وحد غايتها حينما وحد عقيدتها، حينما اجتمعت على توحيد الكلمة وكلمة التوحيد: لا إله إلا الله،

محمدٌ رسول الله، وَّحَدَّ اللهُ غَايَتَهَا حِينَما وَّحَدَّ عَقِيدَتَهَا، ووَحَّدَ اللهُ مِنْهَجَهَا حِينَما وَّحَدَّ شَرِيعَتَهَا؛ فَالْعَقِيدَةُ هِيَ الْأَسَاسُ، وَالشَّرِيعَةُ هِيَ الْبِنَاءُ، أُمَّةٌ ذَاتُ غَايَةٍ وَاحِدَةٍ، وَذَاتُ مِنْهَجٍ وَاحِدٍ، يَنْبَغِي أَنْ تَلْتَقِيَ عَلَيْهِ وَلَا تَتَفَرَّقَ بِهَا السَّبِيلُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

هو صراط واحد، كما قال النبي ﷺ، فيما رواه ابن مسعود قال: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا خَطًّا ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ»، ثُمَّ خَطَّ خَطوطًا عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سَبِيلٌ - قَالَ يَزِيدُ: مَتَفَرِّقَةٌ - عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] (١).

لا ينبغي للأمة ترك الصراط الواحد:

فلا ينبغي للأمة أن تستجيب لدعوات الشياطين، وتدع صراطها الواحد، الصراط المستقيم، الذي تدعو ربها كل يوم سبع عشرة مرة على الأقل أن يهديها إياه، ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿ [الفاحة: ٦، ٧].

وَحَدَّ الْإِسْلَامَ غَايَةَ الْأُمَّةِ، ووَحَّدَ مِنْهَجَهَا، ووَحَّدَ شِعَائِرَهَا، قَبْلَتَهَا وَاحِدَةً، أَذَانَهَا وَاحِدَةً، صَلَاتَهَا وَاحِدَةً، حُجَّهَا وَاحِدَةً، صِيَامَهَا وَاحِدَةً، شِعَائِرَ مَنْ شَأْنُهَا أَنْ تَجْعَلَ هَذِهِ الْأُمَّةَ أُمَّةً وَاحِدَةً فِي الشِعَائِرِ، وَبِالتَّالِي فِي الْعَوَاطِفِ وَالْمَشَاعِرِ.

(١) رواه أحمد (٤١٤٢)، وقال مخرجه: إسناده حسن. والنسائي في الكبرى في التفسير (١١١٧٤)، وابن حبان في المقدمة (٦)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن. والحاكم في التفسير (٢٣٩/٢)، وصححه، ووافقه الذهبي.

وحدة الأمة في مرجعيتها:

أُمَّة واحدة في مرجعيتها، فليس لها مرجعٌ ترجع إليه، وتُعَوَّلُ عليه، مرجعٌ معصوم لا يضل ولا ينسى، ليس لها إلا كتاب الله وسنة رسوله، إذا تنازعت فيما بينها كان عندها المرجع المعصوم الذي يرفع الخلاف، ويحكم النزاع، كما قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وحّد الأمة في زعامتها:

وحّد الإسلام مرجعيّة هذه الأمة، ووحّد زعامتها خلف رسول الله ﷺ، ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

هذا ما آمنت به هذه الأمة، وما أمر به الله ورسوله.

اليهود يعملون على فرقة الأمة:

والقرآن الكريم يقول: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، جاء هذا في مقام التحذير من الفرقة، ومن الاختلاف المؤدّي إلى العداوة والبغضاء. حينما كاد بعض اليهود للمسلمين، حينما رأى الأوس والخزرج في ألفة ومحبة بعد عداوة ظلت قرونًا بينهم، سالت فيها الدماء، واستمرت فيها الحروب، ثمّ جاء الإسلام فألف بين قلوبهم، فأصبحوا بنعمة الله إخوانًا، رأى ذلك شاس بن قيس اليهودي، فأراد أن يؤقّد بينهم فتنة تُذكّرهم بالجاهليّة، وكاد ينجح في ذلك، ذكرهم بالأيّام الماضية حتّى نادوا بعضهم: يا للسلّاح، يا للأوس، يا للخزرج.

وبلغ النبي ﷺ ذلك، فجاء وقال: «أبدعوى الجاهليّة وأنا بين أظهركم؟ دعوها فإنّها منتنة»^(١).

انتهى عهد العصبيات، الآن جمع الإسلام الجميع، ونزل في ذلك قول الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠].

الوحدة أخت الإيمان والتفرق أخو الكفر:

السياق يدلّ أي يردُّوكم بعد أخوتكم متعادين، وبعد وحدتكم متفرقين، وبعد تناصركم متخاذلين، ﴿يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ عبّر عن الوحدة بالإيمان، وعبّر عن الفرقة بالكفر، ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

الأمة الإسلامية أمة دعوة:

ثم أمرهم بتقوى الله، وبالاعتصام بحبله جميعاً ولا يتفرقوا، وذكرهم بنعمة الأخوة، وذكرهم بواجب الدعوة التي ينبغي أن تشغل الجميع، فقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۚ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۗ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذُنُوبِكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِّنْهَا ۗ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ ۗ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۗ وَلَتَكُنَّ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢ - ١٠٤].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٩٠٥)، ومسلم في البرِّ والصلة (٢٥٨٤)، عن جابر بن عبد الله.

فالأمة أمة دعوة، أمة رسالة، ويوم تشتغل الأمة بالدعوة، وتجعل ذلك أكبر همها، لن تتفرق أبدًا.

التفرق والاختلاف أهلك الأمم السابقة:

ثم حذر الله تبارك وتعالى من الاختلاف والتفرق فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥، ١٠٦]، لا تكونوا كالذين اختلفوا وتفرقوا من قبلكم من أهل الكتاب، بعدما جاءهم العلم، وبعد ما جاءتهم البيّنات بغيا بينهم وتحاسداً، لا ينبغي أن تكونوا مثلهم.

وفي هذا جاء الحديث: «لا تختلفوا؛ فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»^(١).

وجاءت الآية الكريمة تقول: ﴿وَلَا تَنزَعُوا فَنفَشَلُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]. جاءت هذه النصوص كلها محدّرة من الفرقة، أن يفترق المسلمون كما افترق أهل الجاهليّة.

وفي هذا قال النبي ﷺ في حجة الوداع: «لا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض»^(٢).

لا ترجعوا بعدي كفارًا تفعلون كما يفعل الكفار، وأفعال أهل الجاهليّة، يضرب بعضكم رقاب بعض.

«سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»^(٣).

(١) رواه البخاري في الخصومات (٢٤١٠)، عن ابن مسعود.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤)، كلاهما في الإيمان، عن ابن مسعود.



هذا حديث متفق عليه، كل هذه الأحاديث وغيرها متفق عليها.

«إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار».

فقلت: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟

قال: «إنه كان حريصًا على قتل صاحبه»^(١).

كلاهما في النار إذا تقاتلا من أجل الدنيا، ومن أجل العصبية.

حرمة دم المسلم:

ومع هذا نرى اليوم المسلمين يقتتلون في أنحاء شتى، تسفك الدماء الإسلامية بالأيدي الإسلامية، وبالأسلحة الإسلامية! ما كان أجدر هذه الأسلحة أن توجه إلى صدور أعداء الإسلام، لا أن يوجهها المسلم إلى صدر أخيه.

لا ينبغي أن يقاتل المسلم أخاه المسلم من أجل دنيا، ولا من أجل خلاف على حدود، ولا من أجل شيء من هذا.

الأصل حقن دماء المسلم.

«كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه»^(٢).

الإسلام جاء يوحد الأمة، ويقيم العلاقات بين أبنائها على أساس من الإخاء المتين، ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٠]، هذا نص كتاب الله، والنبى ﷺ يقول: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه»^(٣).

«لا يظلمه»: لا يعتدي عليه، «ولا يسلمه»: لا يتركه فريسة لظلم غيره.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٣١)، ومسلم في الفتن (٢٨٨٨)، عن أبي بكر.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، عن أبي هريرة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠)، عن ابن عمر.



عناصر الأخوة الإسلامية:

أولاً: المحبة:

مقتضى الأخوة المحبة، أول عناصر الأخوة الإسلامية: المحبة، أن يحبَّ المسلم أخاه.

درجات المحبة:

وهذه المحبة درجات ومستويات، أدنى درجات هذه المحبة:

المرتبة الأولى: سلامة الصدر:

أن يسلم صدرك من الغل والحقد والحسد لأخيك المسلم، أن تقول ما قال المؤمنون: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، لا تُضمّر غلاً لأخيك، لا تُضمّر حسداً؛ فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، لا تدع قلبك فريسةً للأحقاد تأكله:

فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله^(١)

طَهَّرْ قلبك من هذه المهلكات، من هذه الضغائن، هذه أول درجة من درجات المحبة.

المرتبة الثانية: أن تحبَّ لأخيك ما تحبه لنفسك:

والدرجة الثانية: هي التي عبر عنها الحديث الصحيح: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(٢).

(١) من شعر ابن المعتز. انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب (٣/١٠٠)، نشر دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٣هـ.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، كلاهما في الإيمان، عن أنس.

إذا كنت تحبُّ لنفسك السَّعة والغنى، فأحب لأخيك السَّعة والغنى،
إذا كنت تحبُّ لنفسك النجاح، فأحب لأخيك النجاح، إذا كنت تحبُّ
لنفسك البنين والأولاد، فأحب ذلك لأخيك، واكره له ما تكره لنفسك
من شرٍّ وضُرٍّ.

هذا مقتضى الإيمان.

الحديث الآخر يقول: «والذي نفسي بيده، لا تدخلوا الجنة حتَّى
تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتَّى تحابوا»^(١).

لن تؤمنوا حتَّى تحابوا، هذه هي الدرجة الثانية من درجات المحبة.

المرتبة الثالثة: الإيثار:

والدرجة الثالثة أعلى: وهي درجة الإيثار، درجة الإيثار، أن تجود
بالشيء وأنت محتاج إليه، أن تجوع ليشبع أخوك، أن تتعب ليرتاح أخوك
المسلم، أن تسهر لينام أخوك، أن تُعَرِّضَ صدرك للرصاص ليسلم أخوك.

هكذا كان المسلمون الأوائل، وهم الَّذِينَ قَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا قِصَّتَهُمْ فِي
كِتَابِهِ وَقَالَ: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

إِنَّ أَخَاكَ الْحَقَّ مَن كَانَ مَعَكَ وَمَن يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ
وَمَن إِذَا رَيْبَ الزَّمَانِ صَدَعَكَ شَتَّتَ فِيكَ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكَ^(٢)

هذا هو الإيثار.

(١) رواه مسلم في الإيمان (٥٤)، وأحمد (٩٧٠٩)، عن أبي هريرة.

(٢) البيتان منسوبان لسيدنا علي بن أبي طالب، انظر: شرح نهج البلاغة (١١٣/١٨).



ثانيًا: التناصر:

مقتضى الأخوة: المحبة، ومقتضى الأخوة: التناصر، أن تنصر أخاك المسلم: ﴿وَإِنْ أَسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢]، ألا تخذله في ساعة الشدة، أن تكون درعًا له تحميه، أن تكون ذراعًا له تقويه، أن تقف بجانبه في ساعة المحنة، ألا تتخلى عنه، هذا هو مقتضى الأخوة، «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه»^(١) لا يخذله.

يقول النبي ﷺ: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا».

فقال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلومًا، أفرأيت إذا كان ظالمًا، كيف أنصره؟

قال: «تحجزه - أو تمنعه - من الظلم، فإن ذلك نصره»^(٢).

إذا منعه من ظلمه فقد نصرته على هوى نفسه النفس الأمارة بالسوء، على شيطانه الذي يحاول أن يضلّه، انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا.

قال الفقهاء: لو أن امرأة سُبِّيت بالمشرق، كان على أهل المغرب أن يخلصوها من الأسر، إذا لم يستطع أهل المشرق ذلك^(٣).

وقال الإمام مالك: إذا كان هناك أسرى من المسلمين وجب عليهم أن يفتدوهم ولو استغرق ذلك جميع أموالهم^(٤).

(١) سبق تخريجه ص ١٣٣.

(٢) رواه البخاري في الإكراه (٦٩٥٢)، عن أنس.

(٣) البحر الرائق لابن نجيم (٧٩/٥)، نشر دار الكتاب الإسلامي، ط ٢.

(٤) البيان والتحصيل لابن رشد (٥٦٠/٢)، تحقيق محمد حجي وآخرين، نشر دار الغرب

الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

التناصر واجب، الأمة الإسلامية كالجسد الواحد، كما سمّاها النبي ﷺ وكما صورها: «مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(١).

ثالثاً: التعاون:

ومن عناصر هذه الأخوة: التعاون: أن تعاون أخاك المسلم، أن يتعاون المسلمون فيما بينهم أفراداً وجماعات، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢].
«والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»^(٢).

وخصوصاً في ساعات الشدائد، عندما يوجد المسلم الذي لا يجد القوت، وهناك من يملك الملايين، ومن يعبث بالملايين، لا يجوز أن يترك المسلمون يهلكون جوعاً وعرياً وضياعاً، وهناك من المسلمين من يملك القناطير المقنطرة من الذهب والفضة.

لا، لا يجوز هذا، أعن أخاك المسلم فرج كربته، «مَنْ نَفَسَ عَنْ مَوْمن كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدنْيا، نَفَسَ اللهُ عَنْهُ كَرْبَةً مِنْ كَرْبِ الْقِيَامَةِ»^(٣).

رابعاً: التسامح:

ومن عناصر الأخوة التي يقيم عليها الإسلام مجتمعه: التسامح، أن يسامح المسلم أخاه المسلم، أن تصل من قطعك، وتبذل لمن منعك،

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١١)، ومسلم في البرّ والصلة (٢٥٨٦)، عن النعمان بن بشير.

(٢) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٩)، وأحمد (٧٩٤٢)، عن أبي هريرة.

(٣) جزء من الحديث السابق.

وتعطي مَنْ حرمك، وتعفو عَمَّن ظلمك، وتحسن إلى من أساء إليك، وتحلم على من جهل عليك، ولا تعامل النَّاس دقةً بدقة، ونقيرًا بنقير، كن متسامحًا، رحم الله عبدًا سمحًا في معاملاته كلها.

كن سمحًا مع إخوانك المسلمين، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]، كأنه ولي حميم، تستطيع أن تكسب ودَّ الإنسان، وتجعله صديقًا لك بكلمة طيبة، ببسمة لطيفة.

الإِنسان أسير الإِحسان:

الإِنسان أسير الإِحسان، فلماذا تستعدي النَّاس عليك؟ لماذا تجلب عداوة النَّاس لك؟ ويمكنك أن تجعلهم أصدقاء لك، لا ينبغي لعاقل أن يفعل ذلك، ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

كان الرجل من السلف إذا قال له بعض الناس: أنت فاسق، أنت مرائي، أنت كاذب. يقول: يا أخي، إن كنت صادقًا فغفر الله لي، وإن كنت كاذبًا فغفر الله لك^(١).

وهكذا يطفئ النَّار بينه وبين أخيه بمثل هذه الكلمة، إن كنت صادقًا فغفر الله لي، وإن كنت كاذبًا فغفر الله لك.

أمَّا الَّذِينَ يريدون أن يجعلوا الحياة معركة شجارٍ بينه وبين غيرهم على المليء والفاقر، على القليل والكثير، وعلى النقير والقطمير، فالحياة أهون من أن تتسع لذلك، ينبغي أن يشغل النَّاس أنفسهم بما هو أعظم.

(١) يروى عن الإمام الشعبي. ذكره الدينوري في المجالسة (٨٠٠)، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، نشر دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ.

التسامح بين أهل العلم والدعوة:

التسامح مطلوب، وأولى ما يكون التسامح بين أهل العلم والدعوة إلى الله، أهل العلم والدعوة إلى الله تعالى أولى بالتسامح من غيرهم، أن يسامح بعضهم بعضًا فيما يختلفون فيه، لا أن يهاجم بعضهم بعضًا، ولا أن يسبَّ بعضهم بعضًا، الحياة تتسع لي ولك، فلماذا تضيق على أنفسنا؟ ولماذا يضيق بعضنا على بعض؟ ولماذا يريد بعضنا أن يحتكر الصواب لنفسه، وأن يرمي غيره بكل تهمة؟

أسباب العداء بين أهل العلم والدعوة:

العداء بين الدعاة والعلماء لا يأتي إلا من جملة أشياء:

أولها: إرادة رفع الخلاف من الأمة:

هناك أناس يريدون أن يرفعوا الخلاف من الأمة، لا يريدون أن تختلف الآراء، وهذا ليس بصواب، الاختلاف ضرورة ورحمة وسعة لهذه الأمة، ضرورة اقتضتها طبيعة الدين؛ لأن الله أنزل الدين آيات محكمات، وأخر متشابهات، نصوص قطعية الدلالة والثبوت، ونصوص ظنية الدلالة أو ظنية الثبوت.

«شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه»^(١).

وفي بعض الروايات: «وإعجاب المرء برأيه»^(٢).

فهذا من المهلكات، تهلك الأنفس وترديها - والعياذ بالله فيما

(١) رواه البزار (٦٤٩١)، والطبراني في الأوسط (٥٤٥٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع

الصغير (٣٠٣٩). عن أنس.

(٢) رواه البزار (٧٢٩٣)، عن أنس.

يغضب الله تبارك وتعالى، وفي النار في الآخرة، ينبغي للمسلم أن يتنزه عن هذا.

لا مانع من التعدد في الأفكار والآراء والجماعات:

لا مانع أن تتعدّد الأفكار والآراء، ولا مانع أن يحاول الناس تمحيصها في ظل الأخوة في الله دون تجريح لأحد، ولا مانع أن يتعاون الناس في المتفق عليه، كما قال العلامة رشيد رضا رَحِمَهُ اللهُ فِي قَاعِدَتِهِ الَّتِي سَمَّاهَا: قاعدة المنار الذهبية قال: «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه»^(١).

توحد الحركات الإسلامية أمنية بعيدة المنال:

بعض الناس يضيق بتعدّد الجمعيات الإسلامية، والحركات الإسلامية، ويريد أن تجتمع كلها تحت قيادة واحدة، وفي جماعة واحدة. هذه أمنية عذبة، ولكنها بعيدة المنال، البشر لا يمكن أن يكونوا نسخًا كربونية مكررة، لكل منهم وجهته.

كيف يتفق الناس على الأهداف، والأهداف كثيرًا ما تختلف؟ كثيرًا ما يختلف على ترتيبها، هذا هو الهدف الأول، وهذا هو الهدف الثاني، وهذا هو الهدف الثالث، وهكذا.

وكيف يتفقون على الوسائل والمناهج وهي تختلف؟ ثم كيف يتفقون على الأشخاص، وهذا يثق بزید، وذاك يثق بعمر و؟ ولذلك يستحيل أن يجتمع الناس على جماعة واحدة وقيادة واحدة.

(١) انظر: مجلة المنار (١٧/١٨٨)، نشر دار المنار، القاهرة.



التعدد المباح تعدد التنوع لا تعدد التصارع:

ولذلك لا مانع أن تتعدّد الجماعات إذا كان تعدّد تنوع وتخصّص، لا تعدّد تصارع وتناقض، هذا يشتغل بالدعوة والإرشاد، وذاك يشتغل بالتربية والتعليم، والآخر يشتغل بالعمل الخيري والاجتماعي، والرابع يشتغل بالعمل الاقتصادي والمالي، وذاك يشتغل بالعمل السياسي، وآخر تحتاج بلده إلى الانشغال بالعمل الجهادي، وذاك يجمع أكثر من عمل.

لا مانع من هذا التعدّد، على أن يكون هناك قدرٌ من التعاون الذي يفرضه الإسلام، وتفرضه المصلحة في الأمور المتّفق عليها، وأن يقفوا في القضايا المصيرية موقفاً واحداً، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُومٍ﴾ [الصف: ٤]، ساعة المعركة يجب أن يتصاف الجميع، ويقفوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً.

معاركنا كثيرة:

ونحن الآن في معركة، الأمة الإسلامية في معركة في كل مكان، معركتنا مع الصهيونية العالمية في فلسطين ولبنان، معركتنا مع الصليبية العالمية في البوسنة وفي الشيشان وفي الفلبين، معركتنا مع الوثنية الشرقية في كشمير وغيرها، معركتنا في أكثر من مكان.

الصحوّة الإسلاميّة تُهاجم في كل مكان:

الصحوّة الإسلاميّة تضرب هنا وهناك، توجه إليها أشد الضربات وحشية، على قدر قوة الصحوّة جاءت قوة الضربات، الأمة الإسلاميّة تُهاجم في كل مكان، ألا نعرف ذلك؟

فزيد عليها بأن يُهاجم بعضنا بعضًا، في ساعة المعركة يجب أن يلتقي الجميع ويقفوا صفاً واحداً، وينسوا ما بينهم من خلافات جزئية، ومعارك جانبية، يكفي أننا نلتقي على الحد الأدنى من الإسلام، أن نلتقي على كلمة: لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله، أن نلتقي على ما يصير به المسلم مسلماً.

أقليات العالم تجتمع وأقلياتنا تختلف:

للأسف رأيت المسلمين، حتّى الأقليات منهم يختلف بعضهم مع بعض!

في العالم كلّهُ الأقليات تجتمع وتتضام لتحفظ نفسها، وتحمي وجودها أمام الكثرة الكاثرة، ولكن المسلمين لا يفعلون ذلك، لا في داخل بلاد الإسلام، ولا في خارجها، في أوروبا وأمريكا وأستراليا، ذهبوا بخلافاتهم من بلادهم، ونسوا أنّهم في مجتمع جديد يحتاج أن يتضاموا ويتحدوا.

هذا ما ينبغي للمسلمين أن يفعلوه.

تختلف الآراء ولا تختلف القلوب:

لا يجوز لأهل العلم والدعوة أن يهاجم بعضهم بعضاً من أجل آراء يختلفون فيها، لتختلف الآراء ولكن لا تختلف القلوب، الصحابة اختلفوا في كثير من الأمور بعضهم مع بعض، والتابعون والسلف الصالح والأئمة، ولكنهم صلّى بعضهم وراء بعض، ووسع بعضهم بعضاً.

الشافعي يترك القنوت أدبًا مع أبي حنيفة:

ذهب الإمام الشافعي إلى بغداد فلم يقنت في صلاة الصبح كما هو مذهبه، قال: أدبًا مع الإمام أبي حنيفة^(١)؛ لأنَّ هذه الأمور تتسع لمثل هذا، أدبٌ مع الميت، فكيف بالأدب مع الحي؟

نحن في حاجة إلى هذا الأدب.

الطعن في علماء الأمة:

أرى اليوم أناسًا لم يدعوا أحدًا إلا هاجموا، هاجموا بقسوة وبعنف، وبلسان أحد من السيف، هاجموا القدماء، وهاجموا المحدثين، وهاجموا المعاصرين، لم يدعوا أحدًا من السابقين واللاحقين إلا وأوسعوه تجريحًا وطعنًا، حتَّى رأينا من طعن في الإمام التقي النقي محيي الدين النووي رَحِمَهُ اللهُ، ورأينا من طعن في أمير المؤمنين في الحديث، شيخ الإسلام وخاتمة الحفاظ الحافظ ابن حجر العسقلاني!

إذا كانوا قد طعنوا في هذا، فلا مانع أن يطعنوا في المودودي والندوي والبنَّا وقطب والغزالي وغيرهم.

الصواب والخطأ نسبتهما واحدة في الأقوال الاجتهادية:

لماذا نطعن في علماء الإسلام؟

ينبغي أن يسع بعضنا بعضًا، حتَّى لو خالفت عالمًا لماذا تعتقد أنك وحدك على الصواب وغيرك على الخطأ؟

(١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٢/٤٣٣)، نشر مير محمد كتب خانة، كراتشي.

كان بعض السلف يقولون: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأيي غيري خطأ يحتمل الصواب^(١).

والاحتمال في الخطأ في قولي والصواب في قول الطرف الآخر هو الذي يقرب بيننا، ولكن بعض العلماء قال: لا، الصواب والخطأ نسبتهما واحدة في كل الأقوال الاجتهادية، ما دامت المسألة اجتهادية فقولي وقول الآخر كلاهما يحتمل الصواب والخطأ، لا يقين، هذا ما قاله علماؤنا

كيف يفعل بعضنا مع بعض من أجل الخلاف في بعض القضايا، يطعن العالم في أخيه العالم ولا يلتمس له العذر، ولكن يحاول أن يشوه صورته.

لا ينبغي هذا لأهل العلم، ولا لأهل الدعوة إلى الله وَعَجَّلْ، لا ينبغي أن يظهروا بذلك أمام الناس ويجرح بعضهم بعضاً، ويطعن بعضهم في بعض من أجل أمور خلافية كانت بين السلف والخلف ولم تفسد لهم وداً، ولم تقطع بينهم آصرة، هذا هو الذي ينبغي.

الفرقة شر ما تُصاب به الأمة:

يا أيُّها الإخوة المؤمنون، إنَّ شرَّ ما يصيب هذه الأمة هو الفرقة والاختلاف المؤدي إلى العداوة والبغضاء، أن يصير بأسها بينها، أن يحدث لها ما حدث للأمم قبلها، لقد قال الله تعالى عن اليهود: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال في شأن اليهود - أيضاً: ﴿تَحَسَّبَهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤]، وقال في شأن

(١) نقل ابن حجر الهيتمي أن ذلك مذهب الشافعية. الفتاوى الفقهية الكبرى (٣١٣/٤)، نشر المكتبة الإسلامية.

النصارى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة: ٦٤]، فكيف نسير في سنن الأمم السابقة شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، ونختلف كما اختلفوا، ونتفرق كما تفرقوا، وعندنا كتاب الله وسنة رسوله؟

النبي ﷺ حذرنا من ذلك، والقرآن الكريم حذرنا.

من العقوبات الإلهية أن تصير الأمة بأسها بينها:

إِنَّ شَرَّ مَا تُصَابُ بِهِ الْأُمَّمُ أَنْ تُصْبِحَ شَيْعًا مِتْلَابِسَةً مِتْدَاخِلَةً، وَأَنْ يَذِيقَ بَعْضُهَا بِأَسَ بَعْضٌ، فِي مَعْرُضِ الْحَدِيثِ عَنِ الْعُقُوبَاتِ الْإِلَهِيَّةِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شَيْعًا وَيَذِيقَ بَعْضُكُمْ بِأَسَ بَعْضٍ ﴾ [الأنعام: ٦٥]، ﴿يَلْبَسُكُمْ شَيْعًا﴾، يتلبس بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَيَتْلَابِسُ بَعْضُكُمْ مَعَ بَعْضٍ فَلَا تَمَازِي وَلَا تَبَايِنَ، وَيَذُوقُ بَعْضُكُمْ بِأَسَ بَعْضٌ، هَذَا هُوَ الْمَخُوفُ، هَذِهِ الْكَارِثَةُ، أَنْ يَذُوقُ بَعْضُنَا بِأَسَ بَعْضٌ.

وهذا ما ذكره النبي ﷺ في عدد من الأحاديث، رواه عنه سعد بن أبي وقاص^(١)، وجابر بن عتيك^(٢)، ومعاذ بن جبل^(٣)، وخباب بن الأرت^(٤)، وثوبان وغيرهم، رووا عن رسول الله ﷺ أنه قال:

(١) رواه مسلم في الفتن (٢٨٩٠)، وأحمد (١٥١٦).

(٢) رواه أحمد (٢٣٧٤٩)، وقال مخرّجوه: حديث صحيح. والحاكم في الفتن والملاحم (٥١٧/٤)، وصحّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه أحمد (٢٢١٠٨)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. وابن ماجه في الفتن (٣٩٥١).

(٤) رواه أحمد (٢١٠٥٣)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في الفتن (٢١٧٥)، وقال: حسن صحيح. والنسائي في قيام الليل (١٦٣٨).

«إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَلَّا يَهْلِكَهَا بَسَنَةَ عَامَّةٍ، وَأَلَّا يَسْلُطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحُ بِيضْتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتَ قِضَاءَ فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَلَّا أَهْلِكُهُمْ بَسَنَةَ عَامَّةٍ، وَأَلَّا أَسْلُطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بِيضْتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بَأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ: مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»^(١).

هكذا قدر الله، وترك هذه للسنن، للقوانين الاجتماعية تفعل فعلها، فهذا ما نخشاه على هذه الأمة، أن يصبح بأسها بينها.

الأمم الأخرى تتقارب على جميع المستويات:

الأمم الأخرى تحاول أن تضم صفوفها، وأن تجمع كلمتها، رأينا ذلك على المستوى الديني، ورأينا ذلك على المستوى الأيديولوجي، وعلى المستوى السياسي، اليهود حاولوا أن يقتربوا من النصارى، والنصارى اقتربوا من اليهود، وأصدروا وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح - كما زعموا، والنصارى رغم اختلاف كنائسهم التي تعتبر كأن كلا منها دين مستقل، تقاربوا فيما بينهم، ولكن المسلمين - للأسف - يختلفون، ترى العالم على المستوى السياسي يتقارب سياسيًا، ويتقارب اقتصاديًا، وتقوم كتل كان بينها ثارات قديمة وحروب مستمرة، نسوا الاختلافات العرقية، ونسوا الاختلافات الدينية، ونسوا الاختلافات المذهبية، ونسوا الاختلافات التاريخية، ووجدوا المصلحة في أن يتحدوا، فما بال المسلمين لا يدركون هذا؟!!

(١) رواه مسلم (٢٨٨٩)، والترمذي (٢١٧٦) كلاهما في الفتن، عن ثوبان.

دعوة للأمة الإسلامية:

إنني أدعو أمتنا الإسلامية إلى أن تراجع نفسها على ضوء كتاب ربها، وسنة نبيها، وعلى ضوء تاريخها، وعلى ضوء واقعها، أن تعتصم بحبل الله جميعاً، هناك الحبل الذي إذا اعتصمت به فلن تتفرق أبداً، كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجمع كلمتنا على الهدى، وقلوبنا على التقى، وأنفسنا على الحب، ونياتنا على عمل الخير وخير العمل.
اللهم آمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

الترحيب بالعلامة أبي الحسن الندوي في قطر:

تسعد البلاد في هذه الأيام بزيارة الداعية الإسلامي الكبير الشيخ أبي الحسن علي الحسن الندوي، أحد أعلام هذه الأمة في هذا العصر، ورئيس ندوة العلماء بالهند، ورئيس عدد من المؤسسات والمجامع الإسلاميّة، وهو غني عن التعريف، ونرجو - إن شاء الله - أن نستمع منه إلى كلمة بعد الصلاة، ننشر بها الصدور، وتطمئن بها القلوب - إن شاء الله.

اللهمّ أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دُنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

اللهمّ اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدُّنيا وعذاب الآخرة.

اللهمّ اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين.

اللهمّ لا تهلكننا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

اللهم انصر إخواننا المجاهدين في سبيلك حيث ما كانوا من أرض الإسلام.

اللهم أنقذ إخواننا المشردين والممتحنين، اللهم افكك بقوتك أسرهم، واجبر برحمتك كسرهم، وتول بعنايتك أمرهم.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

اللهم آمين.

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وباركْ على نبيِّك وعبدك ورسولك مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأقم الصلاة، ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].





من أمراض الأمة: حب الدنيا

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

حب الدنيا علة لكل الأمراض:

تحدثنا في عددٍ من خطب الجمعة الماضية عن أمراض المجتمع، عن أمراض الأمة، التي تنخر في كيائها، وتعمل فيها عمل الداء في الأجساد، فتوهن من قوتها، وتضعف من صلابتها ومقاوماتها، وبقي أن نتحدّث عن مرض الأمراض، عن أهم هذه الأمراض وأعضلها، وأشدّها خطراً، وأبعدها أثراً، هذا المرض الذي يُعتبر علةً لكلّ تلك الأمراض وجرثومةً لها، هو مرض حبّ الدنيا، «حبُّ الدنيا رأس كل خطيئة»^(١) كما ورد في الأثر.

معنى حبّ الدنيا:

حبُّ الدنيا: أن تستولي الدنيا على قلبك، على تفكيرك، فتجعلها أكبر همّك، ومبلغ علمك، وغاية اهتمامك، ومحور سعيك، فلا تعمل إلاّ

(١) قال ابن تيمية: هذا معروف عن جندب بن عبد الله البجلي، وأمّا عن النبي ﷺ فليس له إسناد معروف. مجموع الفتاوى (١٢٣/١٨)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

لها، ولا تُفكر إلا فيها، ولا تحرص إلا عليها، ولا تسعى إلا إليها، ولا تفرح إلا بالوصول عليها، ولا تحزن إلا بفواتها، ولا تحب ولا تكره، ولا تصل ولا تقطع، ولا توالي ولا تعادي، ولا تسالم أو تحارب، إلا من أجل الدنيا.

هذا هو معنى حب الدنيا، أن تسيطر الدنيا عليك، أن تتخذ الدنيا لك ربًّا، فتتخذك لها عبدًا، أن تعيش في الدنيا وكأنك مخلدٌ فيها، أن تحيا في هذه الدار وكأنها هي الدار الوحيدة، ألا تفكر في الموت وما بعد الموت، أن تعيش في الدنيا بهذه الروح، بهذا التفكير، بهذا الاهتمام، هذا هو معنى حب الدنيا.

حبُّ الدنيا من أسباب الوقوع في المعاصي:

وحبُّ الدنيا هو وراء كل ما نرى من مصائب وكوارث، حبُّ الدنيا هو الذي يجعل الإنسان يستحل الحرام، يأكل المال بالباطل، لا يبالي ما دخل بطنه من طعام، ولا ما دخل جيبه من دراهم، أحلال هي أم من حرام!

حبُّ الدنيا من أسباب العداوة بين الناس:

حبُّ الدنيا هو الذي يجعل الناس يخاصم بعضهم بعضًا، ويعادي بعضهم بعضًا، ويكيد بعضهم لبعض، ويمكر بعضهم ببعض، حبُّ الدنيا هو الذي يجعل الابن يكيد لأبيه، والأب يجعل أعداءه من بنيه، والأخ يمكر بأخيه، ويحقد على أخيه.

حبُّ الدنيا يمزق الأسرة الواحدة:

حبُّ الدنيا هو الذي يمزق الأسرة الواحدة، يجعل أبناء الأب الواحد، بل ربّما كانوا أبناء أب واحد وأم واحدة، يكيد بعضهم لبعض، من أجل

ميراث، من أجل دنيا، من أجل مال، من أجل أن كل واحد يريد أن يكون أغنى من الآخر، حُبُّ الدُّنيا هو الَّذي يمزق النَّاسَ بعضهم من بعض، هذه هي الدنيا، هذا هو حُبُّ الدنيا.

تهافت النَّاسِ على الحياة وراءه حُبُّ الدنيا:

ما تراه من هذا التهافت على هذه الحياة، على المال، على الجاه، على المنصب، وراءه هذه الآفة الخطيرة، هذا الداء العضال، حُبُّ الدنيا. أحبُّ النَّاسِ الدُّنيا فرأيانهم هكذا يتعادون، هكذا يتهارشون تهارش الذئب، ويتعاونون تعاوي الكلاب، وينطلقون إلى هذه الجيفة، يريد كل منهم أن ينهش أكثر ممَّا ينهش الآخر، ثمَّ ماذا؟ ماذا بعد ذلك؟

الدنيا سريعة التغير:

إذا نهشت من الدُّنيا ما نهشت، إذا جمعت منها ما جمعت، إذا بنيت منها القصور، إذا شيّدت منها الصروح، إذا كان رصيدك بالملايين أو بالبلايين، ماذا تكون النتيجة؟

النتيجة: أنك - أيُّها الشاب - ستشيب، أيُّها الصحيح ستمرض، أيُّها الحي ستموت، النتيجة هناك في وادي الموتى، في المقابر.

اذهبوا إلى المقابر، هل تجدون فرقاً بين صاحب الملايين وصاحب الملايين؟ بين من رصيده بالملايين، ومن لا رصيد له في أي بنك من البنوك؟ هل تجد فرقاً بين الوزير أو الأمير أو الملك أو صاحب الجلالة أو من يسمونه ما يسمونه، هل تجد فرقاً بين هذا وبين خفيه أو ناطوره أو أي إنسان يحترقه النَّاسُ ولا ينظرون إليه؟ هل فرقت المقابر؟ هل فرق الموت بين أصحاب الدُّنيا العتيقة، وبين من لا يملكون منها شيئاً؟

لا والله، ما فرق الموت بين أحد من هؤلاء.

هل ذهب أحدٌ إلى القبر ومعه دفتر للشيكات؟ هل استطاع أحدٌ أن يرشو عزرائيل، فيؤخره عن ميعاده المحتوم، وميقاته المعلوم يوماً أو يومين، أو ساعة أو ساعتين، أو دقيقة أو دقيقتين، أو لحظة أو لحظتين؟

لا والله، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١].

الدنيا سريعة الزوال:

لماذا إذن هذا التهاوت على هذه الدنيا؟ لماذا هذا التكالب على هذه الدنيا؟ وهي سريعة التغير، كلُّ ما فيها إلى زوال.

لدوا للموت وابنوا للخراب، هكذا ينادي منادٍ كل يوم ويقول للناس: لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير إلى تراب^(١)

كل من يولد يولد ليموت، وكل ما يُشَيِّد يُشَيِّد ليخرب، قد يطول عمره، ولكنه سييموت، قد يبقى هذا القصر مائة أو مائتين، أو ألفاً أو ألفين، ولكنه سيخرب، لا محالة.

انظروا إلى من كان قبلنا، كانوا أطول منا أعماراً، وأعمارنا دياراً، وأبعد منا آثاراً، وها هي اليوم ديارهم وآثارهم خاوية، وقصورهم خالية، وأجسامهم بالية.

هذا هو شأن هذه الحياة، الحياة الدنيا إلى زوال، كل ما فيها إلى زوال.

(١) من شعر أبي العتاهية. انظر: الحماسة البصرية لصدر الدين البصري (٢/٤٢٧)، تحقيق مختار الدين أحمد، نشر عالم الكتب، بيروت.

أرى صاحب الدنيا وإن طال عيشه ونال من الدنيا سرورًا وأنعمًا
 كبانٍ بنى بنيانه فأتممه فلما استوى ما قد بناه تهدما^(١)
 هذا هو شأن الدنيا، لماذا يحرص الناس عليها هذا الحرص الذي
 نراه وهذه نهايتها؟

الله تعالى يقول: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ
 وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ، ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
 يَكُونُ حُطَمًا﴾ [الحديد: ٢٠].

﴿ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾ [الحديد: ٢٠]، هذه هي نهاية
 الدنيا، نبت يزهر ويخضر ثم بعد ذلك ينتهي إلى الحطام، يبس
 وتأكله النار.

الدنيا أحلام نوم أو كظل زائل:

لماذا يحرص الناس على الدنيا وقد شبهها المشبهون بأنها أحلام
 نوم، أو كظل زائل؟

أحلام نوم أو كظل زائل إن اللبيب بمثلها لا يخدع^(٢)
 ألا إنَّما الدنيا كأحلام نائم وما خير عيشٍ لا يكون بدائم؟!
 تأمل إذا ما نلت بالأمس لذة فأفيتها هل أنت إلا كحالم^(٣)؟!

(١) القائل: مَنْصُورُ التَّمْرِيِّ، انظر: الدر الفريد (٣/٣٢٩)، تحقيق امل سلمان الجبوري، نشر دار
 الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا (٢٣)، عن الحسن البصري، تحقيق محمد عبد القادر أحمد
 عطا، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٣) البيت لابن عبد ربّه، انظر: التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ص ٢٥٨، تحقيق إحسان
 عباس، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ٢، ١٩٨١م.

قال الفضيل بن عياض: لو كانت الدنيا ذهبًا يفنى، والآخرة خزفًا يبقى، لكان على العاقل أن يختار خزفًا يبقى، على ذهب يفنى. فكيف والدنيا هي الخزف، والآخرة هي الذهب^(١)؟

بل أقول: إنَّ الدنيا أقلُّ قيمة من الخزف، والآخرة أعلى وأنفس من الذهب؛ إنها دار الخلود، إنَّك لن تعيش في الآخرة يومًا أو يومين، ولا ألفًا ولا ألفين، ولا مليونًا ولا مليونين من السنين، إنها الخلود، إنها الأبد.

حين نزل على النبي ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] جمع أقاربه من بني هاشم، وأولم لهم وليمة، وبعد أن أكلوا وشربوا، قام فيهم خطيبًا، ثم قال: «إنَّ الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبتُ النَّاسَ جميعًا ما كذبتكم، ولو غررتُ النَّاسَ جميعًا ما غررتكم، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحسانًا، وبالسوء سوءًا، وإنَّها لجنة أبدأ، أو لنارٌ أبدًا»^(٢).

وهذا ما جعل بعض الصالحين يقول: إنَّ الذي قطع قلوب الخائفين، إنَّما هو طول الخلودين، الخلود في الجنة، والخلود في النار^(٣).

الآخرة هي قضية الإنسان المصيرية:

الأمر ليس أمرًا هينًا، إنَّها قضية المصير، النَّاسُ يتحدثون الآن عن القضايا المصيرية، والاهتمام بها، وأعظم القضايا المصيرية: هي مصيرك

(١) إحياء علوم الدِّين (٢٠٧/٣).

(٢) الكامل لابن الأثير (٦٥٩/١)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي،

بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٣) التخويف من النَّار لابن رجب ص ٤٤، عن يحيى بن أبي كثير، تحقيق شير محمد عيون، نشر

دار البيان، دمشق، ط ٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

- أيها الإنسان - في الآخرة، إلى الجنة أم إلى النار، هذه هي قضية القضايا، إلى الجنة أم إلى النار.

علام إذن يتهافت النَّاس تهافت الفراش في النَّار من أجل هذه الدنيا، علام يختصمون، وعلام يتغاضبون، وفيما يتنافسون في هذه الدنيا، في هذا الخزف الفاني، فيما هو أقل من خزف فانٍ.

لا تساوي الدُّنيا كل هذا، لا تساوي الدُّنيا أن يتعادي النَّاس من أجلها، ويقاتلوا عليها، ويقطعوا الأرحام، ويعقوا الآباء والأمهات، ويجافوا الإخوة والأخوات، والأعمام والعمات، والأخوال والخالات، من أجل هذه الدنيا.

قيمة الدُّنيا عند الله:

لا تساوي الدُّنيا كل هذا، النبي ﷺ يقول: «لو كانت الدُّنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء»^(١).

ولكن لهوان الدُّنيا على الله أن الكفار فيها يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام، وأن أولياء الله في هذه الدُّنيا يُبتلون ويهانون.

في الحديث يقول ﷺ: «إنَّ أشدَّ النَّاس بلاء الأنبياء، ثمَّ الأمثل فالأمثل»^(٢).

لو كانت الدُّنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما عُذِّب فيها أنبياء الله ورسله وأوليائه، ويحيى يذبح كما تذبح الشاة، وعيسى يتأمر عليه،

(١) سبق تخريجه ص ١٠٩.

(٢) رواه أحمد (١٤٨١)، وقال مخرجه: إسناده حسن. والترمذي في الزهد (٢٣٩٨)، وقال: حسن صحيح. والنسائي في الكبرى في الطب (٧٤٨١)، عن سعد بن أبي وقاص.

ومحمد يوضع له السم، ويؤذى ثلاثة عشر عامًا في مكة، ويُجاهد ويُقاتل عشرة أعوام في المدينة.

لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما رأينا أصحابه يسقطون شهداء، عمر وعثمان وعلي والحسين وغيرهم.

لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما رأينا الدعوة إلى الله يلاقون العذاب، ويذوقون الصَّاب والعَلقم، وأعداء الله يتنعمون.

نصيب الإنسان من جناح البعوضة:

هذه هي الدنيا، الدنيا لا ينال ما عند الله إلا بتركها، ولا يعصى الله إلا فيها، «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء»^(١).

ونقول دائمًا: إذا كانت الدنيا لا تزن جناح بعوضة، الدنيا كلها بسمائها وأرضها، وبحارها وأنهارها، باليابسة والمحيطات، والأشجار والأنهار، وبالصحراء بالمعادن والنفط، بكل هذه الأشياء، بكل قاراتها الخمس، لا تزن عند الله جناح بعوضة، فماذا يكون نصيبك أنت من جناح البعوضة؟ ماذا تكون قارة آسيا في جناح البعوضة؟ ماذا تكون بلاد الخليج في جناح البعوضة؟ ماذا تكون قطر في جناح البعوضة؟ ماذا تكون أنت في قطر من جناح البعوضة؟ خذ البعوضة كلها بجناحيها، ماذا تساوي الدنيا حتى يتقاتل الناس عليها إلى هذا الحد؟

في الحديث عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ مرَّ بالسوق داخلًا

(١) سبق تخريجه ص ١٠٩.

من بعض العالمة، والناس كَنَفْتِيَه^(١)، فَمَرَّ بجدي أسك^(٢) ميت، فتناوله فأخذ بأذنه، ثمَّ قال: «أيكم يحبُّ أن هذا له بدرهم؟»
فقالوا: ما نحبُّ أنَّه لنا بشيء، وما نصنع به؟
قال: «أتحبون أنَّه لكم؟»

قالوا: والله، لو كان حيًّا، كان عيبًا فيه؛ لأنَّه أسك، فكيف وهو ميت؟
فقال: «فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم»^(٣).
رماه أهله؛ لأنَّه لم يعد له قيمة عندهم، فهو ميت، والدنيا أهون على الله من هذا الجدي الأسك الميت على أهله.

من خصائص الدنيا أنَّه لا يُشْبَعُ منها:

هذه هي قيمة الدنيا التي يتهافت النَّاس عليها، والتي لا يمكن أن يشبع الإنسان منها، مهما أوتي، وهذا من خصائص هذه الدنيا.

في الحديث عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «لو أنَّ لابن آدم واديًّا من ذهب أحبَّ أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلاَّ التراب، ويتوب الله على من تاب»^(٤).

لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى الثالث.
فصاحب العشر يبغى عشره مائة وصاحب الألف يبغى الألف مليوناً

(١) كَنَفْتِيَه، أي: جانبه.

(٢) الأَسْك، أي: صغير الأذنين.

(٣) رواه مسلم في الزُّهد (٢٩٥٧)، وأحمد (١٤٩٣٠).

(٤) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٣٩)، ومسلم في الكسوف (١٠٤٨).

وصاحب المليون يريد أن يكون مليارديراً، وصاحب المليارات يريد أن يكون أغنى من غيره، «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى الثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب».

نسبة الدنيا إلى الآخرة:

الدنيا زائلة، إذا نظرنا إليها بالنسبة للآخرة فقد بين النبي ﷺ لنا هذا المثل حينما قال: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليم، فلينظر بم ترجع»^(١).

إذا وضعت أصبعك في الخليج أو في المحيط وأخرجتها، ماذا يأخذ أصبعك من الخليج أو من البحر أو من المحيط، هذه هي نسبة الدنيا إلى الآخرة، فكيف يضيع الإنسان العاقل الآخرة من أجل الدنيا.

الدنيا من صفاتها الغدر:

الدنيا من طبيعتها التغيُّر، والتغيُّر السريع، ولذلك وصفها النَّاس بالغدر، قال علي بن أبي طالب: هي دار بالبلاء محفوفة، وبالفناء معروفة، وبالغدر موصوفة، فكل ما فيها إلى زوال، وهي بين أهلها دول وسجال، لا تدوم أحوالها، ولن يسلم من شرها نزالها، بينا أهلها منها في رخاء وسرور، إذا هم منها في بلاء وغرور^(٢).

وما أكثر حوادث الدنيا التي نراها.

الدنيا سريعة التقلب بأهلها:

الدنيا سريعة التغيُّر، الإنسان فيها معرض في كل لحظة إمَّا

(١) رواه مسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٥٨)، وأحمد (١٨٠٠٩)، عن المستورد بن شداد.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الزهد (٢٠٣).

لنعمة زائلة، أو بلية نازلة، أو لمنية قاتلة؛ فالموت ليس بعيداً عن أي أحد.

كثيراً ما يموت الإنسان وهو في عنفوان شبابه، وفي مقتبل عمره، وفي زهرة حياته، بعض الناس يظنون أن الموت لا يأتي إلا بعد الشيخوخة.

كم رأينا من شباب ماتوا - والله وهم في زهرة شبابهم.

كثيراً ما يموت الناس في حوادث السير، وما أكثر الحوادث، قد لا تكون أنت السائق، تأتي السيارة فتدهمك وأنت ماشٍ على رجلك.

كثيراً ما رأينا الناس يموتون بالسكتة القلبية، بالذبحة الصدرية، موت الفجاءة أصبح شائعاً في عصرنا، ما الذي يدريك، من ضمن لك إذا أصبحت أن تعيش إلى المساء؟ وإذا أمسيت أن تدرك الصباح؟

لا أحد يضمن لك هذا.

تزوّد من التقوى فإنك لا تدري إذا جن ليلٌ هل تعيش إلى الفجر
فكم من سليم مات من غير علة وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر^(١)

قد تكون منعماً في عيشك، وقد تكون متمتعاً بمالك، ولا تدري ما يخبئه لك الدهر، وكم من مخبئاتٍ يخبئها الزمن، تفاجئ الناس بما لا يعلمون.

كم رأينا من أصحاب سلطان زال سلطانهم.

كم رأينا من تجار كبار أفلست تجارتهم.

(١) ذكر الفاكهاني البيتين الأولين ولم ينسبهما في رياض الأفهام (١٧٠/٣)، تحقيق نور الدين طالب، نشر دار النوادر، سوريا، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.



كم رأينا من أثرياء افتقروا، والشاعر يقول:
يا راقد الليل مسرورًا بأوله إنَّ الحوادث قد يطرقن أسحارًا^(١)
قد تأتي الحوادث في السحر، وأنت نائم في أوّل الليل في أمان الله،
هذه هي طبيعة الدنيا.

الدنيا دار عناء وتعب:

قال رجل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، صف لنا الدُّنيا
قال: وما أصف لك من دار: من صح فيها أمن، ومن سقم فيها ندم، ومن
افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها فتن، في حلالها الحساب، وفي
حرامها النار^(٢).

أولها بكاء:

هذه هي الدنيا، أولها بكاء، أوّل ما ينزل الإنسان من بطن أمه يصرخ
باكيًا، وفي هذا يقول الشاعر:

ولدتك أمك يا ابن آدم باكيًا والناس حولك يضحكون سرورًا
فاعمل ليوم أن تكون إذا بكوا في يوم موتك ضاحكًا مسرورًا^(٣)

يوم أن نزلت من بطن أمك كنت تبكي والناس يضحكون، فخذ
بثأرك يوم تموت، وهم يبكون، اعمل لكي تكون أنت الضاحك، في

(١) من شعر ابن الرومي. انظر: حياة الحيوان الكبرى (٣٤٤/٢)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٤هـ..

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الزُّهد (١٨)، نشر دار ابن كثير، دمشق، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ص ٣٠٧، تحقيق الصادق بن محمد بن إبراهيم، نشر مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط ١، ١٤٢٥هـ.

حين أنّهم يبكون، وذلك لا يكون إلا بعمل الصالحات، الشيء الوحيد الذي يملك الإنسان أن يخرج به من الدنيا، هو الإيمان والعمل الصالح. فإذا استطعت أن تكسب هذا من الدنيا، كانت الدنيا لك نعم الدار، وإلا فأنت الخاسر، ماذا أصف من دار أولها بكاء، يقول الشاعر:

لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد
وإلا فما يبكيه منها وإنّها لأفسح ممّا كان فيه وأرغد^(١)!

لماذا يبكي وهو خارج من الضيق إلى السعة؟

يقول: هذا إيذان بأنّ هذه الدار دار نكد من أولها، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤].

أوسطها عناء:

ماذا أصف لكم من دار أولها بكاء، وأوسطها عناء، وآخرها فناء، أوسطها عناء، يعيش الإنسان فيها يعاني، كل إنسان يعاني في هذه الدنيا، سواء كان مقلًا أم مكثراً، فقيراً أم ثرياً، كل إنسان يعاني في هذه الدنيا، والمعاناة والمكابدة صفة الإنسان في هذه الدار، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤].

وآخرها فناء:

فأول هذه الدنيا بكاء، وأوسطها عناء، وآخرها فناء، الموت هو النهاية، ما ترك الموت أحداً، لا نبياً ولا ولياً، ولا فقيراً ولا غنياً، ولا ملكاً ولا مملوكاً، ولا سيّداً ولا عبداً، ولا رجلاً ولا امرأة،

(١) من شعر ابن الرّومي، انظر: الإعجاز والإيجاز صـ ٣٢٠، نشر مكتبة القرآن، القاهرة.

اخترق الموت الجميع، شرب الجميع من هذا الكأس، وردوا هذا الحوض، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

الفوز الحقيقي:

هذا هو الفوز الحقيقي، الفوز الحقيقي أن تزحزح عن النار وتدخل الجنة، وإلا فلا فوز.

ليس فوزًا أن تكسب الملايين، ليس فوزًا أن ترقى أعلى المناصب، ليس فوزًا أن يكون لك البنون المتفوقون، ليس فوزًا أن يكون لك الخدم والحشم، ليس فوزًا أن تربح في تجارتك الدنيوية، إنما الفوز الحقيقي أن تربح في الآخرة، أن تزحزح عن النار وتدخل الجنة، ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾.

الفوز يتحقق بالإيمان والعمل الصالح:

إنما تزحزح عن النار وتدخل الجنة بصدق الإيمان وصلاح العمل، بصدق الإيمان وصلاح العمل تستطيع أن تخرج من الدنيا وأنت مطمئن بأنك زرعت في هذه المزرعة زرعًا فائتم، الدنيا مزرعة الآخرة، أنت تزرع هنا لتحصد هناك، أنت تعد هنا لتحصل هناك، أنت خلقت للخلود، وإنما ينقلك الموت من دار إلى دار.

الدنيا مزرعة الآخرة:

الدنيا مزرعة الآخرة، تزرع خيرًا تحصد خيرًا، من جدَّ وجد، ومن زرع حصد، ولا يضيع الله أجر من أحسن عملاً، وهذا هو عمل البصراء

الَّذِينَ أَنَارَ اللَّهُ بَصَائِرَهُمْ، وَفَقَهَتْ قُلُوبَهُمْ، وَعَرَفُوا أَنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍ،
وَلَيْسَتْ دَارَ مَقَرٍّ، وَأَنَّ الْقَرَارَ فِي تِلْكَ الدَّارِ كَمَا قَالَ مُؤْمِنٌ آلِ فِرْعَوْنَ:
﴿يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ * مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ
عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ
فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٣٨ - ٤٠].

املك الدنيا ولا تملكك:

من فضل الله علينا أن الإسلام لم يطلب منا أن نهجر الدنيا هجرًا
كليًا، لم يطلب منا أن نعيش عيشة الرهبان، وإنما قال: املكوا الدنيا في
أيديكم ولا تُسكنوها قلوبكم.

لا بأس أن تملك الدنيا ولا تملكك، وأن تسخر الدنيا
ولا تسخرك، وأن تعيش في الدنيا ولا تعيش فيك، هذا هو المطلوب
من الإنسان المسلم.

وهذا ما فعله النبيون، كان من النبيين من ملك الدنيا، يوسف وداود
وسليمان، ومحمد ﷺ ملك الدنيا، وفتح الله له الفتوح، ولكنه لم يسكنها
في قلبه، ولم يعرها التفاتًا، وما جاءه شيء إلا أنفقه، وخرج من الدنيا
ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين وسقًا من شعير، اتخذها من أجل
نفقة عياله وأهله^(١).

هكذا كان ﷺ.

(١) إشارة إلى الحديث المتفق عليه: اشترى من يهودي طعامًا إلى أجل، ورهنه درعه. رواه
البخاري في الرهن (٢٥٠٩)، ومسلم في المساقاة (١٦٠٣)، عن عائشة.

الجمع بين حسنة الدنيا والآخرة:

نستطيع أن نعمل في هذه الدنيا بروح أهل الآخرة، أن نعيش في الدنيا وأعيننا مشدودة إلى الآخرة، أن نعيش في الأرض بقلوب أهل السماء، أن نكون كالذين قال الله فيهم: ﴿رِجَالٌ لَا نُلْهِمُهُمْ تِجْرَةً وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧].

كان في الصحابة أغنياء من أمثال عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وغيرهما من الصحابة، ولكن الدنيا لم تلههم عن الآخرة، لم تشغلهم عن حق الله، لم تجعل أحدهم يجور على أخيه، أو يكيد له، بل أعطوا الدنيا حقها والآخرة حقها، كما علمنا الله تعالى أن نقول: ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

الخطر أن ينسينا حب الدنيا الآخرة:

إنَّ الخطر كل الخطر، أن تستولي الدنيا على القلوب، أن نحب الدنيا حباً ينسينا الله خالقها، وينسينا الآخرة التي هي دار القرار، أن نحب الدنيا هذا الحب، هذا هو الخطر الذي نبه عليه، ونحذر منه، وهذا لا يكون إلا لمن فقد الإيمان بالآخرة، الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ ﴿أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧، ٨]، أو الذين لا يظنون أن هناك آخرة إلا ظناً ضعيفاً، كالذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَقِينِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢].

الغفلة عن الآخرة من أخطر الأمراض:

وقد يؤمن الإنسان بالآخرة من الناحية النظرية، ولكنه غافلٌ عنها، في شغلٍ عنها، لا تكاد تخطر بباله، فهو منهمك في دنياه، لم يصل الإيمان عنده إلى حد اليقين، الذي وصف الله به المتقين بقوله: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤].

فهذا هو الغافل، وهذه الغفلة هي أس الداء، قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ * يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ * [الروم: ٦، ٧]، الغفلة عن الآخرة من أخطر الأمراض والأدواء.

يا أيُّها الإخوة، علينا أن نعرف قدر الدُّنيا بحيث لا تشغلنا عن ربِّنا، ولا عن آخرتنا، ندعو بما علمنا به النبي ﷺ أن ندعو به: «اللهم لا تجعل الدُّنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا»^(١).

وقد ذم الله قومًا فقال: ﴿فَاعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ * ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ * [النجم: ٢٩، ٣٠]، كل ما يعلمونه هو ما يتعلق بالدنيا، الذين آثروا الحياة الدنيا: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ﴾ * وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧ - ٣٩].

إيثار الحياة الدُّنيا هو الخطر، وحبُّ الدُّنيا هو الخطر.

سبيل النجاة في الانشغال بالآخرة:

والنجاة والخلاص والسلامة في أن نشغل قلوبنا بالآخرة، أن تصبح الآخرة هي الغاية، والدنيا هي الوسيلة، لا أن نعيش للآخرة، ونجعل

(١) رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٠٢)، وقال: حسن غريب. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠١٦١)، وصحَّحه الألباني في صحيح الترمذي (٢٧٨٣)، عن ابن عمر.

الدُّنيا مجرد مطيِّة للوصول إلى دار الخلود، للوصول إلى دار القرار، بهذا يسعد النَّاس في دنياهم قبل آخرهم، بهذا يخرج النَّاس من هذه الغابة التي يعيش النَّاس فيها وحوشًا، يأكل القوي فيهم الضعيف، أو بحرًا فيه أسماكٌ يلتهم كبيرها الصغير، بهذا نخرج من الغابة لنعيش أناسًا مؤمنين، كالذين قال فيهم العبد الصالح:

إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا فَطْنَا طَلَقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا
نَظَرُوا إِلَيْهَا فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحْيِ وَطْنَا
جَعَلُوهَا لِحْجَةً وَاتَّخَذُوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سَفْنَا^(١)

وقال لقمان لابنه: يا بني، إِنَّ الدُّنْيَا بحر عميق، قد غرق فيه ناس كثيرون قبلك، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله، ودفعتها التوكل على الله، وشراعها الإيمان بالله، لعلك تنجو، وما أراك ناجيًا^(٢).

نسأل الله تعالى أن يكتب لنا النجاة والخلاص، والسلامة من آفة حب الدنيا، ويجعلنا من الذين قال الله فيهم: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْأُولَاءُ﴾ [الزمر: ١٨].
ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

* * *

(١) نسبه ابن خلكان في وفيات الأعيان لابن أبي رندقة (٢٦٢/٤)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الزهد (١٧٩).

من أمراض الأمة: الإسراف

الخطبة الأولى

أما بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

الكون قام على التوسط والاعتدال:

لا يزال الحديث مستمرًا عن أمراض مجتمعاتنا الإسلاميَّة التي تعمل في جسمها ما تعمل الأوبئة الفتَّاكة في الأجساد والأبدان، من أمراض هذه الأمَّة: الإسراف، الإسراف في كلِّ شيء، إنَّها لا تقدِّر نعمة الله حقَّ قدرها، فتتناول هذه النعمة بما ينبغي لها، من المحافظة عليها، واستعمالها فيما خلقت له، واستخدامها فيما يحبُّ الله تعالى ويرضى، بالقصد، بالاعتدال والتوسط، دون إسراف ولا تقتير، دون طغيان ولا إفساد، فهذا هو شأن الإنسان المؤمن، وهذا ما أقام الله عليه الحياة، وأقام عليه هذا الكون، ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن: ٧-٩]، لا طغيان: لا تجاوز للحد. ولا إفساد: لا نقص عنه، ولا تطفيف فيه.

التوسط والاعتدال سلوك المؤمنين:

شأن المؤمنين هو التوسط والاعتدال؛ فخير الأمور أوسطها، وهذه

أمّة وسط، وسط في كل شيء، أمرها معتدل، لا تميل إلى يمين ولا إلى يسار، وإنما صراطها مستقيم، هو أقرب موصل إلى الهدف.

هذه الأمّة أمّة الاعتدال، ولذلك وصف الله عباد الرحمن بقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، لا تقتير ولا إسراف، ويقول وَعَجَلَ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

الإسلام لا يحرم الطيبات:

لا يحرم الإسلام عليك الطيبات، بل أنكر على الذين حرموا الطيبات وزينة الله وقال: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴿ [الأعراف: ٣١، ٣٢]، من له الحق في أن يحرم على الناس زينة الله؟

وقد أضاف هذه الزينة إليه سبحانه تشريفًا لها وتكريمًا: ﴿زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

الطيبات للمؤمنين أصالة في الدنيا يتبعهم غيرهم، هم شركاء فيها بالتبعية؛ لأن أصل الطيبات لمن يطيع الله ويعبده ويقوم بحقه، ولا مانع أن يشركهم غير المؤمنين، خالصة يوم القيامة.

أمّا يوم القيامة فالطيبات خالصة للمؤمنين، لا يشاركونهم فيها أحد.

الإسلام يمنع الإسراف:

لم يمنع الإسلام الاستمتاع بالطيبات وزينة الله، وإنما منع الإسراف،

﴿زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، لا تسرفوا، الله لا يحبُّ المسرفين من عباده، المتجاوزين للحدود.

ومعنى هذا: أن يقف الإنسان عند قدراته، (على قدر لحافك مد رجلك).

لا تحاول أن تُنفق أكثر ممَّا تستطيع، لا يكن مصروفك أكثر من دخلك، فتضطر للاستدانة، والدين هم بالليل، مذلة بالنهار، وقد لا تستطيع أن تسدّد دينك، فتضطر أن تُحدّث فتكذب، وتعد فتُخلف، ولذلك كان النبي ﷺ يستعيد بالله من المأثم والمغرم، المأثم: المعصية، والمغرم، الدين.

ف قيل له: ما أكثر ما تستعيد من المغرم، يا رسول الله؟

قال: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرَمَ، حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»^(١).

عش في حدود استطاعتك.

عش في حدود الحلال، لا تنفق في الحرام ولا فلسًا واحدًا؛ فإن الإنفاق في معصية الله هو التبذير، وإن كان قليلاً.

الفرق بين الإسراف والتبذير:

فرق بين الإسراف والتبذير، أن الإسراف: تجاوز في الحلال. وأن التبذير: إنفاق في الحرام.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٨٣٢)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٨٩)، عن عائشة.

فلو أن رجلاً عنده مال قارون وأنفق درهماً واحداً في معصية، كان ذلك تبذيراً، وهو محرّم ومنهيّ عنه، قال تعالى: ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ط وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ﴾؛ لأنك إذا بذرت لن تجد لهؤلاء ما تعطيتهم، لا لذي القربى، ولا للمسكين، ولا لابن السبيل، فلا تبذر تبذيراً، لا تنفق مالك فيما حرّم الله، في الخمر، في المخدرات، في المعاصي أيًا كانت هذه المعصية.

من التبذير الإنفاق فيما لا يضر ولا ينفع:

ومن ذلك، الإنفاق فيما لا يضر ولا ينفع في الدنيا ولا في الآخرة؛ لأنّ هذا إضاعة للمال، وقد نهى النبي ﷺ عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال، كما في الصحيح، عن كاتب المغيرة بن شعبة قال: كتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة: أن اكتب إليّ بشيء سمعته من النبي ﷺ، فكتب إليه: سمعت النبي ﷺ يقول: «إنّ الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال»^(١).

التدخين من التبذير:

ومن ذلك التدخين^(٢)، فأقل ما فيه أنّه لا ينفع الجسم ولا الروح، ولا يفيد في دنيا ولا في أخرى، فكيف وقد ثبت ضرره، وأجمع العالم كلّهُ على أنّه ضارٌّ بالصحة؟

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٧٥)، ومسلم في الأفضية (٥٩٣)، عن المغيرة بن شعبة.

(٢) انظر كتابنا: فتاوى معاصرة (١/٦٥٤ - ٦٦٩)، فتوى: أحكام التدخين في ضوء النصوص والقواعد الشرعية، نشر دار القلم، الكويت، ط ٩، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

فهو ضارٌّ بصحتك، وضارٌّ بمالك، أي أنك تشتري ضرر بدنك بحر مالك، أليس هذا حماقة، أن تشتري ما يضرك بفلوسك؟
وتعطي هذه الأموال للشركات الاستعمارية التي تصنع السجائر المشهورة!

هذا كله لا يجوز، هذا من التبذير، والمسلم مطالبٌ أن يقف عند حدود الاعتدال، لا ينبغي أن يتوسع فيشتري ما يحتاج إليه، وما لا يحتاج إليه.

سعار الشراء:

العالم الآن مصاب بالسعار، وهذا السعار نتيجة هذه الإعلانات التي تمتلئ بها الصحف، وتمتلئ بها الإذاعات، وتمتلئ بها التلفزيونات، تعرضها فتيات جميلات، تتكسر وتتشنى في حركات خليعة ماجنة؛ لتغريك بشراء السلعة وتكرهك في السلعة التي عندك، فما إن تتكرر عليك هذه الإعلانات مرّة بعد مرّة، ويومًا بعد يوم، وأسبوعًا بعد أسبوع، وشهرًا بعد شهر، حتى تحس بكراهية ما عندك، وتحاول أن تتخلص منه لتشتري الجديد، وبعد أن تشتري الجديد، تأتي إعلانات جديدة تُكرهك في هذا الجديد؛ لتشتري ما هو أجد وأحدث، وهكذا تظل في دورة لا تنتهي، هل هذا معقول؟

هذه فكرة الحضارة الحديثة، حضارة الإعلانات، الإسلام يجعل من أوصاف التجار الفضلاء الذين إذا باعوا لم يمدحوا، وإذا اشتروا لم يذمّوا، لا يحاول أن يمدح السلعة ويعطيها أوصافًا أكثر ممّا هي عليه، وإذا اشترى لا يذم.

المبالغة في الإنفاق على الدعاية:

أمّا العصر الحديث فيقوم على المديح والإطراء والإغراء لكل ما هو جديد، وينفق على السلعة ملايين، قرأت عن إحدى السلع أنّهم أنفقوا عليها مائة وثلاثين مليوناً من الدولارات دعاية وإعلاناً لها، كنتم أَرْخِصُوا هذه السلعة بهذا المبلغ، هذه المبالغ التي تذهب عبثاً، أليس أولى بها المستهلكون؟!!

نحن ينبغي أن نضبط أنفسنا، لقد قال عمر رضي الله عنه لبعض الصحابة حينما رآه يشتري شيئاً لم يكن في ضرورة إليه، قال له هذه الكلمة البليغة المعبرة: أكلّمَا اشتهيت شيئاً اشتريته^(١).

كلّمَا اشتهى الإنسان شيئاً اشتراه، هذا هو الواقع للأسف!

شهوة النَّاس للشِّراء:

وعند الإنسان شهوة للشراء، يحبُّ أن يشتري، يحبُّ أن يقتني، ولو طأوع الإنسان نفسه في هذا الأمر، فإنّه يريد أن يشتري كلَّ شيء، ويكدّس بيته، وبعد مدة لا يجد مكاناً لهذه الأشياء، ويحاول أن يتخلص منها، لا بدّ أن يقف الإنسان عند التوسط، عند الاعتدال، فلا يشتري إلاّ ما يحتاج إليه بالفعل، لا يشتري إلاّ ما هو في حاجة فعلية إليه، ممّا يأكل أو يشرب أو يلبس أو يستخدم أو يقتني، أمّا ما لا حاجة إليه فلا معنى لشرائه.

التجار يستغلون شهوة النَّاس للشِّراء:

الأوكازيونات التي يصنعها التجار ما بين الحين والحين، وكثيراً

(١) رواه ابن أبي شيبة في الإطعام (٢٥٠١٢)، وأحمد في الزهد (٦٥٣)، تحقيق محمد عبد السلام شاهين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

ما تكون كاذبة، وما تكون مزيفة وغير حقيقية، ولكنهم يستغلون رغبة الشراء عند الناس، وما جاء به هذا التخفيض؛ ليشتري الناس ما لا حاجة لهم إليه.

وهناك أناسٌ - للأسف - مولعون بالشراء، وبشراء الشيء الغالي.

قال بعض التجار يوماً وقد قلت له: لماذا تبيعون بهذا السعر؟ هذا السعر أعلى من البلاد المجاورة بكثير؟

قال: نحن نبيع لصنف معين، وخصوصاً من النساء والفتيات، وهؤلاء لا يشترون الرخيص، لو أرخصنا هذه السلعة وبعناها بسعرها الحقيقي، ما أقبل علينا منهن أحد.

إنهن يشترين الغالي ويباهين به، يشترين الغالي ويكذبن ويزدن على ما اشترين به، يشترين بألف ويقلن: اشتريناه بألفين، فيكذبن ويغششن الأخريات!

فنحن نغلي ونرفع السعر أكبر من حقه؛ لنبيع لهؤلاء.

هل هذا من العقل؟ هل هذا من الدين، هذا لا من العقل، ولا من الدين في شيء، لماذا يشتري الإنسان ما هو أكثر من قيمته؟ لماذا يشتري الإنسان الشيء الغالي؟

والعجيب أن يقلد بعض الناس محدوددي الدخل هؤلاء الذين يلعبون بالأموال لعباً، ويعبثون بالملايين عبثاً، فنرى بعض الضعاف من الناس يقلد هؤلاء!

لا؛ عليك ألا تشتري إلا الرخيص، واجبر التجار على أن يرخصوا، كما قال بعض الحكماء: وقد قيل له: إن السلعة الفلانية قد غلت.

فقال لهم: أرخصوها.

قالوا له: رحمك الله، وكيف نُرخصها؟

قال: بالإعراض عنها، اتركوها سترخص.

وهكذا قال الشاعر:

وإذا غلا شيءٌ علي تركته فأراه أرخص ما يكون إذا غلا^(١)

الإسراف في المأكل:

ينبغي للأمة أن تتحكم في شهواتها، نحن نسرف في كل شيء، نسرف في المأكل إذا أكلنا، نأكل أكل الشرهين، والنبى ﷺ يعلمنا آداب الأكل، أن نحسن الأكل إذا أكلنا، «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن. بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»^(٢)، ولا تأكل من وسط الصحيفة.

كل هذا تعليم: ألا يأكل الإنسان بشراهة، وقال ﷺ: «المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء»^(٣).

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ ضافه ضيف وهو كافر، فأمر رسول الله ﷺ بشاة، فحلبت فشرب الكافر حلابها، ثم أخرى

(١) هو محمود الوراق، كما في المنتحل للثعالبي (١٧٥/١)، تحقيق الشيخ أحمد أبو علي، المطبعة التجارية، الإسكندرية، ١٣١٩هـ - ١٩٠١م.

(٢) رواه أحمد (١٧١٨٦)، وقال منخرجه: رجاله ثقات، غير أن يحيى بن جابر الطائي تكلموا في سماعه من المقدم، فإن صح سماعه منه فالحديث صحيح، وإلا فمنقطع. والترمذي في الزهد (٢٣٨٠)، وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه في الأطعمة (٣٣٤٩)، والحاكم في الرقاق (٣٣١/٤)، وصححه، ووافقه الذهبي، وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح (٥٢٨/٩)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٢٦٥)، عن المقدم بن معد يكرب.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الأطعمة (٥٣٩٣)، ومسلم في الأشربة (٢٠٦٠)، عن ابن عمر.

فشربه، ثم أخرى فشربه، حتى شرب حلاب سبع شياه، ثم إنه أصبح فأسلم، فأمر له رسول الله ﷺ بشاة فشرب حلابها، ثم أمر بأخرى فلم يستتمها.

فقال رسول الله ﷺ: «المؤمن يشرب في معي واحد، والكافر يشرب في سبعة أمعاء»^(١).

هو ليس عنده سبعة أمعاء، كل إنسان له معي واحد، وإنما هذا كناية عن أن هذا لا هدف له إلا أن يأكل، هو إنسان شره، إنسان نهم، ليس عنده شيء يشغله، همُّه بطنه، ومن كان همُّه بطنه فقيمه ما يخرج منها، ولكنّه عندما أسلم تغيّرت فكرته، وتغيرت نظرته، واكتفى بقدر واحد، ولذلك قال ﷺ ما قال.

إلقاء الطعام الكثير في سلال القمامة:

ليس المهم في كثرة ما يؤكل؛ لأنّ الإنسان مهما أكل فإنّ معدته محدودة، إنّما الأهم في كثرة ما يُلقى، كثرة ما يُطرح من فضلات الطعام، انظروا إلى الطعام الذي يُلقى يوميا، فضلات إنسان يغرف ويطمع ويملاّ الطبق، ثمّ يأكل نصفه، ويلقى الباقي في سلة المهملات. لم هذا؟

خذ على قدرك، العق الصحيفة.

لعق الصحيفة معناها في عصرنا: ألا تبقي فضلة في صحنك، سواء كنت تأكل بالملعقة أو باليد، فإنّك لا تدري أين تكون البركة، كما في الصحيح عن جابر رضي الله عنه، أنّ النبي ﷺ أمر بلعق الأصابع والصحفة، وقال: «إنكم لا تدرون في أيه البركة»^(٢).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأئمة (٥٣٩٧)، ومسلم في الأشربة (٢٠٦٣).

(٢) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٣٣).

من المسلمين من لا يجد لقمة:

لا ينبغي أن يبالغ النَّاس في هذا الأمر، تمتلئ هذه الأوعية أوعية القمامات بفضلات الطعام، كثيرًا ما أحضر بعض الولايم، وفيها من الخراف والأرز ما شاء الله، ولا يأكل الحاضرون عشر الموجود، أقل من العشر، ولا أدري ماذا يحدث بعد ذلك، ولكنني أسأل: فيقال: يأتي أناس بعدنا يأكلون، ثم أناس آخرون، ثم تبقى أشياء كثيرة تُرمى في سلال القمامة، هل هذا يجوز؟ وهناك من المسلمين من يبحث عن اللقمة فلا يجدها، هناك من لا يجد قوت يومه، من لا يجد الطعام الخشن، ونحن نلقي اللحوم والأرز وهذه الأطعمة في أوعية القمامة.

هذا أمر لا يجوز، النبي ﷺ يقول: «إذا ما وقعت لقمة أحدكم، فليمط عنها الأذى، وليأكلها، ولا يدعها للشيطان»، وأمرنا أن نسلت الصحيفة، وقال: «إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة»^(١).

سقوط اللقمة لا يعني أن ترمي بها، ولكن خذها ونظفها، ثم تناولها ولا تتركها للشيطان، كل ما يُترك ولا يُنتفع به فمصيره إلى الشيطان، والشيطان كناية عن الضياع.

المسلم مطالب إذا سقطت لقمة ألا يتركها.

لقد أدركنا عهدًا كان فيه النَّاس إذا سقطت لقمة في الطريق أخذوها وقبَلوها، وقالوا: هذه نعمة لا ينبغي أن ترمى.

ولكن النَّاس حينما فتح الله عليهم، ووسع لهم في الأرزاق، وأفاء عليهم من فضله، لم يعرفوا قدر هذه النعمة فضيعوها.

(١) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٣٤)، وأحمد (١٢٨١٥)، عن أنس.



الإسراف في المسكن:

الإسراف في المطعم، والإسراف في المشرب، والإسراف في المساكن، الذي يبني قصرًا يكلفه الملايين، كم يحتاج إليه من هذا القصر؟ كم غرفة يحتاج إليها، لماذا هذا التوسع؟ ولماذا الأثاث المُتَرَف؟ ولماذا التحف الثمينة؟ ولماذا.. ولماذا؟

إنَّها أموال يحتاج المسلمون إليها، وبعض ما ينفق في هذه الأمور لو يُنفق في مساعدة المحتاجين، أو في إطعام الجائعين، أو في إيواء المُشَرِّدين، أو في علاج المرضى، أو في معاونة المجاهدين، لو أنفق بعض هذا لكان خيرًا.

كما قال عمر بن عبد العزيز لأحد أبنائه وأقربائه حينما بلغه أنَّه اشترى خاتمًا فسه بألف درهم، بعث إليه يقول: أمَّا بعد، فقد بلغني أنَّك اشتريت خاتمًا فضُّه بألف درهم، فإذا بلغك كتابي هذا، فبعه، وأطعم بثمانه ألف جاع، واشتر خاتمًا فسه من حديد، واكتب عليه: رحم الله امرأً عرف قدر نفسه^(١).

قال لي بعض الناس: إنَّ رجلاً بنى قصرًا، وكلف حجرة نومه كذا مليونًا من الليرات اللبنانية! وكانت الليرة اللبنانية أكثر من الريال في ذلك الوقت. قال: ولكنَّه انتهى إلى غرفة هي أقل من مترين في متر. أي: انتهى إلى القبر، وترك هذا وراءه.

أهل الشمال هم المترفون:

ماذا يغني عن النَّاس هذا التَّرَف؟ لماذا نصنع صنيع المترفين، ونسير

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (٨٩/١٠)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

سيرة المترفين، الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّهُ لَنَا أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّمَالِ، مِنْ أَهْلِ الْحَمِيمِ
وَالنَّارِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ: ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿ وَظِلٌّ
مِنْ يَحْمُومٍ ﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ [الواقعة: ٤١ - ٤٥]؟ هذا
شأن أهل النَّار.

الفرق بين الترف والسرف:

التَّرف: زيادةٌ عن السَّرَفِ، السَّرَف: تجاوز الحد.

أَمَّا التَّرف: فهو المبالغة في التَّعَمُّمِ والرِّفَاهِيَةِ، واستخدام الأدوات
الَّتِي تَفُوقُ الوصف، مع أَنَّ الأدوات الطبيعية من نعم الله علينا في
عصرنا، الإنسان العادي منا عنده من أدوات الراحة الَّتِي تُدْفِئُ له الجو
إذا برد، وتُبَرِّدُهُ إذا سخن، وتهيئُ له الأسباب، وتُقَرِّبُ له البعيد.

العلم العصري والتكنولوجيا العصرية أصبحت في متناول الجميع،
في متناول الشخص العادي، لماذا التَّرف البالغ؟
هذا - للأسف - ما أُصِيبَ به أُمَّتُنَا.

الإسراف في الرياضة:

نحن نُسْرِفُ في المَأْكَلِ والمشرب، ونُسْرِفُ في الملبس، ونُسْرِفُ في
المسكن، ونُسْرِفُ في أمورٍ أُخْرَى كثيرة: نُسْرِفُ في الرياضة مثلاً،
الإسلام يحثُّ على رياضة الأَجْسَادِ، و«المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله
من المؤمن الضعيف»^(١).

والإسلام يحبُّ من المسلم أن يكون جسمه مرناً وقادراً على الحركة،

(١) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، وأحمد (١٧٩١)، عن أبي هريرة.

ولكن يحبُّ - أيضًا - أن يكون جسمه خشنًا، كما جاء: «تمعددوا واخشوشنوا»^(١).

تمعددوا: كونوا كمعد بن عدنان، الذي كان رجلًا خشنًا قويًا. اخشوشنوا فإنَّ النعمة لا تدوم، ولذلك حرَّم على الرجال لبس الحرير والتحلي بالذهب^(٢)؛ لتبقى للرجل خشونته، ولا يكون الرجل شبيهًا بالمرأة.

جاء الإسلام فحرَّض المسلمين على أن يكونوا أقوياء في أجسامهم، ولكن ليس معنى هذا أن يُسرف النَّاس في الرياضة كما نرى في عصرنا. أصبحت الكرة كأنَّها وثنٌ يُعبَد، لعب الكرة كأنَّما أصبحت صنمًا يُعبَد من دون الله، نرى ألوانًا من السباق، لا بأس أن يتعلم النَّاس سباق الخيل على أن يركبوا خيلهم، كما جاء في الأثر عن عمر رضي الله عنه: علموا أولادكم السباحة والرمي والفروسية^(٣).

فروسية يمارسها النَّاس بأنفسهم، ويُدرِّبون عليها أبناءهم، لا أن تأتي بالخواجات يركبون لنا الخيل.

ممارسة الرياضة تكون لهدف وبقدر:

نتعلَّم أنواع الرياضة، وأنواع السباقات، ولكن على أن يكون لنا

- (١) رواه ابن أبي شيبة في الأدب من مصنفه (٢٦٨٥٤). من قول عمر.
- (٢) إشارة إلى الحديث: «حرَّم لباس الحرير والذهب على ذكور أمّتي، وأحلّ لإناثهم». رواه أحمد (١٩٥٠٢)، وقال مخرّجوه: صحيح بشواهده. والترمذي في اللباس (١٧٢٠)، وقال: حسن صحيح. والنسائي في الزينة (٥١٤٨)، عن أبي موسى الأشعري.
- (٣) رواه أبو يعقوب القراب في فضائل الرمي في سبيل الله (١٥)، تحقيق مشهور حسن، نشر مكتبة المنار، الأردن، ط ١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

هدف من وراء هذه الأشياء، وأن تكون هذه الأشياء بقدر، تأخذ من أوقاتنا بقدر، ومن أموالنا بقدر.

ميدانُ لسباق الكلاب:

آخر ما قرأته أنّ ميدانًا أُعدَّ لسباق الكلاب، تكلف أكثر من عشرة ملايين! لماذا؟

ليتسابق فيه الكلاب! يا للعجب! وإذا تسابقت الكلاب وسبق كلب كلبًا آخر، ما النتيجة من وراء هذا، وما الفائدة من هذا؟

قالوا: هذا لجذب السيّاح، من أجل السيّاح، وهل من أجل جذب السياح ينبغي أن يتنازل النَّاس عن قيمهم؟ وينبغي أن يخرج النَّاس عن أعرافهم، وينبغي... ما هذا؟

هذا هو الإسراف الذي ابتليت به هذه الأمة.

الإسلام لا يمنع اللهو والترويح:

الإسلام أجاز لنا اللهو، لا مانع أن نلهو، وأن نروح عن أنفسنا، وكما قال النبي ﷺ لحنظلة: «يا حنظلة، ساعةٌ وساعةٌ»^(١).

ساعة وساعة، لا يمكن أن تكون كل الساعات في العبادة والطاعة، لا بدّ أن يلهو الإنسان، وأن يُرَفِّه عن نفسه، هذه هي طبيعة الحياة، وهذه هي طبيعة الإنسان، ولكن أن يصبح اللهو مسيطرًا على الإنسان، أن تصبح الملاهي هي التي تتحكم في الإنسان، أن يصبح اللاهون والمطربون والمطربات هم الذين يملئون حياتنا، وهم نجوم المجتمع، وهم الذين يتحدّث النَّاس عنهم، وتقام لهم الحفلات والمهرجانات!

(١) جزء من حديث رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٠)، وأحمد (١٧٦٠٩)، عن حنظلة الأسيدي.

لقد خرجنا من الصيام، صمنا إيمانًا واحتسابًا، وقمنا إيمانًا واحتسابًا، ونقول: اللهم تقبل صيامنا وقيامنا، وإذا بهؤلاء يملؤون الليالي، ويملؤون الساحات، ما هذا؟
هذا كله من الإسراف.

اللهو مطلوبٌ ولكن في حدود، ليس إلى هذا الحد من التوسع والإسراف، فإن الله لا يحبُّ المسرفين.

الإسراف في الوقت:

نحن نسرف في الوقت، الوقت نعمةٌ عظيمةٌ كما قال القرآن: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِيفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢]، ولكننا نستخدم الوقت بحماقة، وبغير حكمة، ننفق هذا الوقت فيما ينفع، وفيما لا ينفع، فيما هو طاعة وفيما هو معصية، لا نبالي أن نستخدم أوقاتنا فيما لا يحبُّ الله ويرضاه.

الله تعالى سائلنا عن أوقاتنا، من الأسئلة الرئيسة التي توجه للإنسان يوم القيامة سؤالان، يسأل «عن عمره فيما أفناه، وعن جسمه فيما أبلاه»^(١).

سؤالان يختصان بالوقت، يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، فليحضر الإنسان للسؤال جوابًا، هناك أناسٌ سفهاء يبذرون الوقت، السفية الذي يبذد المال يحجر عليه في الفقه، ولكن ليس هناك - للأسف - أحكامٌ تتعلق بالحجر على من يبذد وقته، ووقته هو حياته وهو عمره.

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤١٧)، وقال: حسن صحيح. وأبو يعلى (٧٤٣٤)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٢٦)، عن أبي برزة الأسلمي.



قتلة الوقت:

هناك قتلة للوقت، يقتلون أوقاتهم، يقول أحدهم لصاحبه: تعال نقتل الوقت! نتسلى بلعب الورق، بالسهر في غير فائدة، بالكلام عن فلان وفلانة، وعن إعلان وعلانية.

كل هذا قتل للوقت، وهذا القتل لا عقاب عليه، ولا يدري هؤلاء المساكين أنهم حين يقتلون أوقاتهم، إنما يقتلون أنفسهم وهم لا يشعرون، ينتحرون انتحارًا بطيئًا غير مرئي حينما يقتلون أوقاتهم، التي وهبهم الله إيّاها.

نحن مسرفون في كل شيء، مسرفون في مآكلنا ومشاربنا، مسرفون في مساكننا ومراكبنا، مسرفون في ملابسنا وفي تجميلنا، مسرفون في شراء الأشياء، مسرفون في اللهو والترويح، مسرفون في استخدام الوقت، وهذا كله مرض من الأمراض، ينبغي للأمة أن تعالجه.

لا يمكن لهذه الأمة أن ترقى من هبوط، لا يمكن لهذه الأمة أن تقوى من ضعف، لا يمكن لهذه الأمة أن تسعد من شقاء، لا يمكن لهذه الأمة أن تتبوأ مقعدها تحت الشمس، إلا إذا تخلّت عن هذه الخصلة الذميمة، خصلة الإسراف والتبذير، وعرفت كيف تستخدم نعم الله تبارك وتعالى فيما يحبُّ الله.

الاعتدال واجب على الأمة:

هذا هو واجبنا، هذا هو ما علينا أن نعرفه، وهذا هو واجب الدعاة، وواجب المربيين، وواجب المفكرين، وواجبهم أن يُعلّموا الأمة خلق الاعتدال، وخلق التوسط، وبهذا تسعد الأمة، في الحديث:



«ما عال من اقتصد»^(١)، أي: ما افتقر من اقتصد، من توسط واعتدل لن يفتقر، من يدخر من يومه لغده لا يفتقر، وصف الله المتقين بقوله: ﴿وَمَا رَزَقْنَهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، أي: لا ينفقون كل ما رزقهم الله، ولكن ينفقون بعض ما رزقهم الله، وهذا هو الذي ينبغي لأمتنا ولمجتمعاتنا.

نسأل الله تعالى أن يفقهنا في ديننا، وأن يبصرنا بحقائقه، وأن يردنا إليه ردًا جميلاً.

اللهم آمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) رواه أحمد (٤٢٦٩)، وقال مخرجه: إسناده ضعيف. والطبراني في الكبير (١٠٨/١٠)، والأوسط (٥٠٩٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٨٤٨): رواه أحمد، والطبراني في الكبير والأوسط، وفي أسانيدهم إبراهيم بن مسلم الهجري، وهو ضعيف. عن ابن مسعود.

الخطبة الثانية

الحمد لله، ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [غافر: ٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يسبح له ما في السماوات
وما في الأرض، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن سيّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبينا محمداً عبد الله
ورسوله، البشير النذير والسراج المنير، صلوات الله وسلامه عليه،
وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده
إلى يوم الدين.

أمّا بعد:

ورد أنه في يوم الجمعة ساعة إجابة لا يدعو بها عبد مسلم بخير إلا
استجيب له^(١)، ولعلّها تكون هذه الساعة.

اللهمّ أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دُنيانا التي
فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا
في كل خير، واجعل الموت راحةً لنا من كل شر.

اللهمّ أكرمنا ولا تهنّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا
ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين،
ولا أقل من ذلك.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (١٥٢)، كلاهما في الجمعة.



اللهم اجمع كلمتنا على الهدى، وقلوبنا على التقى، ونفوسنا على المحبة، ونياتنا على الجهاد في سبيلك، وعزائمننا على فعل الخير وخير العمل.

اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم انصرنا على اليهود الماكرين، وانصرنا على الصليبيين الحاقدين، وانصرنا على الوثنيين المتعصبين، وانصرنا على جميع أعدائك أعداء الدين.

اللهم رد عنا كيدهم، وقل حدهم، وخذهم ومن ناصرهم أخذ عزيز مقتدر.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وباركْ على نبيِّك وعبدك ورسولك مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه وسلم، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.



من أمراض الأمة: ضعف العلاقات

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

فقدان المحبة بين أفراد الأسرة:

كنا قبل رمضان تحدّثنا عن بعض أمراض هذه الأمة التي تنخر في عظامها، وتجلب عليها الآفات والأكدار، وتُضعف مقاومتها أمام أعدائها، وتمكّنهم منها، ونتحدّث اليوم عن مرضٍ من هذه الأمراض التي أصابت أمّتنا في هذه الأزمنة الأخيرة، ولم تكن معروفةً فيها، جاءت مع الغزو الاستعماري، الغزو الاجتماعي، والغزو الثقافي لهذه الأمة، هذا الداء أو هذا المرض: هو اضطراب العلاقات الأسرية، فقدان المودة والمحبة بين أعضاء الأسرة الواحدة.

الإسلام يعمل على بناء الأسرة المترابطة:

لقد جاء الإسلام بأحكامٍ وتوجيهاتٍ من شأنها لو فقهها المسلمون حقّ الفقه، وآمنوا بها حقّ الإيمان، والتزموا بها حقّ الالتزام، أن تكون الأسر السعيدة، الأسر المترابطة، الأسر المتوادة، التي يكون كل فرد فيها كأنه خلية أو عضو في جسد واحد.

جاءت تعاليم الإسلام في كتاب الله، وفي سنة رسول الله ﷺ بتكوين الأسرة المتراسة.

الأسرة في الإسلام تختلف عنها في الغرب:

والأسرة في الإسلام ليست كالأسرة في الغرب، مكونة من زوج وزوجة، وربما من بعض الأولاد حتى يبلغوا، فإذا بلغ الأولاد بنين أو بنات، كان كلٌّ منهم على حال سبيله، أو حل شعره - كما يقولون، لا علاقة للأب والأم بأولادهما بعد البلوغ.

الإسلام يريد أسرةً من زوج وزوجة، ثم بعد ذلك من أبٍ وأم، وأبناء وبنات، وأحفاد وحفيدات، وإخوة وأخوات، وأعمام وعمات، وأخوال وخالات، الأسرة في الإسلام أسرة موسعة ممتدة، تشمل العصابات من أبناء الأعمام، وتشمل الأرحام من أبناء الأخوال والخالات.

الإسلام يقوي العلاقات الأسرية بمجموعةٍ من الأحكام:

الإسلام ربط هذا بشبكةٍ من الأحكام:

هناك أحكام النفقات: نفقة القريب العاجز المعسر على قريبه الموسر القادر.

هناك أحكام الديات: من قتل خطأ، فإنَّ دِيَّتَهُ في عصبته، أبناء عمومته وقبيلته.

هناك أحكام الميراث: جعل الله حقًا للأقارب في الميراث بدرجاتٍ ومستوياتٍ معينة.

كل هذا لترتبط الأسرة بهذه الشبكة، فلا تنفصم عراها أبدًا.

بر الوالدين:

جاء الإسلام وأمر بهذا، ووجه الأمة إلى هذا توجيهًا قويًا، القرآن جعل برَّ الوالدين من أصول الفضائل، جعله بعد حقِّ الله تعالى، بعد التوحيد: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾ [لقمان: ١٤]، بهذا العطف بالواو، وليس بـ(ثم)، وخصوصًا الأم، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤].

صلة الأرحام:

جاء الإسلام ببر الوالدين، وجاء الإسلام بصلة الأرحام، وجاء الإسلام بحق ذوي القربى: ﴿فَاتِّبِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ [الروم: ٣٨]، ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ٢١٥]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]، الوالدان والأقربون: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠]، ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦]، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].



من فضل صلة الرحم:

جاءت تعاليم القرآن، وجاءت تعاليم السُّنَّة، تُؤكِّد ما جاء في القرآن.

من وصلها وصله الله:

في الحديث، عن عبد الرحمن بن عوف، إنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله ﷻ: أنا الله، وأنا الرحمن، خلقت الرحم، وشققت لها من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بتته»^(١).

من وصلها وصلته، ومن قطعها بتُّه، أي: قطعته.

الصدقة على ذي الرحم مضاعفة:

«الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنان: صدقة وصلة»^(٢).

فيها أجران: أجر الصدقة، وأجر الصلة، صلة الرحم.

وجاء في الحديث: «أفضل الصدقة: الصدقة على ذي الرحم الكاشح»^(٣).

(١) رواه أحمد (١٦٨٦)، وقال مخرَّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الزكاة (١٦٩٤)، والترمذي في البرِّ والصلَّة (١٩٠٧)، وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٥٢٠). ومعنى الحديث متَّفِق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٨٩)، ومسلم في البرِّ والصلَّة (٢٥٥٥) بنحوه.

(٢) رواه أحمد (١٦٢٣٣)، وقال مخرَّجوه: صحيح لغيره. والترمذي (٦٥٨)، وحسَّنه، والنسائي (٢٥٨٢)، وابن ماجه (١٨٤٤)، ثلاثهم في الزكاة، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٥٨)، عن سلمان بن عامر الضُّبي.

(٣) رواه أحمد (٢٣٥٣٠)، وقال مخرَّجوه: صحيح. والطبراني في الكبير (١٣٨/٤)، والأوسط (٣٢٧٩)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١١١٠)، عن أبي أيوب الأنصاري.

أفضل الصدقات وأعظمها أجرًا عند الله: أن تتصدق على ذي رحم كاشح، أي: يُضمرك لك في كشحه الخصومة والعداوة، ليس بينك وبينه صفاء ولا مودة، فأنت تتغلب على نفسك وتتصدق عليه رغم ما بينكما، قهراً للنفس وللشيطان.

ترابط الأسرة المسلمة عبر القرون:

هذا ما جاء به الإسلام، وهذا ما سار عليه المسلمون قرونًا طويلة، كان الناس يعيشون في أسرة واحدة، أسرة كبيرة يعيش بعضهم مع بعض، الأبناء مع آبائهم، والأحفاد مع أجدادهم.

رأينا هذا ونحن صغار، بيت العائلة الكبيرة، دار العائلة الكبيرة، فيها الجدُّ والجدة، والآباء والأبناء والأحفاد، يتزوج الرجل في دار الأسرة، فكل ما يحتاج إليه حجرة، يعيش فيها هو وامرأته، وما على امرأته إلا أن تُنجب الأطفال، وحماتها عليها أن تربي، (هات لنا عيال)، ويعيشون يأكلون من مائدة واحدة، والبركة موجودة، والمحبة موجودة.

الحضارة الماديّة أوهنت الرباط الأسري:

ثم جاءت هذه المدنيّة، الحضارة الماديّة المعاصرة بفلسفتها بتعاليمها بأخلاقها وسلوكياتها؛ فأصبح كلُّ امرئ يريد أن يستقلّ بنفسه، أن يستقلّ بداره، أن يستقلّ بزوجه وأولاده.

لا بأس، ولكن مع هذا ما انتهت المشاكل، المشاكل مستمرة، والمواد مقطوعة، والفساد مستمرٌّ في هذه الأسرة، بين الابن وأبيه، بين الأولاد وأهلهم، الحماية تحاول أن تعكر العلاقة مع زوج ابنها، تحاول أن تحرّضه على أهله، كما جاء في الحديث من أسباب البلاء

الَّذِي يَحُلُّ بِهِذِهِ الْأُمَّةَ: «... وَأَطَاعَ الرَّجُلَ امْرَأَتَهُ، وَعَقَّ أُمَّهُ، وَبَرَّ صَدِيقَهُ، وَجَفَا أَبَاهُ»^(١).

وهذا ما حدث، العقوق قد انتشر، عقوق الأولاد لأبائهم وأمهاتهم، هذا ما نراه في عصرنا، كُنَّا نعيب على المجتمعات الغربية هذه الفردية والأنانية بحيث لا يسأل الولد عن أبيه، ولا البنت عن أمها.

جعلوا للأمَّ يوماً سمَّوه: عيد الأم، وللأب يوماً، يحاول الابن أو البنت أن تهدي لأبيها أو لأمها شيئاً، زجاجة عطر، أو نحو ذلك، وربما ترسلها بالبريد. الذين نعيب عليهم أصبحنا نقرب منهم شيئاً فشيئاً.

حاجة الإنسان للمشاعر والعواطف:

أصبح هناك من يلقي بأبيه أو بأمه في المصححة، أو في دار العجزة، ولا يكاد يمرُّ بخاطره هذا الإنسان وهذه الإنسانية!

الإنسان ليست حاجته فقط إلى الطعام والشراب، حتَّى نقول: إنَّ دار المسنين أو دار العجزة تكفيه طعامه وشرابه وكسوته، الإنسان مشاعر وعواطف وعلاقات، الإنسان إذا انقطع عن أولاده وأحفاده وأبنائه وبناته، ماذا يبقى له في الحياة؟

أصبحنا قريبين من هؤلاء الذين كُنَّا نعيب عليهم هذا.

حقُّ الأبناء في الاهتمام والرعاية:

العلاقات ساءت، وكثيرٌ من الآباء والأمهات يظنون أنَّ لهم حقُّ البر،

(١) رواه الترمذي في الفتن (٢٢١١)، وقال: حديث غريب. وضعفه الألباني في الضعيفة (١٧٢٧)، عن أبي هريرة.

وحقُّ الإحسان، دون أن يكون عليهم واجب الرعاية، وواجب الاهتمام.
كثيرٌ من الآباء يظنُّ كأنَّما عليه أن ينجب أولادًا ثمَّ لا يبالي بهم بعد ذلك، نسي أن الله تعالى سائله، «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَائِلُ كُلِّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرَعَاهُ، حِفْظُ أُمَّ ضَيْعٍ»^(١).

كل راعٍ يسأل عن رعيته كما جاء في الحديث: «كلكم راعٍ فمسؤول عن رعيته؛ فالأمير الذي على الناس راعٍ وهو مسؤول عنهم، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راعٍ على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته»^(٢).

مسؤولية الآباء ليست مادية فقط:

الله سيسأل كل إنسان، يسأل الأب: هل وقيت أبناءك النار؟
الله تعالى يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْمًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، هل حميتهم من النار؟

تقول: إنك وفرت لهم المال يصرفون منه كيف يشاؤون، ليس الأموال كل شيء؛ الإنسان ليس في حاجة للناحية المادية فقط، في حاجة إلى العطف، إلى الحنان، إلى الرعاية، إلى البسمة من هذا الأب، إلى السؤال: ماذا صنعت وماذا ستصنع؟

(١) رواه النسائي في الكبرى في عشرة النساء (٩١٢٩)، وأبو عوانة في الحدود (٧٠٣٦)، وابن حبان في السير (٤٤٩٢)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرطهما. وصحَّح إسناده الحافظ في الفتح (١١٣/١٣)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٢٧١)، عن أنس.
(٢) متفق عليه: رواه البخاري في العتق (٢٥٥٤)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

أمّا أن يخرج الإنسان من بيته وأولاده في المدارس ولا يعود إلّا بعد أن يناموا، ولا يعرف ماذا صنع أولاده، أين المسؤولية إذن؟ هناك مسؤولية على الآباء.

من الآباء من يضطر في المسؤولية الماديّة:

حتى الناحية الماديّة لا يقومون بها، هناك من يتزوج امرأة ثانية، فينسى امرأته القديمة التي عايشته سنين الشباب وسنين الفقر والعسر، ينساها ويهملها، ويتركها معلّقة لا هي مزوّجة ولا مطلّقة، ويهمل أولادها بنين وبنات، لا ينفق عليهم، وإذا أنفق عليهم أنفق الفتات، وامرأته الأخرى وأولادها يحظون منه بكلّ العناية والرعاية.

هناك من يعيش في البرّ أو في الصحراء مع إبله وغنماته، وكأنّ إبله وغنماته أهم من أبنائه وبناته، لا يفكر في هؤلاء، لا يرسل إليهم أي شيء، وعنده من المال الحلال ما يستطيع أن يرعى به أسرته وأولاده، أين الأبوة الراعية؟

المربية تقوم بدور الأم:

وهناك من الأمهات من تظن أنّ الجنّة تحت أقدامها، بمجرد أنّها حملت وولدت، ومع هذا لا تبذل جهداً، ولا تنفق شيئاً في سبيل تربية أولادها ورعايتهم، بحسبها أن تسلمهم إلى الخادمة، أو (الداذة) أو المربية، ولا تعرف عنهم شيئاً.

هذا - للأسف - ما يحدث في مجتمعنا اليوم، الأمّ مشغولة بنفسها، مهملة لأولادها.

قال لي بعض الأبناء والبنات: إننا لا نتذكر أن أمنا احتضنتنا يوماً ما ونحن صغار، لا نذكر أنها قبّلتنا يوماً من الأيام، لا نذكر إلا الخادمة والمربية، التي عشنا في ظلّها، أمّا الأم فلم نر منها وجهًا حنونًا، ولا كلمة طيبة، ولا ابتسامة في وجوهنا، ولا رعاية لشؤوننا، أين الأمومة إذن؟

الأمومة ليست كلامًا يقال، ليست عاطفةً جوفاء، إذا كانت عاطفة فالعاطفة لها آثارها، ولها مظاهرها، ولها نتائجها، ما الذي حدث في مجتمعنا حتى نرى هذه الآثار في بيوتنا، يعيش أبناء وآباء في بيت واحد، ولكن قد لا يلقي الأب ابنه ولا الابن أباه بالأيام، لا يجتمعون على مائدة، ولا مسامرة، كما كان الناس في السابق. هذا ليس من الإسلام في شيء، لا العقوق من الإسلام بالنسبة للأبناء، ولا الإهمال من الإسلام بالنسبة للآباء والأمهات.

حقوق الآباء والأبناء متبادلة:

هناك حقوقٌ وواجباتٌ متبادلةٌ، وكل حق يقابله واجبٌ، فلا بدّ للآباء والأمهات أن يقوموا بحقوق الأبناء والبنات إذا كانوا مسلمين حقًا.

العداوة بين الإخوة:

ما الذي حدث في مجتمعاتنا؟!

لقد أصبح الأخ يكن الحقد لأخيه، أصبحت الدنيا تفرق بين الإخوة بعضهم وبعض، خصوصًا إذا كان بينهم تركة يراد أن توزع، فكل واحد يريد أن يأخذ ولا يريد أن يعطي.

أين التسامح؟ أين الإيثار؟ أين المودة؟

وقد تجد هؤلاء الإخوة مع الغرباء أكثر تسامحًا، وأعظم مودةً، وأكثر ألفةً، ويتعاملون بمنتهى الأخلاق والظرف والإنسانية مع الغرباء، ولكن الإخوة بعضهم مع بعض أعداء، يريد أن يفترس بعضهم بعضًا، يريد كل منهم أن يهدم أخاه ويبيني نفسه على أنقاضه، ما هذا؟

ابن آدم يحسد أخاه:

صحيح أن هذا حدث من قديم في تاريخ البشرية، منذ أن كانت البشرية أسرةً واحدةً، رجل وامرأة وأبناؤهما، قتل الإنسان أخاه الإنسان! حسد أخاه حينما تقبل من أخيه القربان ولم يتقبل منه، ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ قال إنما يتقبل الله من المتقين ﴿[المائدة: ٢٧]، ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ، فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠].

المسلم ينبغي أن يكون خير ابني آدم:

صحيح حدث هذا، ولكن لماذا تريد - أيها الإنسان - أن تكون ابن آدم الشرير الخبيث، ولا تكون ابن آدم الطيب الخير، الذي قال لأخيه: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨]؟

لماذا تريد أن تكون قابيل كما يُسمّى، ولا تكون هابيل؟

لماذا تريد أن تكون الإنسان الذي لا تقتل نفس في الدنيا إلا كتب عليه كفل من الإثم؛ لأنه أول من سنّ القتل في هذه الحياة^(١)؟

(١) في الحديث: «ليس من نفس تُقتل ظلمًا، إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها؛ لأنه أول من سنّ القتل». رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٣٢١)، عن ابن مسعود.

إخوة يوسف يحسدونه وهو يسعهم بعضوه:

صحيح أنه وجد من أبناء الأنبياء من كادوا لإخوانهم، كما فعل أبناء يعقوب! إخوة يوسف حسدوا أخاهم يوسف وشقيقه، وقالوا: ﴿لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا﴾ [يوسف: ٨]، ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ [يوسف: ٩].

صحيح حدث هذا، وكان ما كان، ولكن لماذا تريد - أيها المسلم - أن تكون مثل هؤلاء الإخوة في حال شقتهم؟ ولا تكون مثل يوسف، الذي كانت النتيجة له، وربح الدنيا والآخرة، واحتاج إليه إخوته فوسعهم بكرمه، ورحابة صدره، وعرف أنهم كانوا جاهلين في حالة الطيش، ولذلك حينما تعرّفوا عليه قالوا: ﴿أَيْنَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ * قالوا تالله لقد ءاثرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ * قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٠ - ٩٢].

وطوى هذه الصفحة، وفتح لهم صفحة من جديد، وآواهم إليه، ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

لماذا لم تقف موقف يوسف وتعفو وتصفح؛ لتربح الدنيا والآخرة؟
لماذا تقف موقف الحسد والضغن على إخوانك؟



الدنيا أهون من أن يتقاتل الناس عليها:

والله إنَّ الدُّنيا لأهون من أن يتقاتل النَّاس عليها، من أن يخاصم الأخ أخاه، ويعادي القريب قربه من أجل هذه الدنيا، الدُّنيا أهون من هذا كله، «ولو كانت الدُّنيا تزن عند الله جناح بعوضة، ما سقى الكافر منها شربة ماء»^(١).

علام يتعادي النَّاس في هذه الحياة؟ ما الذي حدث للأسرة المسلمة فأصابها هذا التفكُّك؟

التسامح مع الأقارب:

لقد كان الرجل قديمًا في الجاهليَّة يسامح أقاربه، قتل رجل ابن أخيه، فجيء به وقُدِّم إليه ليقتصَّ منه، والسيِّف في يده، وهم أن يقتله قصاصًا؛ لأنَّه قتل ولده وفلذة كبده، ثمَّ ألقى السيِّف من يده، وأنشد قائلاً:

أقول للنفس تأساءً وتعزيةً إحدى يدي أصابتني ولم ترد
كلاهما خلف عن فقد صاحبه هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي^(٢)

ستخسر الأسرة رجلاً آخر إذا قتل أخاه، فعفا عن أخيه.

وآخرُ قال نفس الشيء:

قومي هم قتلوا أميم أخي فإذا رميت يصيبني سهمي
فلئن عفوت لأعفون جلاً ولئن سطوت لأوهنن عظمي^(٣)

(١) سبق تخريجه ص ١٠٩.

(٢) نسبهما صدر الدين البصري إلى العريان بن سهلة النبهاني. انظر: الحماسة البصرية (٤٠/١).

(٣) من شعر حارث بن وعله، انظر: أمالي القالي (٢٦٢/١)، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي،

نشر دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م.

سأصيب عظمي.

وقال العرب: أنفك منك وإن كان أجدع^(١).

إن كان أنفك مقطوع الطرف فهو جزء منك، لا تستطيع أن تتبرأ منه، وهكذا ينبغي أن تكون الأسرة بعضها من بعض، يقول الشاعر:

أخاك أخاك؛ إن من لا أخ له كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح
وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازي بغير جناح^(٢)؟

هل ينهض البازي بغير جناح؟ هل يستطيع أن يطير الصقر أو النسر بغير جناح؟ فكيف تستطيع أن تصير بغير جناح، أو تحارب بغير سلاح؟

لا، الله تعالى يقول: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦].

وقد قال عليٌّ لأحد أبنائه: أكرم عشيرتك؛ فإنهم جناحك الذي به تطير، وأصلك الذي إليه تصير، وبهم تصول، وبهم تجول^(٣).

الأسرة المتماسكة أساس المجتمع المتماسك:

لا بد من رعاية حقوق الأخوة، ولا بد من رعاية الأمومة والأبوة، ولا بد من رعاية حقوق البنوة، هذا هو الذي يجب.

جاء الإسلام بهذه المكارم وأكدها كلَّ التأكيد، وشدَّد فيها أبلغ التشديد؛ لأنها أساس المجتمع، لا يمكن أن يقوم مجتمع متماسك

(١) انظر: نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب صـ ٢٢٩، تحقيق نصرت عبد الرحمن، نشر مكتبة الأقصى، عمان.

(٢) من شعر مسكين الدارمي، انظر: تاريخ دمشق (٥٣/١٨).

(٣) المستطرف في كل فن مستطرف للأبشيهي صـ ٢٦٢، نشر عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ.

متربطٌ إلا إذا قام على أساس أُسسٍ متماسكةٍ مترابطةٍ، أمّا إذا انهارت علاقات الأسر، فهيهات أن يقوم مجتمعٌ صالحٌ.
الإسلام شدّد في هذا، لا بدّ من رعاية الحقوق، ولا بدّ أن يتنازل الناس، وأن تقوم الأسرة على المحبة والإيثار.

قديمًا شكّا أحد الآباء من ابنه الذي جفاه ولم يؤدّ إليه حقّه، ونسي إحسانه إليه في الأزمان الخوالي، فكتب الأب الشاعر يقول:

غذوتك مولودًا وعلثك يافعًا	تعلُّ بما أدني إليك وتنهل
إذا ليلة نابتك بالشكولم أبت	لشكواك إلا ساهرًا أتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذي	طرقت به دوني وعيني تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وإنّها	لتعلم أنّ الموت حتمٌ مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التي	إليها مدى ما كنتُ فيك أوّمل
جعلت جزائي غلظة وفضاظة	كأنك أنت المنعم المتفضّل
وسمّيتني باسم المُفند رأيه	وفي رأيك التنفيذ لو كنت تعقل
تراه معدًا للخلاف كأنّه	برد على أهل الصواب مُوكل
فليتك إذ لم ترع حق أبوتي	فعلت كما الجار المجاور يفعل ^(١)

ليتك أعطيتني حقّ الجوار، وأن تحسن إليّ كما يحسن الجار إلى جاره.
هذا ما شكّا منه الناس في الجاهليّة.

أمّا في الإسلام، فقد أكّد الإسلام حقوق الأبوة، وحقوق الأمومة، وأكّد الإسلام حقوق البنوّة، كما أكّد الإسلام حقوق الأبوة والأمومة - أيضًا.

(١) من شعر أمية بن أبي الصلت، انظر: الدر الفريد (١٤٩/٣).

ضيق بعض الآباء بالبنات:

بعض النَّاسِ يضيق بأولاده؛ لأنهن بنات، فيعامل البنات غير ما يعامل البنين، يعامل الإناث غير ما يعامل الذكور، إنه يعيدها جاهليَّة، الجاهليون كانوا إذا ولدت البنت اعتبروها مصيبة: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩].

ولكن الإسلام جاء يقول في كتابه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾﴾ [الشورى: ٤٩]، فجعل الأنثى هبةً من الله ونعمةً، وبدأ بالإناث قبل الذكور، ولذلك المسلمون الحقيقيون يفرحون بالأنثى كما يفرحون بالذكر، يفرحون بالبنت كما يفرحون بالابن، والشاعر يقول:

لولا بنات كزغب القطا رددن من بعض إلى بعض
 لكان لي مضطرب واسع في الأرض ذات الطول والعرض
 وإنَّما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض
 لو هبت الريح على بعضهم لامتنعت عيني من الغمض^(١)

أولادنا أكبادنا تمشي على الأرض، هذا ما جاء به الإسلام، لم يعد ينظر إلى البنت كما كان ينظر إليها في الجاهليَّة، ولكن بعض النَّاسِ يعامل البنات إلى اليوم هذه المعاملة.

الإسلام يُؤكِّد حقَّ الأحفاد:

جاء الإسلام ليؤكِّد هذه الحقوق، حقوق البنوة، وليست البنوة من الصلب فقط.

(١) من شعر حطان بن المعلى، انظر: ديوان الحماسة (١٠٢/١)، نشر جامعة الإمام محمد بن

لا، بنو أبناءك، وبنو بناتك، أو لاد أبناءك وبناتك، أحفادك هم
أبنائك - أيضاً، عليك حقّ لهم، قالت لي بعض الفتيات: لم نر جدنا في
حياتنا إلا منذ أشهر! رأيناه في أحد المحلّات مصادفة.

يا عجباً! أين أنتم - أيها النَّاس - من رسول الله ﷺ؟

فقد كان ﷺ يداعب أحفاده، وينزل من على المنبر ويحملهم وهو يخطب^(١).

ويركب أحد أحفاده الحسن أو الحسين على ظهره وهو يصلي فيطيل
الصلاة، حتّى ظنَّ الصحابة الظنون وقالوا له: خشينا كذا أو كذا
يا رسول الله، فقال ﷺ: «إن ابني ارتحلني فكرهتُ أن أُعَجِّلَهُ»^(٢)، أي:
أَتخذ ظهري راحلة، ركوبة، فلم أشفأ أن أقطع عليه لذّة الركوب؛ حتّى
ينتهي وينزل هو.

ودخل عليه بعض النَّاس وهو يحمل الحسن أو الحسين فقال: نعم
المركب يا غلام.

فقال ﷺ: «ونعم الراكب هو»^(٣).

(١) إشارة إلى الحديث: كان رسول الله ﷺ يخطبنا، فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان
أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر، فحملهما فوضعهما بين يديه. رواه
أحمد (٢٢٩٩٥)، وقال مخرّجوه: إسناده قوي. وأبو داود في الصّلاة (١١٠٩)، والترمذي في
المناقب (٣٧٧٤)، وقال: حسن غريب. والنسائي في الجمعة (١٤١٣)، وابن ماجه في اللباس
(٣٦٠٠)، عن بريدة بن الحصيب.

(٢) رواه أحمد (١٦٠٣٣)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. والنسائي في التطبيق (١١٤١)، والحاكم
في معرفة الصحابة (١٦٥/٣)، وصحّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه الترمذي في المناقب (٣٧٨٤)، وقال: هذا حديث غريب. والحاكم في معرفة الصّحابة
(١٧٠/٣)، وصحّحه، وقال الذهبي: ليس بصحيح. وضعّفه الألباني في ضعيف الترمذي
(٧٩٠)، عن ابن عباس.

أين هذا من جدِّ لا يعرف أحفاده ولا حفيداته، لم يرهم في حياته؟!
 ما هذا الخلق؟
 هذا خُلِقَ غريب على الأمة!
 أين الرحمة؟

النبي ﷺ أرسلت له إحدى بناته تقول له: إِنَّ ابْنَ لِي قُبِضَ، فَأَتْنَا،
 فَأَرْسَلَ يَقْرَأُ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: «إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أُعْطِيَ، وَكُلُّ عِنْدَهُ
 بِأَجَلٍ مَسْمُومٍ، فَلْتَصْبِرْ، وَلْتَحْتَسِبْ».

فأرسلت إليه تقسم عليه لياتينها، فقام ومعه سعد بن عباد، ومعاذ بن
 جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت ورجال، فرفع إلى رسول الله ﷺ
 الصبي ونفسه تتقعقع - قال: حسبته أنه قال: كأنها في شن - ففاضت
 عيناه، فقال سعد: يا رسول الله، ما هذا؟

فقال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من
 عباده الرحماء»^(١).

ودخل الأقرع بن حابس التميمي على رسول الله ﷺ، فرآه يقبل
 بعض الأطفال، فقال: أَوْثُقِبُّونَ أَطْفَالَكُمْ؟ إن لي عشرة من الولد ما قبَّلتُ
 واحدًا منهم!

أهل البادية فيهم جفاء، قال: عندي عشرة أطفال ما قبَّلت واحدًا منهم
 في حياتي.

فقال النبي ﷺ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»^(٢).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٢٨٤)، ومسلم (٩٢٣)، كلاهما في الجنائز، عن أسامة بن زيد.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٩٧)، ومسلم في الفضائل (٢٣١٨)، عن أبي هريرة.

وفي بعض الروايات: «وما أملك لك، وقد نزع الله الرحمة من قلبك»^(١).
الرحمة: المحبّة، ينبغي أن تسود بين الأسرة الواحدة، الأب والأم والأولاد، والجد والجدة والأحفاد، والإخوة والأخوات، والأعمام والعمات، والأخوال والخالات، هذا هو الذي ينبغي.

ليس الواصل بالمكافئ:

وليس الواصل بالمكافئ، كما جاء في الحديث الصحيح: «ليس الواصل بالمكافئ؛ ولكن الواصل الذي إذا قُطعت رَحْمُهُ وصلها»^(٢).
الواصل الحقيقي ليس هو المكافئ، الذي يكافئ مودةً بمودة، وإحساناً بإحسان، وزيارةً بزيارة، وهديةً بهدية، ليس هذا هو الواصل الحقيقي؛ لأن كلمة «وصل» تعني: أن هناك شيءً انقطع وأنت تصله. ولذلك قال: «ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها»؛ فصلة الرحم الحقيقية أن «تصل من قطعك، وتعطي من منعك»^(٣)، وتعفو عمن ظلمك، وتحسن إلى من أساء إليك.

هذا هو الذي ينبغي أن يكون بين أبناء الأسرة الواحدة، وهذا الذي عبّر عنه أحد الشعراء في الإسلام، المقنّع الكندي في أبياته الشهيرة:

يعاتبني في الدين قومي وإنما	ديوني في أشياء تكسبهم حمدا
أسدُّ به ما قد أخلُّوا وضيعوا	ثغور حقوق ما أطاقوا لها سداً
وإنَّ الذي بيني وبين بني أبي	وبين بني عمي لمختلف جدًّا

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٩٨)، ومسلم في الفضائل (٢٣١٧)، عن عائشة.

(٢) رواه البخاري في الأدب (٥٥٩١)، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) رواه أحمد (١٥٦١٨)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. والطبراني (١٨٨/٢٠)، وضعفه الألباني

في الضعيفة (٢٦٠٤)، عن معاذ بن أنس.

فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم
 وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم
 وإن زجروا طيرًا بنحس تمر بي
 ولا أحمل الحقد القديم عليهم
 لهم جُلُّ مالي إن تتابع لي غنى
 وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
 وإن هم هووا غيبي هويتُ لهم رشدا
 زجرت لهم طيرًا تمر بهم سعدا
 وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
 وإن قلَّ مالي لم أكلفهم رفا^(١)
 لا أحمل لهم حقدًا، كبير القوم لا يحمل حقدًا، وإنما يتسامح ويؤثر،
 هكذا ينبغي أن يكون بين الأقارب بعضهم وبعض.

أمثالُ خاطئةٌ في حياة الناس:

أمّا الآن فماذا يقول الناس؟

إنهم يقولون: الأمُّ همُّ، والأبُّ تعبٌ، والولد نكدٌ، والعُمُّ غمٌّ، والخال
 وبالُّ، والأخ فحٌّ، والأقارب عقارب!

هذه هي الصورة التي يعيش فيها النَّاسُ بعضهم مع بعض، الأقارب
 عقارب، والعُمُّ غمٌّ، والأخ فحٌّ، كيف تسير الحياة على هذا المنوال؟
 ما هذا من الإسلام في شيء.

ينبغي أن تعود الأسرة إلى ما كانت عليه قبل هذا الغزو الذي غزانا،
 قبل النزعة المادّية التي سيطرت على الناس.

أهل اليسار والغنى أكثر الناس خصومة:

وللأسف إنَّ أكثر الذين يتعادون ويتخاصمون هم أهل اليسار والغنى!

الفقراء قلما يتخاصمون؛ لأنَّهم ليس عندهم شيء يتخاصمون عليه.

(١) انظر: أمالي القالي (٢٨١/١).

أمّا الذين يتخاصمون فهم الذين يقولون: كيف أحصل على عشرة مليون ولا أحصل على عشرين؟

يكفيك عشرة مليون يا أخي، ما الذي يجعلك تطمع في أخيك وتغتاله، وتحاول أن تأكله؟

أخوك أبقى لك من الملايين، وماذا ستأخذ من هذه الملايين حينما تغادر هذه الدُّنيا راحلاً إلى مثواك الأخير؟ ماذا ستأخذ معك؟

والله لن تأخذ شيئاً، اجعل النَّاس يترحمون عليك ويدعون لك، هذا ما ينبغي أن يكون في الصلة بين الأسرة بعضهم وبعض.

علام يتقاتل النَّاس ويتعادون، يتعادون على مال، والله للمال أهون من أن يقطع أواصر الأسرة، وأواصر الأخوة، على دنيا؛ الدُّنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، يتبعون الشياطين شياطين الإنس والجن الذين يغوونهم ويوسوسون لهم، ويكيدون لهم، حتّى تتقطع الروابط، وهم يتفرجون.

النميمة من أكبر الكبائر:

الإسلام حرم النميمة، وجعل النَّمَام لا يدخل الجنّة^(١)، مع أنّ النميمة نقل الكلام، وهو كلام حق وصدق، أخوك يقول فيك كذا، وابن عمك يقول فيك كذا، وهذا من أكبر الكبائر؛ لأنّها تقطع الأواصر بين النَّاس بعضهم وبعض.

أباح الإسلام الكذب لإصلاح ذات البين^(٢)؛ حتّى تظل المودة قائمة بين الناس.

هذا ما جاء به هذا الدين.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٥٦)، ومسلم في الإيمان (١٠٥)، عن حذيفة.

(٢) إشارة إلى الحديث المتفق عليه: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فينمي خيراً، أو يقول خيراً». رواه البخاري في الصلح (٢٦٩٢)، ومسلم في البرّ والصلّة (٢٦٠٥)، عن أم كلثوم بنت عقبة.

مهمة الدين في حياة الناس:

جاء هذا الدين بأمرين أساسيين:

الأول: توثيق العلاقة بين الله تعالى وعباده، أن تتوثق صلتك بربك، الذي خلقك فسواك.

هذا هو الأمر الأول.

والأمر الثاني: توثيق العلاقة بين الناس بعضهم وبعض، أن تسود الأخوة والمحبة بين الناس، وخصوصًا بين أهل الإيمان، ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٠].

وخصوصًا بين الأقارب بعضهم وبعض، فلهم حقوق أكثر من غيرهم، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠].

يا أيُّها الإخوة المسلمون، ويا أيُّها الأخوات المسلمات:

اتقوا الله في الأسرة المسلمة، اتقوا الله في الروابط والأواصر بينكم، عودوا إلى رشدكم، وتوبوا إلى ربكم، وراجعوا قرآنكم، وراجعوا سنة نبيكم، وعودوا إلى ما كانت عليه هذه المجتمعات، في فطريتها، وبساطتها، ويسرها، ومحبتها، يوم لم يكن مع الناس ملايين، وإنما كان معهم الكفاف، وكان معهم الستر، وكان عندهم ما يغني ويروونه كافيًا، «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس»^(١).

يعز غني النفس إن قل ماله * ويغني غني المال وهو ذليل^(٢)

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٤٦)، ومسلم في الزكاة (١٠٥١)، عن أبي هريرة.

(٢) من شعر علي بن أبي طالب. انظر: نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار ص ٩٩، نشر دار



ويقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

والفقر خير من غنى يطغيها
والنفس تأبى أن تكون فقيرة
وغنى النفوس هو الكفاف فإن
أبت فجميع ما في الأرض لا يكفيها

قلة المال أفضل من غنى مطغي:

إنَّ أَيَّامَ العسر أفضل من هذه الأيَّام، إذا كانت هذه الأيَّام تقطع
صلات النَّاس بعضهم ببعض، إذا كانت تثير العداوة فيما بينهم، العسر
أولى، وقلة المال أولى من مال وغنى يقطع هذه الروابط، ويجعل النَّاس
يعيشون أعداء يتربص بعضهم ببعض، يريد أحدهم الشر بأخيه، بدل أن
يتمنى له الخير، بدل أن يقول: يا رب أصلح أخي، يا رب أغن أخي،
يا رب استر أخي، يا رب أكرم أولاد أخي.

أصبح الإخوة بعضهم مع بعض أعداء.

يا أيُّها الإخوة، عودوا إلى دينكم، إلى كتاب ربِّكم، وإلى سنَّة نبيِّكم؛
ففي هذا الخير كلُّ الخير، والفلاح كلُّ الفلاح، والسعادة كلُّ السعادة في
الدُّنيا والآخرة.

﴿رَبَّنَا ءَانِكَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ
النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

أقول قَوْلِي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنَّه هو
الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله، ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَوِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ ﴾ [غافر: ٣].

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، يُسَبِّحُ له ما في السماوات وما في الأرض، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا مُحَمَّدًا عبد الله ورسوله، البشير النذير، والسراج المنير، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

ورد أنه في يوم الجمعة ساعة إجابة لا يدعو بها عبد مسلم بخير إلا استجيب له^(١)، ولعلها تكون هذه الساعة.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دُنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير، واجعل الموت راحةً لنا من كل شر.

اللهم طهِّرْ أعمالنا من الرياء، وطهِّرْ قلوبنا من النفاق، وطهِّرْ حياتنا من العبث، وطهِّرْ ألسنتنا من الكذب، وطهِّرْ أنفسنا من الضعف، وطهِّرْ أعيننا من الخيانة، إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

اللهم هيِّئْ لنا من أمرنا رشداً، واجعلْ يومنا خيراً من أمسنا، واجعلْ غدنا خيراً من يومنا، وأحسنْ عاقبتنا في الأمور كُلِّها، وأجرنا من خزي الدُّنيا وعذاب الآخرة.

(١) سبق تخريجه ص ١٩٤.

اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين، وانصر المجاهدين في سبيلك
حيثما كانوا، وعليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهم ردّ عنا كيدهم، وفلّ
حدّهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تجعل لهم سبيلاً على أحدٍ من
عبادك المؤمنين.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاءً رخاءً، وسائر بلاد
المسلمين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وباركْ على نبيِّك وعبدك ورسولك مُحَمَّد، وعلى
آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *



أمراض الأمة: حبُّ الهدم

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

أعداء لكل نجاح:

لا زلنا نتحدَّثُ في أمراض الأمة، أمراض المجتمع المسلم، ومن هذه الأمراض التي يشكو منها مجتمعنا ومجتمعاتنا الإسلاميَّة، وتنخر في عظامها كما ينخر السوس: حبُّ الهدم، هناك الهدَّامون الذين يسوِّؤهم كلُّ نجاح، هم أعداءُ لكل نجاح، وخصوصاً لكل ناجح وموفِّق في عمله، هؤلاء إذا رأوا إنساناً وفقه الله في جمعية يرأسها، أو في مؤسسة يُديرها، أو في عمل أُسند إليه، غاظهم ذلك كلَّ الغيظ، ساءهم وما سرَّهم.

إعلان الحرب على كلِّ ناجح:

ولذلك سرعان ما يعلنون الحرب عليه بغياً بغير الحقِّ، وحسداً من عند أنفسهم، يحسدون النَّاس على ما آتاهم الله من فضله، وحربهم حربٌ خسيَّة، ليست حرباً شريفة، سلاحهم فيها الكلمة الكاذبة، الإشاعة المفترية التي لا أساس لها من الحقِّ ولا من الصدق، فسرعان ما يوسوسون في صدور الناس، وييثون إلى آذانهم وأسماعهم بالكلمة

من الكلمات، وبالإشاعة من الإشاعات، تناول كرامة الإنسان وعرضه وسمعته، فتلوّثه بغير الحقّ، وتسوؤه بالباطل.

الإشاعات الكاذبة تُؤخّر الشرفاء وتُقدّم اللصوص:

ولا يترتب على ذلك إلا أن الشرفاء يتأخرون، واللصوص يتقدمون، وأن الجادّين يتركون مواقعهم، والهازلين هم الذين يتبوءون المناصب، وفي هذا خسارة على المجتمع كلّ.

حرب الشائعات، الكلمة التي تُشاع بغير حقّ، هذا أسلوب خسيس اتّخذته بعض النَّاس للهدم، هؤلاء هم الهدّامون الذين لا يبالون بحرّمات النَّاس ولا بأعراضهم.

تعاليم الإسلام تحمي الحرمات:

والإسلام قد جاء يحمي الحرمات، «كلُّ المسلم على المسلم حرام: دمّه وماله وعرضه»^(١).

والنبي ﷺ في حجة الوداع وعشرات الآلاف أمامه من الصحابة من كلِّ حذبٍ وصبٍ، أعلن عليهم هذه المبادئ الأساسية: «أيُّها النَّاس، إنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرامٌ عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا»^(٢).

معنى العرض:

والعرض: هو ما يتعلّق بسمعة الإنسان وشرفه وكرامته، سواءً كان

(١) سبق تخريجه ص ١٤٢.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٧)، ومسلم في القسامة (١٦٧٩)، عن أبي بكر.

ذلك في نفسه، أو في أهله، أو في كل من يعزُّ عليه، حرَّم الإسلام العرض كما حرَّم الدم والمال، ومن أجل هذا حرَّم الإسلام الغيبة.

تحريم الغيبة:

والغيبة: أن تذكر أخاك بما يكره. قالوا: يا رسول الله، أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟

قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتَه، وإن لم يكن فيه ما تقول، فقد بهتَه»^(١)، أي: ارتكبت في حقِّه بهتانًا وكذبًا، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

حرَّم الإسلام الغيبة، أن تذكر الإنسان في غيبته بما يكره؛ حفاظًا على حرمة الناس وسمعتهم وكراماتهم، وقال القرآن الكريم: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

هكذا صور القرآن الكريم اغتياب الناس بمن يأكل لحم أخيه ميتًا، من يستطيع أن يأكل لحم الميتة ولو كان من حيوان؟ فكيف إذا كان من إنسان؟! وكيف إذا كان هذا الإنسان أخاه؟!!

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾.

فينبغي أن تتورَّعوا وتحفظوا من أكل لحوم إخوانكم بالغيبة، بتناول أعراضهم وكراماتهم، حتَّى ولو كان بالحقِّ، فما بالكم إذا كان بالباطل؟

(١) رواه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨٩)، وأحمد (٨٩٨٥)، عن أبي هريرة.

قالت عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم: حسبك من صفة كذا وكذا. قال بعض الرواة: تعني قصيرة. فقال: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته»^(١).
وقالت: وحكيت له إنساناً، فقال: «ما أحبُّ أني حكيتُ إنساناً وأن لي كذا وكذا»^(٢).

وعن جابر رضي الله عنه قال: كُنَّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فارتفعت ريحٌ جيفةٌ منتنة. فقال صلى الله عليه وسلم: «أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريحُ الذين يغتابون الناس»^(٣).

لا يجوز تناول الأعراض بالحق فضلاً عن الباطل:

حمى الإسلام أعراض الناس، فلا يجوز أن تُتناول بالسوء، لا يجوز أن يتناول الإنسان عرض أخيه بما يسوؤه، حتى ولو بالحق، فكيف إذا كان بالباطل؟ كيف بإشاعة السوء؟

إشاعة ما لا أصل له، ولا حقيقة له إلا التشفي، تشفي الصدور، والحسد الذي يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

الحسد خلقٌ من أخلاق اليهود:

والحسد خلقٌ من أخلاق اليهود، وصفهم الله تعالى به حينما قال: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤].

(١) رواه أحمد (٢٥٥٦٠)، وقال مخرجه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥٠٢)، وصححه الألباني في غاية المرام (٤٢٧)، عن عائشة.

(٢) رواه أبو داود في الأدب (٤٨٧٥).

(٣) رواه أحمد (١٤٧٨٤)، وقال مخرجه: إسناده حسن. والبخاري في الأدب المفرد (٧٣٢)، وقال المنذري في الترغيب (٤٢٩٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٣١٢١): رواية أحمد ثقات. وحسنه الألباني في غاية المرام (٤٢٩).

وهو شر أمرنا الله أن نستعيد منه ومن أصحابه: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥].

الهدّامون شرُّ الناس يوم القيامة:

هؤلاء الهدّامون الذين يُشيعون على البراء السوء هم شرُّ الناس، وأبعدهم من رسول الله ﷺ يوم القيامة، يقول النبي ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَحْبَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفِيهِقُونَ».

قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمُتَشَدِّقُونَ فما المُتَفِيهِقُونَ؟ قال: «المُتَكَبِّرُونَ»^(١).

المُتَشَدِّقُونَ: هم الذين يملؤون أفواههم وأشداقهم بالكلام باجترأ ودون احتياط، لا يبالون أتكلّموا بالحقّ أم بالباطل، بالصدق أم بالكذب، بالصواب أم بالخطأ.

وفي حديث آخر، يقول ﷺ: «أَلَا أُنبئكم بشراركم؟» قالوا: بلى.

قال: «المشائون بالنميمة، المُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ لِلْبِرَاءِ الْعَنْتُ»^(٢). الَّذِينَ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ بِالنَّمِيمَةِ يَنْقُلُونَهَا، يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ فِي الْمَجْلِسِ فَيَسَارِعُونَ بِنَقْلِهَا، يَبْغُونَ لِلْبِرَاءِ الْعَيْبَ، يَبْغُونَ لَهُمُ الْعَثَرَاتِ.

(١) رواه الترمذي في البرِّ والصَّلة (٢٠١٨)، وقال: حسن غريب. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٧٩١)، عن جابر.

(٢) رواه أحمد (٢٧٥٩٩)، وقال مخرَّجوه: حسن بشواهده. والبخاري في الأدب المفرد (٣٢٣)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٢٥): حسن لغيره. عن أسماء بنت يزيد.

الهدّامون يدفنون الحسنة ويذيعون السيئة:

كلّما عثروا على عيب أخذوه وضخموه وأذاعوه في الناس، كما قال الشاعر في مثل هؤلاء:

إِنْ يَسْمَعُوا رِيْبَةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا مَنِّي وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا

الشَّرُّ وَالرِّيْبَةُ يُذَيِّعُونَهَا، وَكَأَنَّهُمْ (ميكرفون في الناس)، أَمَّا مَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ، وَمَا عَلِمُوا مِنْ خَيْرٍ، يَدْفِنُونَهُ وَيَرْدَمُونَ عَلَيْهِ وَيَكْتُمُونَهُ!

صَمَّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذَكَرْتُ بِهِ وَإِنْ ذَكَرْتُ بِسَوْءٍ عِنْدَهُمْ أَذْنُوا

هم صم إذا سمعوا الخير، بأذانهم صمم، وفيها وقر لا تسمع، أمّا إذا سمعوا الشر أذّنوا وأنصتوا؛ لأن هذا يصادف هوى في أنفسهم، ويشفي غليل صدورهم.

جَهْلًا عَلَيْنَا وَجُبْنَا عَنْ عَدُوِّهِمْ لَبِئْسَتِ الْخَلَّتَانِ الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ

هكذا يقول هذا الشاعر:

إِنْ يَسْمَعُوا رِيْبَةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا مَنِّي وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا

صَمُّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذَكَرْتُ بِهِ وَإِنْ ذُكِرْتُ بِسَوْءٍ عِنْدَهُمْ أَذْنُوا

جَهْلًا عَلَيْنَا وَجُبْنَا عَنْ عَدُوِّهِمْ لَبِئْسَتِ الْخَلَّتَانِ الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ^(١)

ويقول آخر:

إِنْ يَسْمَعُوا الْخَيْرَ يُخْفُوهُ وَإِنْ عَلِمُوا شَرًّا أَذَاعُوا وَإِنْ لَمْ يَسْمَعُوا كَذَبُوا^(٢)

اختلفوا أمورًا ليس لها أيُّ أساس، وليس لها أيُّ أصل، وهذا هو الشيء المُحَيَّر.

(١) من شعر قعنب ابن أم صاحب، انظر: شرح ديوان الحماسة (١٨٧/٢)، نشر دار القلم، بيروت.

(٢) من شعر طريح الثقفي، عيون الأخبار (٣٥/٢)، نشر دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.

الكذب لا يمكن الاحتراز منه:

ماذا تعمل فيمن يكذب عليك ويخترع الأكاذيب من أصلها؟

الشاعر يقول:

لي حيلةٌ فيمن يُنمُّ وليس في الكذاب حيلةٌ
من كان يخلق ما يقوُّ لُ فحيلتي فيه قليلةٌ^(١)

إنَّ النَّمَّامَ تستطيع أن تحترس منه بالألا تتكلم أمامه، حتَّى لا ينقل عنك شيئاً، ولكن الكذاب كيف تحترس منه، وهو يخترع الأكاذيب اختراعاً، وهذا يدلُّ على أنه ليس بمؤمن، فقد سئل النبي ﷺ: أيكون المؤمن جباناً؟

فقال: «نعم».

فقيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟

فقال: «نعم».

فقيل له: أيكون المؤمن كذاباً؟

فقال: «لا»^(٢).

الكذب ينافي الإيمان:

المؤمن يمكن أن يكون جباناً لضعفٍ في نفسه، ويمكن أن يكون بخيلاً، ولكن لا يمكن أن يكون كذاباً؛ لأنَّ الكذب منافٍ للإيمان، والله

(١) من شعر أبي بكر القاضي، المعروف بابن قريعة، انظر: البداية والنهاية (٣٨٨/١٥).

(٢) رواه مالك في الكلام (٣٦٣٠)، تحقيق الأعظمي، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٤٧٢)، عن صفوان بن سليم، مرسلًا.

تعالى يقول: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَذِبُونَ ﴾ [النحل: ١٠٥].

عقاب من يشين البراء باختلاق الأكاذيب:

هؤلاء الذين يُشيعون الباطل عن عباد الله البراء، يبغون لهم العثرات، ويضخمون ما وقع منهم إن وقع منهم، ويختلقون الأكاذيب والأباطيل إن لم يقع منهم شيء.

من أشاع على مسلم كلمة باطل، هؤلاء الناس لا يبالون ما يصيبهم، من أطلق لسانه ليتحدث عن الناس فإنه لا يبالي ما وقع عليه لسانه، والله تعالى يقول في هؤلاء الهدامين: ﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٥].

عرض النبي لم يسلم من الهدامين:

تصوّروا أنّ هؤلاء المفترين لم يسلم منهم عرض رسول الله ﷺ!

أشاعوا الإفك على أهله، على الصديقة بنت الصديق عائشة أم المؤمنين، المبرأة الطهور البتول، أشاعوا عنها السوء؛ حينما تخلّفت عن الجيش في غزوة بني المصطلق لسبب ذكرته، ذهب تقضي حاجتها ففقدت عقدها، فالتمسته، وكان الجيش على وشك الرحيل، فرحل الجيش وحملوا هودجها، وكانت خفيفة، فلم يشعروا بأنّ الهودج ليس فيه أحد، ومشّوا، فلما جاءت لم تجد أحداً، فجلست مكانها، فأخذتها سنة من النوم، حتّى جاء رجل من المسلمين فاستيقظت على استرجاعه، يقول: «إنا لله وإنا إليه راجعون»؛ عرف أنّها عائشة فقد كان يراها قبل

الحجاب، تقول: فتخمرت بجلبابي، والله ما كَلَّمَنِي الرجل كلمة غير الاسترجاع، غير «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»، وَأَنَاخ راحلته وأركبني، ومشى بها حتّى لحق بالجيش.

هنالك كانت فرصة لأهل النفاق، وكبير أهل النفاق عبدُ الله بن أبي ابن سَلُولٍ انتهزوها فرصة، وأشاعوا الشائعة عن عائشة رضي الله عنها، وعن هذا الرجل صَفْوَانَ بن المَعْطَلِ، الَّذِي لم يعرف عنه سوء قط، وقال النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر: «أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي»^(١).

ولكنَّه النفاق أشاع الباطل عن أم المؤمنين، وما كانت تدري شيئاً عن ذلك كلّه، حتّى إنّها عرفت مصادفة حديث النَّاسِ عنها، فدخلت بيتها تبكي لا يرقاً لها دمع، ولا تكتحل بنوم، الإنسان الشريف حينما يوصم بالباطل، وحينما يتكلم عنه بالسوء، ماذا يكون موقفه؟

موقفه مثل موقف عائشة رضي الله عنها، ظلّت هكذا شهراً على هذه الحالة، حتّى نزل الوحي من السماء يبرّئ ساحتها، ويظهر عذرها، من فوق سبع سماوات، عشر آيات نزلت ببراءة عائشة، كانت عائشة تقول: كنت أعلم أنّ الله مبرّئي، ولكن - والله ما كنت أظن أنّ الله منزل في شأنِي وحيّاً يُتلى، لشأنِي في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمري، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرّئني الله بها.

هي كانت ترى نفسها أقلّ من أن يُنزل فيها قرآناً، ولكن الله تعالى أنزل

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٦١)، ومسلم في التوبة (٢٧٧٠)، عن عائشة.

فيها قرآنًا يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النور: ١١، ١٢] (١).

المؤمن يظنُّ الخير بالمؤمنين ويردُّ الإشاعة عنه:

كان على من استمع هذا الإفك أن يظنُّوا الخير بالمؤمنين والمؤمنات، وأن يردُّوه ولا يقبلوه، هذا هو الواجب.

الواجب على من يسمع الإشاعة الباطلة أن يردّها، ولا يفسح لها صدره، ولا يفتح لها سمعه وقلبه، فإنَّ هذا هو الذي يُشجّع المُبطلين، ويُشجّع الهدّامين.

جاء رجل إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يسعى في شأن رجل، يقول: فلان فعل كذا، وفلان فعل كذا، أو قال كذا. فقال: يا هذا، إن كنت كاذبًا عاقبناك، وإن كنت صادقًا مقتناك؛ لأنك نمام، وإن شئتَ أقلناك.

قال: أقلني، يا أمير المؤمنين (٢).

يعني: اتركني.

وذهب رجل إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد رضي الله عنه، بمثل هذه السعاية والشاية، فقال: انظر، فإن شئتَ عاملناك بهذه الآية إن كنت كاذبًا: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقُ بِنِيٍّ فَتَبَيَّنُوهُ﴾ [الحجرات: ٦]، وإن كنت صادقًا عاملناك بهذه الآية: ﴿هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١]، وإن شئتَ تبتَ إلى الله تعالى وعفونا عنك.

(١) حادثة الإفك متفق عليها: رواها البخاري في الشهادات (٢٦٦١)، ومسلم في التوبة (٢٧٧٠)، عن عائشة.

(٢) إحياء علوم الدين (١٥٧/٣).

فقال: يا أمير المؤمنين، اعف عني، وأتوب إلى الله، ولا أعود لمثلها أبداً^(١).

هذا ما ينبغي لمن يسمع الكلمة الباطلة، ويسمع إشاعة السوء عن المسلمين الذين لا يُعلم عنهم إلا خيراً؛ ولذلك يقول القرآن: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ * لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النور: ١٢، ١٣].

عقوبات ثلاث لمن يقع في الأعراس:

احتاط الإسلام للأعراس، فلا يقبل أن يأتي أحدٌ ويقول: إن فلاناً قد زنى بفلانة، إلا أن يأتي بأربعة شهداء، وإلا حقت عليه العقوبة، بل حقت عقوبات ثلاث، ذكرها القرآن الكريم في هذه السورة نفسها: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا نَقْبُلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٤، ٥].

العقوبة الأولى: الجلد، ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾.

العقوبة الثانية: إسقاط اعتبارهم الأدبي والاجتماعي، فلا تُقبل لهم شهادة، شهادتهم مرفوضة، معزولون عن الشهادة، ﴿وَلَا نَقْبُلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾.

العقوبة الثالثة: إسقاط اعتبارهم الديني، حين حُكم عليهم بالفسق، فالله تعالى يقول: ﴿يَسَّ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١].

(١) إحياء علوم الدين (١٥٦/٣).

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿[النور: ٤، ٥].

علام يرجع الاستثناء:

هل هذا الاستثناء: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ راجع إلى ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾؟ أم راجع إليها وإلى ما قبلها من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾؟

اختلف السلف في ذلك، بعضهم يقول: يرجع إلى الأمرين، وبعضهم يقول: لا، المجلود في القذف لا يعود إليه اعتبار الشهادة؛ لقوله: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾^(١).

وما ذلك إلا للحفاظ على أعراض الناس أن تُنتهك، وعلى حرمتهم أن تُهتك، وعلى سمعتهم أن تلوّث.

ولذلك يقول القرآن: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النور: ١٣]، حتى لو جاء بشاهدين أو ثلاثة لا قيمة لذلك، لا بد أن يأتي بأربعة شهداء عدول.

المؤمن يردُّ الشائعة ولا ينقلها:

تقول الآيات: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦].

(١) ذهب المالكية والشافعية والحنابلة إلى أنه تقبل شهادة القاذف إن تاب؛ سواء أكانت توبته قبل الحد أم بعده. وذهب الشعبي والحسن ومجاهد وعكرمة ومسروق وشريح والحنفية إلى أنه لا تقبل شهادة القاذف وإن تاب، إذا كانت توبته بعد الحد. انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (١٦٠/٣٤، ١٦١)، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط ٢، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٤، ١٥]، ينتقل هذا من واحد إلى آخر، ومن فلان إلى فلان، ومن فلانة إلى فلانة، وينتشر الحديث في المجتمع انتشار النار في الهشيم بغير علم، ﴿ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٤، ١٥]، ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانه هذا بهتن عظيم ﴿ يَعُظُّكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ١٥، ١٦]، وبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ﴿ إِنْ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور: ١٥ - ١٩].

الفاحشة في المجتمع المسلم تُستَرُّ وتُكْتَم:

لا ينبغي أن تُشاع الفاحشة في المجتمع المؤمن، إذا وقعت فاحشة ينبغي أن تُستَر وتُكْتَم ولا يُذاع أمرها؛ حتى لا تجرئ الناس على الحرام، وحتى لا يفسدوا الحرام، والكلام عن الحرام في المجتمع، فيسمع به من لا يسمع، ويخطر على بال من لا يخطر باله.

ينبغي ألا تقع الفاحشة، فإذا وقعت حصرت في أضيق نطاق، ولا يتحدث الناس بها.

أمَّا الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، ويتحدثون بها، ويملؤون بها الآفاق، فهؤلاء لهم عذاب عظيم عند الله، هذا فيما إذا وقعت الفاحشة بالفعل.

جزاء من يفتری الفاحشة على الناس:

أمَّا الذين يكذبون دون أن تقع فاحشة، ودون أن تحدث حادثة،



فهؤلاء هم الذين جاء فيهم الحديث الصحيح الذي رواه البخاري، عن سمرة بن جندب، كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: «من رأى منكم الليلة رؤيا؟»

قال: فإن رأى أحد قصها، فيقول ما شاء الله.

فسألنا يوماً فقال: «هل رأى أحد منكم رؤيا؟»

قلنا: لا.

قال: «لكنني رأيت الليلة رجلين أتياي فأخذا بيدي، فأخرجاني إلى الأرض المقدسة، فإذا رجل جالس، ورجل قائم، بيده كلوب من حديد».

قال بعض أصحابنا عن موسى: «إنه يدخل ذلك الكلوب في شذقه حتى يبلغ قفاه، ثم يفعل بشذقه الآخر مثل ذلك، ويلتئم شذقه هذا، فيعود فيصنع مثله، قلت: ما هذا؟... قال: فكذاب يحدث بالكذبة، فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به إلى يوم القيامة»^(١).

فتحمل عنه في الآفاق، تبلغ الآفاق تُشَرِّق وتُغَرِّب، لا يقولها في مجلس واحد، ولا بين أناسٍ محدودين يشيعها، أشبه ما يكون بالمخبرين الصحفيين، أو بوكالات الأنباء، الكذَّاب «يكذب الكذبة فتحمل عنه في الآفاق»، فهو «يُصنع به» ما رأيت «إلى يوم القيامة»، ثم يصنع الله به ما شاء.

الكلمة الطيبة تبني:

لقد جاء الإسلام يحمي الأعراض، ويحمي الحرمات، ويُعلِّم المسلم الصدق لا الكذب، والحق لا الباطل، والبناء لا الهدم، لماذا نحرص على أن نهدم ولا نبني؟

(١) رواه البخاري في الجنائز (١٣٨٦).

بدل أن تهدم ابن، بدل أن تقول كلمة سوء قل كلمة طيبة، «الكلمة الطيبة صدقة»^(١).

والكلمة الطيبة إنما تصدر من الإنسان الطيب، فالكلمة أشبه بصاحبها، كما أن الكلمة الخبيثة لا تصدر إلا من خبيث، وفي هذا يقول القرآن الكريم: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾، أي: الكلمات الخبيثات للخبيثين من الناس، ﴿وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾، والخبيثون من الناس للخبيثات من الكلمات، ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور: ٢٦].

الكلمة أشبه بصاحبها، وكل إناء بالذي فيه ينضح، وصدق الله العظيم حين يقول: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ، وَإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨].

المسلم يصون لسانه عن أعراض الناس:

لقد علمنا الإسلام أن نبي ولا نهدم، علمنا أن نصون ألسنتنا، أن نحفظ هذا اللسان، فقد قال الشاعر:

جَرَاحَاتُ السِّنَانِ لَهَا التَّمَامُ وَلَا يَلْتَامُ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ^(٢)

ما يجرح السنان، وما يجرح السلاح يمكن أن يلتئم، ويمكن أن يداوى، ولكن ما يجرح باللسان يصعب أن يداوى، إن جراحات السنان تجرح الجسد، جراحات السنان والسلاح تجرح الجسد، أمّا جراحات اللسان فهي تجرح القلب، وهو أشد إيلامًا، وأعظم إيجاعًا، وأبقى أثرًا.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد (٢٩٨٩)، ومسلم في الزكاة (١٠٠٩)، عن أبي هريرة.

(٢) ذكره الجاحظ في المحاسن والأضداد ص٤١، ولم ينسبه. نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

يمكن أن تمرَّ السنون والسنون، ولكن الكلمة التي قيلت لا ينساها الناس، تظلُّ تعمل عملها، تظلُّ تؤثر أثرها في حياة الناس، وهي كلمة قالها صاحبها لم يلق لها بالاً، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالاً، يرفعه الله بها درجات، وإنَّ العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنم»^(١).

وفي رواية: «إنَّ الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً، يهوي بها سبعين خريفاً في النار»^(٢) سبعين عاماً.

حفظ اللسان ملاك أمر الدين:

حينما أوصى النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل بعدة وصايا ختمها في النهاية بقوله: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟»

فقلت له: بلى، يا نبي الله.

فأخذ بلسانه فقال: «كف عليك هذا».

فقلت: يا رسول الله، وإنَّا لمؤاخذون بما نتكلم به؟

فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو قال: على مناخرهم - إلاَّ حصائد ألسنتهم؟»^(٣)

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٧٨).

(٢) رواه أحمد (٧٢١٥)، وقال مخرَّجوه: حديث صحيح. والترمذي في الزهد (٢٣١٤)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٠)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٧٧/٤): في إسناده محمد بن إسحاق، وهو مدلس.

(٣) رواه أحمد (٢٢٠١٦)، وقال مخرَّجوه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي في الإيمان (٢٦١٦)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٣)، والحاكم في التفسير (٤١٣، ٤١٢/٢)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، عن معاذ بن جبل.



هل يكبُّ النَّاسُ في النَّارِ على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم؟
إلا هذا اللسان الذي يعمل كما يعمل المِنْجَل، يحصد الأعراس، ويحصد
الحرمات، ولا يبالي بشيء، هل يكبُّ النَّاسُ في النَّارِ على مناخرهم إلا هذا؟

آفات اللسان كثيرة:

جاء الإسلام يأمرنا أن نحفظ ألسنتنا من الكذب، من إشاعات السوء،
من الخوض في الباطل، من الغيبة، من النميمة، من كل آفات اللسان
وهي كثيرة؛ حتّى لا يردينا لساننا في النار، فما أكثر آفات اللسان التي
تجعل الإنسان دائماً يهدم ولا يبني، وما أجدر بالمسلم أن يبني
ولا يهدم، لهذا جاء في الحديث: «لا تلعن الرياح؛ فإنّها مأمورة»^(١).

«لا تَسْبِي الحُمَى؛ فإنّها تُذْهِبُ خطايا بني آدم»^(٢).

«لا تَسْبُوا الأموات؛ فإنّهم قد أفضوا إلى ما قدّموا»^(٣).

«لا تَسْبُوا الأموات؛ فتؤذوا الأحياء»^(٤).

«لا تَسْبُوا الديك؛ فإنّه يوقظ للصلاة»^(٥).

لا تسبّوا... لا تسبّوا.

(١) رواه أبو داود في الأدب (٤٩٠٨)، والترمذي في البر والصلة (١٩٧٨)، وقال: حديث غريب.
وفي بعض النسخ: حسن غريب. وابن حبان في الحظر والإباحة (٥٧٤٥)، وصحّحه الألباني
في الصحيحة (٥٢٨)، عن ابن عباس.

(٢) رواه مسلم في البرّ والصلّة (٢٥٧٥)، عن جابر بن عبد الله.

(٣) رواه البخاري في الجنائز (١٣٩٣)، عن عائشة.

(٤) رواه أحمد (١٨٢٠٩)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والترمذي في البر
والصلة (١٩٨٢)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٢٣٩٧)، عن المغيرة بن شعبة.

(٥) رواه أحمد (٢١٦٧٩)، وقال مخرّجوه: رجاله ثقات رجال الشيخين. وأبو داود في الأدب
(٥١٠١)، وابن حبان في الحظر والإباحة (٥٧٣١)، عن زيد بن خالد الجهني.

حتى إنَّ رجلاً سبَّ الشيطان، وهو أبو تَمِيمَةَ الهُجَيْمِي، عمَّن كان رديف النبي ﷺ، قال: كنت رديفه على حمار، فعثر الحمار، فقلت: تعس الشيطان، فقال لي النبي ﷺ: «لا تقل: تعس الشيطان؛ فإنَّك إذا قلت: تعس الشيطان، تعاضم الشيطان في نفسه، وقال: صرعته بقوتي. فإذا قلت: باسم الله، تصاغرت إليه نفسه حتى يكون أصغر من ذباب»^(١).

المسلم إيجابي بناء:

إذا قلت: «تعس الشيطان» انتفخ حتى يصير مثل الجبل، وإذا قلت: «باسم الله» تصاغر حتى يكون مثل الذبابة.

«تعس الشيطان» عمل سلبي ليس فيه بناء ولا إيجابية، ولكن «باسم الله» عمل إيجابي.

وهكذا ينبغي أن يكون الإنسان المؤمن إيجابياً بناءً في حياته، بدل أن يكون همُّه الهدم والتقويض، دون أن يبني لبنة واحدة، دون أن يساهم بجهد، ولو متواضعاً في بناء ينفعه وينفع المجتمع.

يا أيُّها الإخوة المؤمنون، هذا ما يربِّينا عليه الإسلام، فينبغي أن نلتزم به، وأن نراعيه، وأن نفقهه، وأن نلزم أنفسنا حدود الله تعالى ورعاية حرماته، يضمن لنا الفلاح في الدُّنيا والآخرة.

اللهمَّ إنَّا نسألك العفو والعافية في الدُّنيا والآخرة.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) رواه أحمد (٢٠٥٩١)، وقال مخرَّجوه: حديث صحيح. وأبو داود في الأدب (٤٩٨٢)، والحاكم في الأدب (٢٩٢/٤)، وصحَّحه ووافقه الذهبي. عن رديف النبي ﷺ.



من أمراض الأمة: إهمال العمل للدنيا

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

ما زلنا نتحدث عن أمراض الأمة، عن أمراض مجتمعاتنا التي جلبت علينا ما جلبت، من الضياع والفقر، والذلة والهوان وسوء الحال، حتّى غلبنا من لا يدفع عن نفسه، اجترأ علينا الجبان، وتعزّز علينا الذليل، وأصبحنا في مؤخرة الأمم بعد أن كنّا في الطليعة منها.

الإسلام والنزعة الزهدية:

من أمراض أمتنا: إهمال العمل للحياة، إهمال العمل الدنيوي.
إنّ الأمة لم تعمل لدنياها كما ينبغي لها، كما قال الصحابة رضوان الله عليهم: اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً^(١).
لم يجرى الإسلام بتلك النزعة الزهدية التُسكّية، التي عُرفت في أديان وفلسفات ومذاهب شرقية وغربيّة، تقسو على الإنسان، وعلى الحياة، وتحرم على الإنسان أن يعمل لدنياه، أو أن يستمتع بطيباتها.

(١) رواه الحارث في مسنده (١٠٩٣) كما في البغية. والقائل عبد الله بن عمرو بن العاص، وقد شاع بين جمهور المسلمين حتى حسبوه حديثاً، وذلك لموافقته ضمناً للأصول الإسلامية.

عُرِفَ ذلك في البوذية، وعُرِفَ ذلك في البرهمية، وعُرِفَ ذلك في المانوية الفارسية، وعُرِفَ ذلك في الرواقية اليونانية، وعُرِفَ ذلك في الرهبانية النصرانية.

ولكن الإسلام جاء ليقول للناس: اعملوا لدياكم ولاخرتكم معاً، وإنَّ الدُّنيا مزرعة الآخرة، وإنَّ عملك لدياك لا يضر بأخرتك، ما دمت ترعى حقَّ الله وحقَّ النَّاسِ فيه.

وقد وصف الله تعالى رواد بيوته التي: ﴿أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ [النور: ٣٦]، فقال: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧].

هؤلاء هم عمار بيوت الله، ليسوا دراويش متبطلين، ولا رهباناً متعطلين، إنَّهم رجال أعمال، لهم تجارة، ولهم بيع، لهم أعمال في الحياة الدنيا، ولكن: ﴿لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾.

الصحابة يعملون للدنيا مع الآخرة:

وهكذا كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، كان المهاجرون تجاراً، وكان الأنصار زراعاً، وكل منهم يعمل ويكتسب ويأكل من عمل يده، حتَّى إنَّ عمر بن الخطَّاب حينما سمع حديثاً من أبي موسى الأشعري ولم يكن قد سمع به من قبل قال: ألْهَانِي عَنْهُ الصَّفْقُ فِي الْأَسْوَاقِ^(١). التجارة والبيع والشراء، هكذا كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم.

حينما هاجر المسلمون من مكَّة إلى المدينة كان فيهم عبد الرحمن بن عوف، ترك وراءه عقاراته وأملاكه في مكَّة، وذهب لبدأ

(١) متَّفَقٌ عَلَيْهِ: رواه البخاري في البيوع (٢٠٦٢)، ومسلم في الآداب (٢١٥٣).

من جديد، وأخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، وكان سعد من أكثر الأنصار مالاً، فقال لأخيه عبد الرحمن بن عوف: تعال أشاطرك مالي شطرين، نصف لك ونصف لي، وعندني داران اختر إحداهما أتركها لك، وعندني زوجتان انظر إلي أوقعهما في قلبك، أطلقها لك لتزوجها.

فقال له عبد الرحمن: يا أخي سعد، بارك الله لك في أهلك، وبارك لك في دارك، وبارك لك في مالك، إنّما أنا امرؤ تاجر، فدلوني على السوق^(١). هذا الإيثار الكريم من سعد، قابله تعفُّف نبيل من عبد الرحمن، ودعا له بالبركة في كل ما أراد أن يشاطره فيه، وقال له: أنا رجل تاجر، دلوني على السوق.

ودلّوه على السوق، وكانت السوق لبني قينقاع، قبيلة من قبائل اليهود الثلاثة المقيمة في ضواحي يثرب، كانوا يسيطرون عليها على طريقتهم، وذهب عبد الرحمن ليتاجر في سوق بني قينقاع، ويبدأ من الصفر.

وسرعان ما اكتسب، وجاء إلى النبي ﷺ وعليه رائحة عطرية، فقال له النبي ﷺ: «مهيم؟».

قال: تزوجت، يا رسول الله.

قال: «على كم تزوجت؟»

قال: على وزن نواة من ذهب.

قال: «هل أولمت؟»

قال: لا.

(١) رواه البخاري في البيوع (٢٠٤٨)، عن عبد الرحمن بن عوف.

قال: «أولم ولو بشاة»^(١).

وعندما مات عبد الرحمن بن عوف ترك ذهباً قُطِعَ بالفؤوس - كما يقول ابن سعد - وترك عقارات وأموالاً سائلة، حتى إن إحدى زوجاته الأربع صولحت على ربع الثمن الذي لها، فصالحوها على ثمانين ألف دينار^(٢).

فكم تكون التركة كلها؟

ترك العمل للدنيا بدعوى التوكل:

كان الصحابة يعملون لدنياهم ويعملون لآخرتهم، رأى عمر بن الخطاب جماعة في المسجد يجلسون بعد الصلاة، فقال: من أنتم؟

فقالوا: نحن مُتَوَكِّلُونَ على الله.

قال: بل أنتم مُتَأَكِّلُونَ لا مُتَوَكِّلُونَ، لا يَقْعُدَنَّ أَحَدُكُمْ عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة؛ إنما يرزق الله الناس بعضهم من بعض، أمّا سمعتم قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْنِعُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]، وعلاهم بدرته، وأخرجهم من المسجد^(٣).

فلا يجوز لمسلم أن يدع السعي على الرزق، والمشي في منابك الأرض، بدعوى أنه متوكل على الله، فالتوكل لا ينافي السعي، ولا ينافي اتخاذ الأسباب، ولكن كما جاء في الحديث: «اعقلها وتوكل»^(٤).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٧٨١)، ومسلم في النكاح (١٤٢٧)، عن أنس.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (١٣٦/٣).

(٣) انظر: الإحياء (٦٢/٢).

(٤) سبق تخريجه ص ١٠٨.

اسع في الأرض، وتوكل على الله في النتائج، ابذر الحبّ وارج الثمار
من الربّ.

هذا هو شأن التوكل.

لا يجوز للقادر على العمل تكفّف الناس:

ولا ينبغي للمسلم أن يدع العمل ثمّ يتكفّف الناس، يمدُّ يده إلى هذا
وذاك، وهكذا كان يفعل النَّاس في الجاهلية، يستنكفون من بعض
الأعمال، لا يحبُّ أحدهم أن يعمل في حرفة، العرب من قديم يحتقرون
الحرف، فكان الذين يعملون بالحدادة والحياسة والنجارة وغيرها من
الصناعات من غيرهم، من الروم، من الأحباش، من الأمم الأخرى،
وأسهل شيء على أحدهم أن يذهب إلى شيخ القبيلة أو زعيم القوم
ويسأله المعونة، ولا يكلف نفسه بكدّ اليمين وعرق الجبين، فجاء
النبي ﷺ ومنعهم من هذا، وبَيَّن لهم أنَّ السَّؤال لا يجوز، لا يجوز
لإنسان عنده قدرة على العمل أن يذلَّ نفسه، أن يريق ماء وجهه، قال:
«لا تزال المسألة بأحدكم حتّى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة
لحم»^(١)، يتساقط لحم وجهه.

هو الذي فعل هذا بنفسه.

وقال: «لا تحل الصدقة لغني، ولا لذي مرّة سوي»^(٢).

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري (١٤٧٤)، ومسلم (١٠٤٠)، كلاهما في الزكاة، عن ابن عمر.
(٢) رواه أحمد (٦٥٣٠)، وقال مخرَّجوه: إسناده قويٌّ. وأبو داود (١٦٣٤)، والترمذي (٦٥٢)،
وقال: حسن. كلاهما في الزكاة، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (١٤٤٤)، عن
عبد الله بن عمرو.

الزكوات والصدقات ليست للأغنياء ولا للأسوياء، إنّما هي لأصحاب العاهات، الَّذِينَ لا يستطيعون أن يعملوا، للإنسان العاجز، للشيخ الكبير، للمرأة الأرملة، للصبي اليتيم، لهؤلاء الَّذِينَ لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، فهي معونة لهم على أعباء الحياة.

أمّا القادر على العمل، فينبغي أن يعمل ويكتسب رزقه بنفسه، جاء رجلان إلى النبي ﷺ يسألانه من الصدقة، فصعد النظر فيهما وصوربه، وقال: «إن شئتما أعطيتكما، ولا حظ فيها لغني، ولا لقوي مكتسب»^(١).

هكذا عرفهم حتى إذا أخذوها يكونوا على بينة، هل تحل لهم أو لا تحل؟

جاء النبي ﷺ ودعا المسلمين أن يعملوا أي عمل، ولا يتكل أحدهم على السؤال، وقال: «لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة من الحطب على ظهره فيبيعها، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»^(٢).

لو لم يجد عملاً إلا أن يأخذ حبلًا ويذهب إلى البراري يجمع غصناً وعودًا وأخشابًا وأحطابًا، ويأتي لبيعها، فليفعل.

هذا عمل شاق ومدخوله قليل، ولكنه أفضل من أن تمدد يدك إلى الآخرين، «خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه».

(١) رواه أحمد (١٧٩٧٢)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود (١٦٣٣)، والنسائي (٢٥٩٨)، كلاهما في الزكاة، وصحّحه الألباني في صحيح أبي داود (١٤٤٣)، عن رجلين من الصحابة.

(٢) رواه البخاري في الزكاة (١٤٧١)، عن الزبير بن العوام.

الإسلام يعتبر العمل عبادة وجهادًا:

هكذا حرّض النبي الأمة على أن تعمل، واعتبر العمل من أجل الدنيا عبادة وجهادًا إذا صحت فيه النيّة، إذا عملت بنية أن تعفّ نفسك، وتكفي أهلّك، وتعول من حولك، وتساهم في نهضة أمّتك، وتقوّي اقتصادها، فأنت بهذه النيّة تتعبّد الله بعملك، عملك يكون عبادة، وتكون الأرض كلها مسجدًا لك، ومحرابًا لك.

هذا إذا صحت نيتك، والتزمت في عملك حدود الله، ولم تغش، ولم تخن، ولم يلهك عملك عن ذكر الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة.

العمل عبادة، والعمل جهاد، رأى الصحابة رجلًا جلدًا نشيطًا قوي البنية مفتول الذراعين، فنظروا إليه وقالوا: لو كان جلده ونشاطه في سبيل الله!

فقال النبي ﷺ: «إن كان خرج يسعى على أبوين كبيرين، فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على أولاد صغار فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على زوجة يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على نفسه فهو في سبيل الله»^(١).

أي أنّ العمل للدنيا يمكن أن يكون جهادًا في سبيل الله، إذا كان هذا العمل كما ينبغي، كما يريد الإسلام.

والإسلام لا يريد أي عمل، وإنّما يريد العمل المتقن، كما جاء في الحديث: «إنّ الله كتب الإحسان على كل شيء».

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٢٩/١٩)، وفي الأوسط (٦٨٣٥)، وفي الصغير (٩٤٠)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣٣٥/٢): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٧٠٩): رواه الطبراني في الثلاثة، ورجاله الكبار رجال الصحيح. عن كعب بن عجرة.

الإحسان يعني الإتقان، أن تحسن العمل وتتقنه وتحكمه وتدقق فيه، «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»، أي: فرض الإحسان، كلمة «كتب» تعني: الفرضية الموثقة، كما في قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]، «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ، وَلِيُحَدِّثْ أَحَدَكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلِيُرِحَ ذَبِيحَتَهُ»^(١).

ويقول عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَنْ أَحَدَكُمْ إِذَا عَمَلَ عَمَلًا أَنْ يَتَقَنَهُ»^(٢).

الله يحبُّ من يفعل ذلك، ومن أحبَّه الله فقد وصل إلى مرتبة عظيمة، «فإذا أحببتَه، كنت سمعَه الَّذي يسمع به، وبصره الَّذي يبصر به، ويده الَّتِي يبطش بها، ورجله الَّتِي يمشي بها، وإن سألني لأُعطيَنه، ولئن استعاذني لأُعيدَنه»^(٣).

ينبغي للمسلم إذا عمل أن يتقن، هذا ما جرت عليه أمتنا أيام ازدهار الحضارة الإسلاميَّة، أيَّام كان الإسلام إسلامًا، والمسلمون مسلمين، كانت أمتنا هي الأمَّة الأولى في ميِّدان العلم، في ميِّدان الزراعة، في ميِّدان الصناعة، في ميِّدان الاحتراف.

كانت هي الأمَّة الرائدة القائدة، العالم تعلم منها، الغربيون إنَّما تعلموا المنهج العلمي والتجريبي من المسلمين، ثمَّ نام المسلمون وتخلَّفوا، ونهضوا هم وتقدَّموا.

(١) رواه مسلم في الصيد والذبائح (١٩٥٥)، وأحمد (١٧١١٣)، عن شداد بن أوس.

(٢) رواه أبو يعلى (٤٣٨٦)، والطبراني في الأوسط (٨٩٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٣١٤)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١١١٣)، عن عائشة.

(٣) رواه البخاري في الرقاق (٦٥٠٢)، عن أبي هريرة.

عمارة الأرض إحدى مقاصد الخلق:

نهض المسلمون لأنهم عملوا بتوجيهات الإسلام، والتزموا بتعليمات الإسلام، وضعفوا حينما بعدوا عن هذا الدين، حينما سارت فيهم أفكار غير إسلامية، ومفاهيم غير إسلامية، تقول لهم: اتركوا الدنيا، ازهدوا في الدنيا، لا تعملوا للدنيا، بحسبك أن تعبد الله، ونسوا أن هذه الأشياء مقصودة لله ﷻ، كما يقول الإمام الراغب الأصفهاني: «إن مقاصد الله تعالى من الخلق - كما بينها القرآن - ثلاثة: العبادة، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، والخلافة، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، والعمارة، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَشَأْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، أي: طلب منكم أن تعمروها»^(١).

فعمارة الأرض هدف من الأهداف، ومقصد من المقاصد من خلق الله تعالى للإنسان، فإذا لم يعمر المسلمون الأرض فقد فرطوا في هذا المقصد، وضيعوا هذا الهدف، ليتسلم الزمام منهم غيرهم.

هذا هو الذي كان؛ حينما ترك المسلمون العمل للدنيا، وأهملوا في ذلك، وشاعت فيهم تلك الأفكار الدخيلة على الإسلام وعلى حياة المسلمين، أفكار عن الزهد، وعن التوكل، وعن الإيمان بالقدر، وعن هذه الأشياء.

الزهد: أن تزهد في الدنيا وهي في يدك، أن تملك الدنيا ولا تملكك، أن تسخرها ولا تسخرك، أن تكون الدنيا في يدك وليست في قلبك.

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ٨٢، ٨٣، تحقيق د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، نشر دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

أما إذا لم تملك الدنيا، فأبي زهد عندك؟

لا زهد إلا لمن يملك، ولذلك يقول مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ: يقولون: مالك زاهد زاهد؛ إنما الزاهد حقاً عمر بن عبد العزيز، الذي أتته الدنيا فاعرة فاها فتركها لله^(١).

نكون زاهدين حقاً حينما تكون الدنيا وطيباتها في أيدينا ولكنها لا تستخدمنا، لا نتخذها رباً فتخذنا لها عبيداً.

هذا هو الأصل، ليس الزهد بأن تحرّم الحلال، وليس الزهد بأن تترك الأعمال، إنما الزهد أن تملك الدنيا وتستمتع بها وتعمل لها في إطار الشرع، يقول الله تعالى: ﴿يَبْنَئْ أَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣١، ٣٢]، من يحرم هذه الأشياء؟

عندما كان المسلمون مسلمين استمتعوا بطيبات الدنيا، وعملوا لها، ولم ينسوا آخرتهم، فكانت لهم الدنيا، وكانوا سادة العالم، وكانوا الأمة الأولى والعالم الأول قرونًا عدة، الآن يقال عن المسلمين: العالم الثالث.

الأمة لا تعمل، وإذا عملت لا تتقن.

في بعض البلاد عملت إحصائية، فوجد أن متوسط عمل الإنسان في اليوم سبعة وعشرون دقيقة، وهناك أناس لا يعملون مطلقاً، وأناس يتعبون ويكدون، وهذا هو المتوسط.

هل هذه أمة؟

(١) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٢٢١٤٣)، وقال مخرّجه: إسناده ضعيف. وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٥٧/٥).

الأمّة التي ترى فيها من لا يستحقُّ أن يعيش؛ لأنّه يأخذ من الحياة ولا يعطيها، يستفيد من الحياة ولا يفيدها، يستهلك ولا ينتج، كلُّ ما في الأمر أنّه يكدر المياه، ويغلي الأسعار على الناس، لا تستفيد الحياة منه شيئاً.

الإسلام يريد لكل إنسان أن يعمل:

كلُّ إنسان في الإسلام يجبُ أن يعمل، حتّى الغني ذو الموارد الكبيرة والثروة الهائلة يجب أن يعمل.

حرم الإسلام الربا؛ لأنّ الربا يعوّد الإنسان أن يصير الألف ألفاً ومائة أو ألفاً ومائتين، والمليون مليوناً ومائتي ألف، وهو جالس لا يفعل شيئاً. لا، حرم الإسلام الربا ليعمل الإنسان في ماله بنفسه، أو يشارك فيه غيره، ويتحمل النتائج، عليه أن يراقب الشركة، ولا يترك المال للناس، فإنّ «المال السائب يُعلم السرقة».

هكذا يريد الإسلام لكل إنسان أن يعمل، ليس في الإسلام عاطلون بالوراثة، أناس يجلسون على المقاهي أو في الطرقات، ولا يقدمون للحياة شيئاً، لماذا تستحق أن تعيش إذا لم تكحح يمينك ولم يعرق جبينك؟ ماذا قدمت للحياة؟

تأكل وتشرب وتلهو وتلعب وتستمتع بالطيبات ولا تقدّم شيئاً؟ لماذا خلقت إذن؟

لا بد لكل إنسان أن يعمل، وعلى كل إنسان أن يتقن العمل، وأن يؤدّي العمل بأمانة، لا يخون فيه ولا يغش، هناك أناس يتقاضون رواتباً ولا يؤدّون عملاً، وإذا أدى عملاً، فهو عمل لا يكاد يُذكر، لماذا تستحق

آخر الشهر أجرك ومعاشك وراتبك، إذا كنت لم تُؤدِّ العمل الذي تتعاش من حقه؟

لا بدَّ أن تعمل حتى تستحق الأجر، هنا إذا عملت فلك حقُّ الأجر، والأجر العادل، الأجر الكافي، النبي ﷺ كان إذا جاء العطاء يعطي للعزب حظًا وللأهل حظين^(١).

الإنسان العزب غير متزوج يعطيه حظًا، أي: نصيبًا واحدًا، والمتزوج يعطيه نصيبين هو وزوجته.

ولذلك لا بدَّ أن يراعى في إعطاء المعاش الإنسان وحاجته، الإنسان وكفاءته، الأمرين معًا، يقول النبي ﷺ: «من كان لنا عاملاً وليس عنده مسكن فليخذ مسكنًا، وإذا لم يكن عنده زوجة فليخذ زوجة، وإذا لم يكن له دابة فليخذ دابة»^(٢).

صحيح جاء هذا في موظفي الدولة، ولكن هذا - أيضًا - بالنسبة لغير موظفي الدولة، الإنسان ينبغي أن يوفَّى حقه.

استغلال الضعفاء من الناس حرام:

لا يجوز للإنسان أن يستغل الضعفاء من الناس، تحت حكم الضرورة، كأولئك الذين يأتون بالعمال ثم يعطونهم أدنى الأشياء، يبخسون الناس أشياءهم، يأكل عرقهم، يأكل في بطنه نارًا، يستغل العامل

(١) رواه أحمد (٢٣٩٨٦)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الخراج والإمارة والفيء (٢٩٥٣)، وابن جبان في السير (٤٨١٦)، عن عوف بن مالك.

(٢) رواه أحمد (١٨٠١٥)، وقال مخرَّجوه: حديث صحيح. والطبراني (٣٠٤/٢٠)، عن المستورد بن شداد.

الضعيف الذي اغترب عن أهله، وأنفق كلَّ ما يملك ليحصل على هذا العمل، ثمَّ يأتي فينقض ما اتَّفَقَ عليه معه، ويؤخَّرُ عليه أحيانًا راتبه أشهرًا؛ لتبقى أمواله هذه الأجور في البنك الربوي تعطيه فوائد، ولكنه لا يعطي هذا العامل أجره.

هذا حرام، هذا من الكبائر، لا بدَّ أن تعطي العامل حَقَّه بالمعروف، والمعروف ما يتعارفه أهل الرأي وأهل الفضل، حتَّى وإن رضي العامل بالدون وقبل العيش الهون، فإنَّه يقبله مضطرًّا، وهذا لا يجعل العقد بينك وبينه مشروعًا، إذا ظلمته وجرت عليه واستغللت حاجته، وفرضت عليه ما لا يقبله إلَّا تحت حكم الضرورة فأنت ظالم، أنت ظالم وسيقتص الله منك يوم القيامة، فإنَّ الظلم ظلمات يوم القيامة، وقد يعاقبك في الدنيا، وإنَّ الظلم يعاقب الله صاحبه في الدنيا قبل الآخرة، ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل: ٥٢]، ﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ [يونس: ١٣]، ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ [الكهف: ٥٩]، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

فاحذر أن تظلم إنسانًا، إذا عقدت معه عقدًا فأوف بالعهد، وإذا كان العقد ظالمًا، فراجع الأمر معه، لا تكن ظالمًا، هناك أناس يفرضون على العمال إتاوات شهرية؛ لأنَّه جاء على كفالته أو نحو ذلك، بماذا تستحل هذه الإتاوة التي تأخذها باستمرار من هذا المسكين؟

إذا كان شريكًا معك، فلا بأس، إنَّما إذا لم يكن شريكًا، ولم تكن تؤدي عملاً تستحق عليه هذا، فبماذا تستحق هذه الإتاوة أو هذا المال؟

إنَّ حقوق العباد من أخطر الحقوق، حقوق الله مبنية على المسامحة، وحقوق العباد مبنية على المشاحة، إيَّاك أن تظلم إنسانًا، وخصوصًا

الإنسان الضعيف، الذي يضطر أمام ضغط الحاجة وأمام حكم الضرورة القاهرة، أن يدعن لك فتأكل عرقه بغير حق، النبي ﷺ يقول: «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه»^(١)، أي: سارعوا بإعطائه الحق ولا تماطلوه، «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه».

أي عناية بهذا الإنسان العامل أعظم من هذه العناية؟

وفي الحديث القدسي الذي رواه الإمام البخاري، أن الله تعالى يقول: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة».

وفي بعض الروايات: «ومن كنت خصمه خصمته»^(٢)، أي: غلبته وقهرته.

«ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر - أي: أعطى عهداً باسم الله ثم نقض العهد - ورجل باع حرّاً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعط أجره»^(٣).

هذا يخاصمه الله يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، فانظر كيف تكون حجتك إذا خاصمك الله، بأي حجة تجيب، وبأي منطق تدافع عن نفسك؟ فاحذروا - أيها الإخوة - من ظلم الناس، وخصوصاً ظلم الضعفاء، إياك أن تظلم ضعيفاً، فيأتي ويتعلق بركبتك يوم القيامة، ويقول: يا رب، هذا ظلمني وأكل حقي.

إنّ الإسلام أنصف العمال قبل أن تأتي الاشتراكيات، وتأتي المذاهب

(١) رواه ابن ماجه في الرهن (٢٤٤٣)، والقضاعي في مسند الشهاب (٧٤٤)، وصحّحه الألباني

في صحيح ابن ماجه (١٩٨٠)، عن ابن عمر.

(٢) رواه أحمد (٨٦٩٢)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. وابن ماجه في الرهن (٢٤٤٢)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه البخاري في البيوع (٢٢٢٧)، عن أبي هريرة.

الحديثه وتجعل للعمال حقوقًا، الإسلام أعطى هذه الحقوق للعمال، أن يعطوا أجورهم، ولا يبخسوا حقوقهم، وأن يعطوا حقهم من الراحة، ف«إِنَّ لَبَدْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»^(١)، وأن تكون لهم كرامتهم.

والعمال مسؤولون أيضًا، كما جاء في الحديث: «والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته»^(٢)، فهم مسؤولون، والمسؤولية تقتضي - أيضًا - حقوقًا، فلا بدّ أن نرعى هذه الحقوق.

ينبغي على أمتنا أن تعرف أن عليها أن تجيد عمل الدنيا، تجيد عمل الدنيا؛ لأنه من عمل الصالحات، حينما يقول الله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥]، فليس معنى «الصالحات»: الصلاة والصيام والذكر والقراءة فقط، عمل الصالحات يشمل العمل الديني والعمل الدنيوي.

فلا بدّ أن نعمل صالحًا، ولا بدّ أن نعطي للعامل حقه كما نطالبه بواجبه، ولا بدّ أن نوّدي أعمالنا ونحسنها كما كنّا في الأزمنة الماضية؛ حتّى نستطيع أن نتبوأ مكانتنا في هذا الوجود، بعد أن تأخرنا كثيرًا وكثيرًا، وأصبحنا عالية على غيرنا في كلّ شيء: في الزراعة، وفي الصناعة، وفي العلم، وفي التكنولوجيا، أصبحنا وراء الأمم.

وما هكذا ينبغي أن تكون الأمة التي جعلها الله شهيدة على الناس، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩)، كلاهما في الصيام، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأحكام (٧١٣٨)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

سراب السلام المزعوم:

قد انكشفت الأمور على حقيقتها، وتبيّن أن موقفنا في معارضة ما سمّوه «السلام»، كان موقفنا صواباً والحمد لله؛ لأنّه موقف يستند إلى الشرع، لا يستند إلى مصالح مؤقتة، ولا إلى أهواء، ولا إلى موازنات معينة، تبيّن أنّ اليهود لا يمكن أن يسالموا، ليس في طبيعتهم المسالمة، القرآن ذكر هذا في مواقفهم، والتاريخ شاهد على ذلك، والواقع شاهد آخر، فماذا نريد أكثر من شهادة النصوص، وشهادة التاريخ، وشهادة الواقع؟

هؤلاء القوم كما قلنا منذ بدء ما سمّوه: «اتفاق أسلو»، هذا الاتفاق علّق مسائل في غاية الأهميّة، منها مسألة القدس، ومسألة المستوطنات، ومسألة اللاجئين، ومسألة الحدود.

مسائل في غاية الأهميّة تركت، ومن يوم الاتفاق أعلن رابين أنّ القدس أو أورشليم - كما يسمونها - هي العاصمة الأبدية والتاريخية لإسرائيل، وأن هذا أمر لا تنازل فيه، هكذا قال.

وها هم الآن يفعلون ما يفعلون، يضمون الأراضي بالقوة، الأراضي التي حول القدس؛ ليقموا عليها مستوطنات جديدة، لم تكفهم المستوطنات القديمة، يريدون مستوطنات جديدة، من أين يأتون بالمستوطنات الجديدة؟

يغتصبون الأرض اغتصابًا، ولم لا؟

لقد اغتصبوا الأرض من قبل، حينما قامت دولة إسرائيل كان لليهود (٧٪) من أرض فلسطين، وحتى (٧٪) هذه اغتصبوها بطرق الحيل والخداع إلى آخر ما فعلوا.

وحينما قامت دولتهم منذ خمسين عامًا ضمُّوا إليها بالسيف، بالقوة الباطشة، بالحديد والنار ما ضمُّوا، وأخيرًا ضمُّوا فلسطين كلّها، الضفة الغربيّة وغزة، وأكثر من ذلك الجولان وسيناء، وها هم الآن يتحدّون العالم، ولم يرجعوا عن هذا القرار.

وللأسف الشديد رأينا الدولة العظمى التي هي أحد الراعيين لاتفاق السلام المزعوم تقف مع هؤلاء، وتؤيِّدهم رغم بطلان ما فعلوه. رأينا أمريكا تؤيد هؤلاء وتتحدى العالم، وتستخدم حق النقض، أو حق «الفيتو»، رغم أنّها لم تستخدمه منذ خمس سنوات، لكن إذا تعلق الأمر بإسرائيل يُستخدم «الفيتو».

ما هذا؟ أين العرب؟ وأين المسلمون؟ أين الوقفة لله تعالى تحقُّ الحقّ وتبطل الباطل؟

نحن لسنا خرافًا تُساق، لسنا نعاَجًا تُذبح، نحن أمّة هي خير أمّة أخرجت للناس، لا نقبل الدنيّة في ديننا، لا نقبل أن نبيع أرضنا وعرضنا وقدسنا وأقصانا، بأيّ شيء كان، ولا بملك المشرق والمغرب.

على هذه الأمّة أن تصحو، وعليها أن تقف وقفة البطولة، وأن تعارض هذا بقوّة، وسينصرنا الله في النهاية، إذا صبرنا وصابرنا ورابطنا، العاقبة للمتقين، والنصر لنا - إن شاء الله، ما دام نيّة الجهاد قائمة.

علينا أن ندعو لإخوتنا الذين يجاهدون ويستبسلون ويقدمون الشهداء يوماً بعد يوم، أن يثبت الله أقدامهم، وأن ينصرهم على عدوهم، وأن يفتح لهم فتحاً مبيئاً، وأن يهديهم صراطاً مستقيماً.

اللهمّ عليك باليهود الغادرين، وانصرنا على اليهود الغادرين، والصليبيين الحاقدين، والصربيين المتوحشين، والوثنيين المتعصبين، اللهمّ انصرنا على جميع أعدائك أعداء الدين.

اللهمّ ردّ عنا كيدهم، وفل حدهم، وأدل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين.

اللهمّ انصر إخوتنا المجاهدين في سبيلك، في فلسطين، وفي لبنان، وفي البوسنة، وفي الشيشان، وفي كشمير، وفي السودان، وفي أفغانستان، وفي كل مكان.

اللهمّ ألف بين قلوب إخواننا في أفغانستان، وإخواننا في الصومال، وارفع الكرب عن إخوتنا في العراق، وأيد إخوتنا المضطهدين في كل مكان، اللهمّ افكك بقوتك أسرهم، واجبر برحمتك كسرهم، وتولّ بعنايتك أمرهم.

اللهمّ اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين.

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وباركْ على عبدك ورسولك مُحَمَّد، وعلى آله
وصحبه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



من أمراض الأمة: عدم العناية بالشباب

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

قد قلنا إنّ هذه الأمة لا تموت، ولكنها تمرض، تنام، تغفو، ولا بد ممّن يقومون على تنبيهها وإيقاظها، وعلاجها من أمراضها حتّى تصح وتحيا وتنمو وتقوم برسالتها كما أمر الله؛ لتكون أمةً وسطاً، وتكون شهيدةً على الناس.

نتحدث اليوم عن شباب هذه الأمة، عن هذه الثروة! الأمم تقاس بثرواتها، ولكن أعظم ثروات الأمم ليست الثروات المادّية، ليس بما تملك الأمة من ذهب أبيض، أو ذهب أصفر، أو ذهب أسود، إنّما تقاس بثروتها البشريّة! ماذا تملك من البشر؟ ماذا عندها من أناس؟ من بني آدم؟ ماذا عند هؤلاء الناس من علم وعمل، من إيمان، من إخلاص، من أخلاق؟ هكذا تقاس الأمم!

مستقبل الأمة في شبابها:

وأهم أفراد الأمة هم الشباب، فهم رصيد الأمة لمستقبلها، شباب الأمة هم الذين يمثلون الغد، ويجسمون المستقبل!

فإذا أردت أن تعرف مستقبل أمة فاسأل عن شبابها، ابحث بماذا يُعنى هؤلاء الشباب؟ بماذا يهتمون، وعلام يحرصون، ما هي آمالهم، وما هي طموحاتهم، وما أخلاقهم، وما أعمالهم، وما مواقفهم؟

فإن وجدت شباب هذه الأمة يعنى بالمثل العليا، بالقضايا الكبرى، يتخلق بالأخلاق الكريمة، يتعد عن الرذائل القاتلة، إذا رأيت شباب هذه الأمة يعمل لبنائها، وإقامة نهضتها على ركن ركين، إذا رأيت شباب الأمة مشغولاً بالجد لا بالهزل، وبالطهارة لا بالتلوث، وبالعمل لا بالفراغ، فاعلم أن الأمة على خير.

وإذا رأيت شباب الأمة ليس له هدف إلا التسكع في الطرقات، (التحفيص) بالسيارات، المعاكسة للفتيات، الجري وراء البنات في الأسواق، والمعاكسة في التلفزيونات، إذا رأيت شباب الأمة لا هم له إلا تدخين السجارة، ولا هم له إلا أن يقع أسيراً في أيدي العصابات التي تدخله في المسكرات والمخدرات فتقتله قتلاً، وتحطم شخصيته تحطيمًا، إذا رأيت شباب الأمة ولا هم لهم إلا تقليد الأجانب، إلى أن فقدوا شخصيتهم، وأصبحوا أذنبًا لغيرهم، ليس لهم شيء يعتزون به، وليس لهم هدف يعيشون له، وليس لهم أساس ينتمون إليه، وليس لهم هوية يتميزون بها، إذا رأيت شباب الأمة في مثل هذه الحال فاعلم أن على هذه الأمة العفاء، اعلم أن على هذه الأمة السلام، فقد خسرت ثروتها الحقيقية، وعلى الأمة أن تراجع نفسها!

إذا أصبح شباب الأمة على هذا النحو، وأصبحت شاباتها على نحو آخر، لا هم لها إلا أن تكون كاسية عارية، مائلة مميلة، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا تهتم بالحشمة، لا تهتم أن تقف عند أمر الله،

وإنما أصبحت تقلد المرأة الغربية في سلوكها وفي أحوالها كلها، ففقد الشباب وفقد الشابات شخصيتهم، وأصبحوا يسيرون وراء الآخرين شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع؛ حتّى لو دخلوا جحر ضب لدخلوه وراءهم، أي يصبح جحر الضب موضحة، هكذا تفقد الأمة ثروتها الحقيقية بفقدان فتيانها وفتياتها.

الأمة الصالحة، الأمة الصاعدة، الأمة الناهضة، الأمة التي تستحق أن تكون أمة وسطًا، وتكون خير أمة أخرجت للناس هي التي تستطيع أن تربي شبابها، أن ترعاهم أفضل رعاية، وأن تُعنى بهم أعظم عناية!

عناية الإسلام بالشباب:

الإسلام عني بالشباب، فالشباب مرحلة القوّة بين ضعفين، ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤]. القوّة بين الضعفين هي مرحلة الشباب، ولهذا يُسأل الإنسان يوم القيامة عن عمره عامّة، وعن شبابه خاصة، وفي الحديث: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتّى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به»^(١).

يُسأل عن الشباب: ماذا صنع في هذا الشباب؟ كيف قضى هذا الشباب؟ قضاه في نصره الحق أم في خدمة الباطل؟ قضاه في سبيل الله أم في سبيل الطاغوت؟ قضاه في التحلي بالفضائل أم السقوط في

(١) سبق تخريجه ص ١٩١.

الردائل؟ قضاة في حزب الرحمن أم في حزب الشيطان؟ سيسأل الله كل امرئ عن عمره عامّة وعن شبابه خاصة.

الشباب الثائر على الباطل:

القرآن الكريم ذكر لنا نماذج لتكون لنا أسوة، وتكون أمام شبابنا قدوة، ذكر لنا نموذج الشاب الثائر على الباطل الرافض للأصنام، المحطم لها عندما قدر عليها! ذكر لنا نموذج إبراهيم عليه السلام، الذي كان يرى أباه وقومه يعبدون الأصنام، فكان وهو صغير يأخذ هذه الأصنام ويمشي في الطريق ويقول: يا من يشتري من لا يضر ولا ينفع! فلما أصبح فتى ذا قوّة وقدرة أقسم ليجعلن هذه الأصنام جذاذاً، فحمل فأسه وذهب إليها وحطمها تحطيمًا، وهنا جنّ جنون القوم، من فعل هذا بالهتهم؟ فقال قائلهم أو قال قائلوهم: سمعنا فتى يتهددهم ويتوعدهم يقال له إبراهيم. إبراهيم كان فتى شابًا حين حطم هذه الأصنام.

الشباب المطيع لأمر الله:

ذكر لنا القرآن كذلك الشاب المطيع لأمر الله الذي يقدم رقبتة امتثالاً لأمر الله، لا يتلعثم ولا يتردد، وذلك هو إسماعيل بن إبراهيم حينما قال له أبوه: ﴿يَبْنِيْ اِيْتِيْ اَرَى فِى الْمَنَاوِرِ اَنْيَّ اَذْبَحُكَ فَاَنْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ [الصفات: ١٠٢]، فماذا قال هذا الغلام الذي بلغ مع أبيه السعي وأصبح يرجي منه؟ ﴿قَالَ يَتَابَتِ اَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيْ اِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصّٰبِرِيْنَ﴾ [الصفات: ١٠٢]. نفذ الأوامر السماوية التي عندك، لم يقل افعل بي ما تؤمر، كأنما فني عن ذاته، نسي نفسه، ولكن قال: ﴿اَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾، ولم يدع البطولة ولا الشجاعة ولكن قال: ﴿سَتَجِدُنِيْ اِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصّٰبِرِيْنَ﴾، هذا نموذج.

الشباب المتعطف عن الحرام:

قدّم القرآن نموذجًا آخر للشباب العفيف، الذي يرى الفتنة من حوله، الفتنة تصابحه وتماسيه، وتراوحه وتغاديه، ولكنه يرفض الفتنة، ويأبى أن يقع في الحرام، ذلكم هو يوسف ابن يعقوب عليه السلام، حينما راودته التي هو في بيتها عن نفسه، هي صاحبة البيت وسيدته وهو مملوكها، وهو غريب عن قومه ولا يعرفه أحد، ولم يسع إلى الفتنة ولكنها سعت إليه، ولكنه مع هذا رغم كل عوامل الإغراء من حوله، وهو شاب عذب، والشباب شعلة من الجنون؛ رغم ذلك رفض الفتنة وقال: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

المرأة طالبت بصريح العبارة: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]!

ولما لم ينفع فيه سلاح الإغراء لجأت إلى سلاح التهديد وقالت أمام النسوة: ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرْتُهُ لَيَسْجَنَنَّ وَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢]، ولكن سلاح التهديد لم يفلح مع هذا الشاب المؤمن المتعطف يوسف عليه السلام، كما لم ينفع معه سلاح الإغراء؛ ولم يجد ملجأ إلا الله يلجأ إليه، ويدعوه قائلاً: ﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

الشباب الحكيم التقي:

ذكر لنا القرآن نموذجًا للشباب الذي آتاه الله الحكمة في صباه، مع نبل عاطفة وطهارة سلوك وافتقار لربه، ذلكم هو يحيى بن زكريا عليه السلام،

الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَّءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾ [مريم: ١٢ - ١٤].

الشباب المعتزل أهل الضلال:

ذكر لنا القرآن شبابًا ثاروا على الباطل، تمردوا على الطاغوت، أبوا أن يسروا في ركاب قومهم الوثنيين المشركين، رفضوا آلهتهم، ولم يباليوا بجبروت قومهم وعنادهم وطغيانهم، إنهم فتية أهل الكهف، ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوهُ مِن دُونِهِ ءِإِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾ [الكهف: ١٣ - ١٤].

قالوا لقومهم: رفضنا آلهتكم، ورفضنا معبوداتكم، ولجأنا إلى الله وحده: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءِإِلَٰهَةً لَّوَلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطٰنٍ بَيِّنٍ فَمَن أَظْلَم مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾ [الكهف: ١٥].

الشباب هم أتباع الرسل:

أتباع الأنبياء كانوا شبابًا، ذكر الله أتباع موسى عليه السلام فقال: ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴿٨٣﴾﴾ [يونس: ٨٣]، ذرية نابته ناشئة في الإيمان.

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا شبابًا، أكبرهم أبو بكر، عندما أسلم كان في الثامنة والثلاثين من عمره، أمّا الصحابة الآخرون فكانوا أصغر بكثير، عمر أصغر من أبي بكر بعشر سنوات، والذبير بن العوام وعلي بن أبي طالب كانا في سن العاشرة أو نحو ذلك، هؤلاء هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، كانوا شبابًا، ولكنهم شباب مبتهلون في شبابهم، آمنوا بالدعوة الجديدة،

وصمموا على أن ينصروها بكل ما أوتوا من قوّة، وأن يبذلوا الأنفس والأموال في سبيلها، لا يبالون ما أصابهم في نصرة هذه الدعوة، وهكذا صبروا في مكة على الأذى والاضطهاد، وهاجر منهم من هاجر إلى الحبشة، ودخل منهم من دخل في الشّعب (شعب أبي طالب) حتّى أكلوا أوراق الشجر في سنين المحاصرة والمقاطعة التي قاطعتها لهم قريش!

ثم في العهد المدني كان عهد الصدام المسلح، كان عهد الجهاد والقتال، قاتلوا في سبيل الله، لم يبق بيت من بيوت المدينة إلاّ وقدم شهيدا أو أكثر من شهيد، سبع وعشرون غزوة غزاها النبي ﷺ بنفسه، وقادها بنفسه، وبضع وخمسون سرية بعثها النبي ﷺ، كان يقودها أصحابه، في هذه المدة القليلة هذا العدد من المعارك خاضه المسلمون مع أعدائهم، وما أكثر أعداءهم!

خاضوا هذه المعارك مع جبهة الشرك الوثنيّة، وخاضوها مع يهود بني قينقاع، وبني قريظة وبني النضير وخيبر، وخاضوها مع الروم البيزنطيين في معركة مؤتة وفي غزوة تبوك، وخاضوا مع المنافقين الطابور الخامس الذين يكيّدون لهم في الخفاء، ويعملون في المجتمع عمل السوس في الخشب، هكذا كان هؤلاء الشباب، كان الشاب منهم يأتي إلى النبي ﷺ ويقول: يا رسول الله ائذن لي أن أجاهد. فيقول له: «أنت صغير»، فيقول يا رسول الله كيف أجزت فلانًا وتركتني، وأنا أصارعه فأصرعه؟ فيأمر النبي ﷺ بهما فيصطرعان أمامه، فيصرع هذا الذي كان قد رده النبي ﷺ رفيقه فيجيزه.

كانوا يتسابقون إلى الجهاد، وكان النبي ﷺ يحملهم المسؤولية منذ أن يقدر أحدهم على حمل السلاح وخوض المعركة.

حينما فتح النبي ﷺ مكة ولى عليها شابًا في العشرين من عمره اسمه عتّاب بن أسيد، وكذلك بعث معاذ بن جبل إلى اليمن وهو شاب، وولى أسامة بن زيد على جيش يذهب إلى الشام إلى بلاد الروم، قبل أن يتوفى الله رسوله ﷺ وهو ابن ثمانية عشر عامًا، هؤلاء الشباب كانت نفوسهم معلقة بالمُثل العليا.

الفراغ من أكبر مشكلات الشباب:

مشكلة شبابنا هي الفراغ، فراغ الوقت، وفراغ مع الجِدَّة في بعض البلدان، ومع البطالة والفقر في بلدان أخرى، الشباب في بلاد الخليج فراغ وِجْدَة، الجِدَّة أي وجود أموال في يديه، وقديمًا قال أبو العتاهية:

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفِرَاقَ وَالجِدَّةَ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيِّ مَفْسَدَةٍ^(١)

الفراغ أصبح نقمة، والأصل فيه أنه نعمة كما قال النبي ﷺ: «نعمتان مغبونٌ فيهما كثير من الناس: الصَّحَّةُ، والفراغ»^(٢). والشباب عنده صحة وعنده فراغ؛ ولكنّه لم يغتنم لا صحته ولا فراغه، وقد وعظ النبي ﷺ بعض الشباب فقال له: «اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هَرَمِك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك، وفراغك قبل شُغْلِك»^(٣). من هذه الخمس: «اغتنم شبابك قبل هَرَمِك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل

(١) انظر: خاص الخاص للثعالبي ص ١٠٩، تحقيق حسن الأمين، نشر دار مكتبة الحياة، بيروت.

(٢) رواه البخاري في الرقاق (٦٤١٢)، عن ابن عباس.

(٣) رواه النسائي في الكبرى في المواعظ (١١٨٣٢)، والحاكم في الرقاق (٣٠٦/٤)، وصحَّحه

على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١٠٧٧)، عن

ابن عباس.

شُغْلِك»، لا تجعل الفراغ نقمة عليك، ولكن اجعله نعمة لك، قديماً
قال الشاعر:

لَقَدْ هَاجَ الْفَرَاغُ عَلَيْهِ شُغْلًا وَأَسْبَابُ الْبَلَاءِ مِنَ الْفَرَاغِ^(١)

طموح وآمال الشباب:

وأهم من فراغ الوقت فراغ النفس، فراغ القلب من التعلق بالطموحات الكبيرة، بالآمال العظيمة، بالمثل الرفيعة! كان شباب أمتنا قديماً يتعلقون بنشر الإسلام في العالم، يتعلقون بالجهاد في سبيل الله، فأسامة بن زيد يقود الجيش وهو ابن الثامنة عشرة، ومُحَمَّد بن القاسم ابن مُحَمَّد الثقفي يقود جيش الإسلام لفتح بلاد السند والهند وهو في السابعة عشرة من عمره، ويقول في ذلك الشاعر:

إِنَّ السَّمَاةَ وَالْمَرْوَةَ وَالنَّدىَ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ
قَادِ الْجِيوشِ لِسَبْعِ عَشْرَةَ حِجَّةً يَا قُرْبُ ذَلِكَ سَوْدَدًا مِنْ مَوْلِدِ^(٢)

ابن سبع عشرة سنة يقود جيش الإسلام، وظل يلح على ابن عمه الحجاج بن يوسف الثقفي أن يوليه على الجيش الإسلامي حتى ولاه، وفتح بلاد السند في باكستان، هذا طموح شبابنا.

مُحَمَّد بن مراد الفاتح الذي فتح القسطنطينية، وضمها إلى ديار الإسلام، كان ابن الثالثة والعشرين، قرأ في كتب الحديث: «لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، فَلَنَعَمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا، وَلَنَعَمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ»^(٣). فتاقت

(١) ذكره من غير نسبة الثعالبي في التمثيل والمحاضرة ص ٣٩٩، تحقيق عبد الفتاح محمد

الخلو، نشر الدار العربية للكتاب، ط ٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

(٢) ذكره من غير نسبة ابن قتيبة الدينوري في عيون الأخبار (٣٣٢/١).

(٣) سبق تخريجه ص ٣٤.

نفسه أن يكون هو ذاك الأمير، وخطط لذلك ووقفه الله إلى فتح القسطنطينية.

هذا هو الشباب الذي يملك طموحات وآمالاً كباراً، أمّا الشباب الذي يعيش للشهوات، للملذات، للركض وراء الفتيات، هذا الشباب ليس شيئاً، لا يمكن أن يعتبر من ثروة الأمة، بل هو عبء على الأمة!

القيام برعاية الشباب:

إنّ علينا أن نعمل على رعاية شبابنا، في البلاد الإسلامية: وزارات للشباب، ومجالس لرعاية الشباب، ولكن للأسف أكثر هذه الوزارات - إلا من رحم ربي - يظنون رعاية الشباب برعاية الأجساد، كأن الإنسان جسم فقط، نسي هؤلاء أنّ الإنسان جسم وروح، عقل وقلب، وأنّ الرعاية الحقيقية أن ترعى الشباب من كل جوانبه، أن تحاول أن تنشئ فيهم الشخصية الإسلامية المتكاملة، وترعى الأبدان بالرياضة، وترعى العقول بالثقافة، وترعى الروح بالعبادة، وترعى الخلق بالفضيلة، وترعى الجوانب الأخرى بالتربية على الخشونة، حتى يكون إنساناً قوياً، ف«المؤمن القوي خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف»^(١).

لا بدّ من الرعاية المتكاملة بالشباب، حتى ينشأ الشاب المسلم كما نشأ الشباب المسلمون الأقدمون الأولون، وقد اكتملت شخصيتهم الإسلامية، تعلموا وعملوا وعلموا وجاهدوا، وهكذا كانوا، كانوا رهباناً بالليل فرساناً بالنهار كما وصفهم الواصفون: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

(١) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، وأحمد (١٧٩١)، عن أبي هريرة.

المسؤولية عن إعداد الشباب:

نحن جميعًا مسؤولون عن إعداد الشباب الصالح: الأسرة مسؤولة، الآباء والأمهات مسؤولون عن رعاية هؤلاء الشباب منذ نعومة أظفارهم! لا بدَّ من هذه الرعاية من الصغر، فالتعليم في الصغر كالنقش على الحجر، ومن لم يتعلم في صغره لم يتقدم في كبره، لا بدَّ من هذا، وكما أنَّ الأسرة مسؤولة المدرسة مسؤولة، الآن كل الشباب يذهبون إلى المدارس، ولا بد للمدرسة أن تبذل جهدًا في رعاية الشباب وحسن تربيتهم.

وزارات التربية قديمًا كان اسمها وزارات المعارف، ولكن غيّر هذا العنوان إلى عنوان وزارة التربية، لأنهم قالوا: ليس المهم أن تشحن الرؤوس بالمعارف والمعلومات، ولكن المهم هو تربية وتكوين الشخصية السوية، التي تحسن التكيف مع المجتمع، وتحسن أن تعيش لرسالة وهدف، هذه هي مهمة المدرسة، التربية والتكوين، وليس مجرد تلقين المعارف التي يلقنّها الطفل (يصمّمها صمًّا)، ثمَّ يلقونها على الورقة، وبعد ذلك لا يعرف شيئًا، حينما يفرغ من الامتحان يمزق الكتب تمزيقًا، كأنها عدوة له، إشارة إلى أنه يكره هذه الكتب ويكره ما فيها، هذا ما نراه من التلاميذ بعد الامتحان!

ليست هذه تربية؛ التربية الصحيحة أن تحب العلم إلى الطالب، وأن تجعل هذا العلم دافعًا إلى العمل، فالعلم بدون عمل جنون، والعمل بدون علم لا يكون، وقد استعاذ النبي ﷺ من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع^(١)، لا بدَّ من الأمرين.

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٢)، وأحمد (١٩٣٠٨)، عن زيد بن أرقم.

على المدرسة أن ترعى هذا، تعلم التلميذ والتلميذة العلم والعمل، تغرس في نفسه الفضيلة والخلق! المعلم الحقيقي هو أب روعي، لا بد أن يحبه التلاميذ، والمعلمة الحقيقية أم للتلميذات، ليس المعلم شخصًا كريهًا، المعلم الذي يجد نفسه مكروهًا للتلاميذ ينبغي أن يدع هذه الوظيفة ويتخلى عنها، لا بد أن يشعروا بأنه أب لهم، يحبهم، يحرص عليهم، يسعى إلى خيرهم، ولا بد أن يكون أسوة لهم، لا بد أن يكون قدوة يقتدون به في حسن التخلق، في التحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل، المدرسة كلها ينبغي أن تتعاون، تنشئ جوًا تربويًا يعين على الفضيلة، يعين على الطهارة، يعين على حسن السلوك.

المدرسة مسؤولة، والأسرة مسؤولة، والإعلام مسؤول: الإعلام بأجهزته المختلفة المقروءة والمسموعة والمرئية أصبح أداة من أخطر الأدوات في عصرنا، أصبح يدخل على الناس بيوتهم ومخادعهم، أصبح يصاحبهم ويماسيهم، وأصبحت عنده قدرة هائلة على الإغراء والترغيب والتنفير، بما يملك من هذه الأشياء، الأنغام والألحان والدراميات والصور المثيرة وغير ذلك، بهذا كله يستطيع الإعلام أن ينفذ إلى قلوب الشباب، يستطيع أن يصنع منهم الأخيار أو الأشرار.

هل أدى الإعلام هذه الوظيفة؟ أقول بصريح العبارة: ما أداها كما ينبغي، إن إعلامنا يقلد إعلام الآخرين، فينقل عنهم ما يفعلون!

نحن في مرحلة البناء لا الرفاهية:

المجتمعات الأخرى مجتمعات وصلت إلى ما وصلت إليه فيمكن أن تترفه وأن تتمتع، أمّا أمتنا، فلا تزال تشق الصخر بأظافرهما، تحاول أن

تبني نفسها، أن تخرج من سجن التخلف، من دائرة العالم الثالث أو الرابع، تريد أمتنا أن يكون لها مكان تحت الشمس، أمة تقا تل وتجاهد هنا وهناك: في فلسطين، في كشمير، في البوسنة والهرسك، في الشيشان، في جنوب السودان، في الفلبين، في الصومال، هنا وهناك! أمة يقا تلها أعداؤها من كل جانب، والهجمة شرسة عليها من كل ناحية، ولا تجد من العالم وليًا ولا نصيرًا.

هذه الأمة ينبغي أن تعيش في مرحلتها، ينبغي أن تعيش في مرحلة الجدية، لا في مرحلة الجري وراء تلك الترهات والأباطيل، لا بد أن يكون الإعلام على مستوى هذه المرحلة، ولا بد أن ينوع فيما يقدمه لهذه الأمة، ولا بد من رفض ما لا يتفق مع قيمها الدينية والأخلاقية وعقائدها وشرائعها وتقاليدها، لا بد لهذه الأمة أن تميز الخبيث من الطيب، وأن تعرف الحلال من الحرام، وأن تقف عند حدود الله.

الإعلام مسؤول أيضًا عن الشباب، والمجتمع كله مسؤول عن الشباب، إدارات رعاية الشباب مسؤولة، ماذا تقدم لهذا الشباب؟ وماذا تصنع له، كل هذه مسؤولة، وكلنا مسؤول عن الشباب، إذا كنا نطالب الشباب أن يعاملونا بأدب البنوة فلا بد أن نعاملهم بروح الأبوة، لا بد أن نشعر بأننا مسؤولون، «كلُّكم راع وكلُّكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيته»^(١).

(١) سبق تخريجه ص ١٢٠.

كُلُّكُمْ رَاعٍ، الْجَمِيعُ رَاعُونَ وَالْجَمِيعُ مَسْئُولُونَ، لَا بَدَّ أَنْ نَحَاوِلَ أَنْ نَكُونُ الشَّبَابَ الْمُسْلِمَ الصَّادِقَ الَّذِي يَعْمَلُ بِالْإِسْلَامِ وَيَعْمَلُ لِلْإِسْلَامِ، الَّذِي يَعْتَزُّ بِهَذَا الدِّينِ وَبِالانْتِمَاءِ إِلَيْهِ، وَيَفْخَرُ بِنَسْبَتِهِ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَيَقُولُ مَا قَالَ الْقَائِلُ قَدِيمًا:

أَبِي الْإِسْلَامِ لَا أَبَ لِي سِوَاهُ إِذَا افْتَخَرُوا بِقَيْسٍ أَوْ تَمِيمٍ^(١)

تربية الشباب ليكونوا صورة للإسلام:

وليس مجرد اعتزاز بدون فهم، لكن عليه أن يفهم الإسلام، أن يفقه الإسلام من مصادره الصحيحة، أن يعرف أصول الإسلام وفروعه، وفرائضه ونوافله، ويميز بين الأصل والفرع، ولا يخل بالترتيب الشرعي للأعمال والتكاليف!

وعليه بعد ذلك أن يكون صورة صحيحة للإسلام، أن يرى فيه الناس الإسلام مجسّدًا فيقولوا انظروا ما أجمل أحكام الإسلام، ما أجمل آداب الإسلام، ما أجمل أخلاق الإسلام وهي مجسمة في هذا الشخص.

المسلمون الأوائل إنَّما نصرُوا الإسلامَ بأخلاقهم، انتشر الإسلام في العالم لا بالسيف - كما يقول الأفاكون المفترون - ولكن بأخلاق المسلمين، رأى النَّاسُ المسلمين فأحبوهم، وأحبوا الدينَ الَّذِي حملوه معهم فدخلوا في دين الله أفواجًا، وانتشر الإسلام في العالم.

أن يكونوا دعاة صادقين للإسلام:

ثم على الشباب بعد ذلك أن يكونوا دعاة صادقين لهذا الدين، كل

(١) من شعر نهار بن توسعه الشكري، كما في الكامل في الأدب (٣/١٣٣)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

مسلم داعية، الله تعالى يقول: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، كل من اتبع رسول الله فهو داعية إلى الله!

وكل إنسان يدعو وفق طاقته: هناك من يدعو بتأليف كتاب، وهناك من يدعو بإلقاء محاضرة، وهناك بإلقاء خطبة أو درس، هناك من يدعو بالكلمة الطيبة، بالصحبة الكريمة، بالقدوة الحسنة، كل إنسان عليه أن يدعو: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

التفريط في الشباب هو التفريط في المستقبل:

يا أيها الإخوة: إن علينا واجباً نحو شبابنا، هذا الشباب الذي هو عماد الأمة، هو ذخيرتها، ذخيرة المستقبل، هو الكنز المرصود لهذه الأمة، إذا فرطنا فيه فقد فرطنا في أنفسنا، فرطنا في غدنا، في مستقبلنا، وإذا رعينا شبابنا، وأدينا له حقه فقد صننا أنفسنا وحفظنا أمتنا وعملنا على رعاية مستقبلنا، وهذا هو الواجب على كل منا، واجب علينا أفراداً وآباءً وأمهات، وواجب علينا مدرسين ومعلمين، وواجب علينا إعلاميين، وواجب علينا رعاة للشباب، وواجب علينا مجتمعاً متكاملًا، كما قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، أيها الإخوة المسلمون:

من عجائب المجتمعات الغربية:

من عجيب ما قرأته ما حدث في هذه الأيام في بريطانيا، الدُّنيا ثائرة قامت ولم تقعد، الصحف تتحدث، والإذاعات تتحدث عن أي شيء؟ عن كلب، كلب خوف النَّاس في (حديقة هايدبارك)، لم تضع صاحبه الكمامة على فمه، فكان كلبًا مخيفًا آذى النَّاس حتَّى هربوا منه، اشتكى النَّاس الكلب وصاحبه إلى المحكمة بإعدام هذا الكلب، وهاجت الدُّنيا من أجل الكلب (ديمز) كما يسمونه، ولا أدري معنى (ديمز) يعني إيه! هاج الهائجون، وغضب الغاضبون من أجل حقوق الكلب، وكانت النتيجة بعد أن حكمت المحكمة وفيها المحلّفون وفيها القضاة أن الأمر عرض على مجلس اللوردات البريطاني، مجلس اللوردات هذا مجلس الوجهاء والأعيان والكبار - بجلالة قدره - عرض عليه أمر هذا الكلب، ولكن المجلس لم يستجب لشكوى المرأة، وثبتت حكم المحكمة، ولا تزال الصحف ولا تزال الإذاعات ولا يزال الرأي العام مشغولًا بأمر الكلب، وتدخلت بعض الشخصيات، وقالوا يمكن أن يُخرج الكلب من انجلترا ويذهب إلى بلدة أخرى، إلى فرنسا أو إلى ألمانيا أو إلى كذا! وهناك ممثلة عجوز (بريجيت باردو) قالت: أنا مستعدة أن آوي هذا الكلب وأن أراعاه، وكتبتُ إلى وزير الداخلية البريطاني من أجل إيواء هذا.

هذا هو المجتمع الغربي الذي يُعنى بالكلاب ولكنّه لا يعنى ببني الإنسان، بنو الإنسان يقتلون ويذبحون بالمئات والآلاف، ويشردون

بالملايين في البوسنة والهرسك، في الشيشان، وفي غيرها من البلاد، وهذا الغرب المتحضر لا يبالي بما يصيب الإنسان، ولكنه مشغول كل الشغل بهذا الكلب المدلل، هذا هو الذي يحدث!

أين حضارة حقوق الإنسان؟

أين الحضارة الغربية التي يظنونها حضارة الإنسانيّة، وحضارة الحرية، وحضارة الإخاء، وحضارة الإنسان، وحضارة حقوق الإنسان، أين حقوق الإنسان في هذه الحضارة؟

ليس هناك إلا حقوق الكلاب، وحقوق القطط، في بعض البلاد الغربية توجد عشرات الملايين من القطط والكلاب يؤويها أصحابها، كما قال أحدهم: إنك لا تجد في فرنسا الرجل على منضدة في مطعم فاخر وهو على كرسي وكلبه على الكرسي الآخر، ويمكن أن يحجز في الطائرة كرسيًا له في الدرجة الأولى، وبجانبه كرسي لكلبه.

الرحمة بالحيوان في الإسلام:

هذا هو المجتمع الغربي العجيب، نحن هنا نعجب: الإسلام يرفق بالحيوان، وأول دين جاء بالرفق بالحيوان هو الإسلام، وهو الدين الذي قال: «دخلت امرأة النار في هرة، حبستها حتى ماتت، فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»^(١)، وهو الدين الذي قال: «شكر لرجل سقى كلبًا على شدة ظمأ، فغفر له»، حتى عجب الصحابة وقالوا: «أئن لنا في البهائم لأجرًا يا رسول الله؟ قال: «في كل كبد رطبة أجر»^(٢)،

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٥)، ومسلم في السلام (٢٢٤٢)، عن ابن عمر.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٣)، ومسلم في السلام (٢٢٤٤) عن أبي هريرة.

وهو الدين الذي قال: «اتقوا الله في البهائم المعجمة، فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة»^(١).

إنه دين الرحمة للحيوان والرحمة للإنسان، أمّا أن ترحم الحيوان وتقتل الإنسان أو تعين على قتله أو لا تبالي بقتله وتذبيحه فما هذا من الحضارة في شيء، ولا من الإنسانيّة في شيء، نسأل الله أن يهدينا سواء السبيل.

اللهم أيد إخواننا المسلمين حيثما كانوا، اللهم أيدهم بملأ من جندك، اللهم أمدهم بروح من عندك، اللهم احرس إخواننا المجاهدين بعينك التي لا تنام، واكأهم في كنفك الذي لا يضام، وانصرهم على عدوك وعدوهم.

اللهم انصر إخواننا في الشيشان، وانصر إخواننا في البوسنة والهرسك، وانصر إخواننا في فلسطين، وانصر إخواننا في كشمير، وانصر إخواننا في السودان، وانصر إخواننا في الصومال، وانصر إخواننا في الفلبين، وانصر إخواننا في سائر بلاد الإسلام، وخذ بأيدي الممتحنين والمضطهدين والمشردين في كل مكان، اللهم افتح لهم فتحًا مبيّنًا، واهدهم صراطًا مستقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا.

اللهم عليك باليهود الغادرين، اللهم عليك بالصلبيّين الحاقدين، اللهم عليك بالشيوعيين الجاحدين، اللهم عليك بالوثنيين المتعصبين، اللهم عليك بأعدائك أعداء الدين، اللهم أنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين، اللهم رد عنا كيدهم، وقل حدهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلًا على أحد من عبادك المؤمنين.

(١) رواه أبو داود في الجهاد (٢٥٤٨)، وابن خزيمة في المناسك (٢٥٤٥)، وصحّح إسناده النووي في رياض الصالحين (٩٦٦)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٢٣)، عن سهل ابن الحنظلية.



اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخاف
ولا يرحمنا، ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، اللهم اجعل هذا البلد آمنا
مطمئنا، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك مُحَمَّد، وعلى آله
وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].





النفاق

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:
أحدّثكم اليوم عن ظاهرة من أشدّ الظواهر خطرًا على المجتمعات
كلّها، خاصّةً المجتمع المسلم، هذه الظاهرة هي ظاهرة النفاق.

معنى النفاق:

النفاق: أنْ يختلف سرُّ الإنسان عن علانيته، ويختلف قوله عن فعله،
وتختلف أخلاقه عن دعاويه، ويختلف مدخله عن مخرجه، أن يكون له
وجهان، وربما كان له أوجه عدّة، يلقي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه، وأن
يكون له لسانان، وربما أكثر من لسانين، يتكلم مع هؤلاء بلسانٍ، فإذا خرج
إلى خصومه كلمهم بلسان آخر، يمدح الشيء ويذمّه، ويُطري الإنسان
ويهجوه في الوقت نفسه، أمامه يتكلم بشيء، ووراءه يتكلم بشيء.

النفاق ظاهرة مرضيّة من أخطر الأمراض.

أنواع النفاق:

والنفاق نوعان: نفاق أكبر، ونفاق أصغر.



النفاق الأكبر:

النفاق الأكبر: هو نفاق العقيدة؛ أن يُضمر الإنسان في قلبه الكفر؛ فهو لا يؤمن بالله ولا ملائكته ولا كتبه ولا رسله ولا باليوم الآخر ولا بالقدر خيره وشره، ولكنه يتظاهر بالإسلام، كما كان المنافقون في عهد النبي ﷺ، هم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ٨ - ١٠].

هذا هو النفاق الأكبر، نفاق العقيدة، وهؤلاء هم الذين جاء فيهم قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

هؤلاء هم أصحاب النفاق الأكبر، عبد الله بن أبي بن سلول ومن معه، أولئك الذين كانوا يلقون رسول الله ﷺ بوجه، ويلقون أعداءه من اليهود والمشركين بوجه آخر، ويعتبرون ذلك من المهارة والشطارة، أنهم يضحكون على المسلمين، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٤، ١٥].

النفاق الأصغر:

النفاق الأكبر: هو نفاق العقيدة، ولكن هناك نفاق أصغر، هو نفاق العمل والسلوك، هذا النفاق الذي يظهر على الكثيرين من الناس، وجعل له النبي ﷺ علامات.

علامات النفاق العملي:

من آيات النفاق وعلاماته، أنه «إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوّتمن خان»^(١)، «وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»^(٢).

فهذه من خصال النفاق، من كان فيه شعبة منها كان فيه شعبة من النفاق حتّى يدعها، فهذا منافق كما صح في الحديث: «وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم»^(٣).

النفاق الأصغر قد يؤدي إلى النفاق الأكبر:

هذا النفاق الأصغر قد يؤدي إلى النفاق الأكبر، إذا استكثر الإنسان من خصال النفاق، وأصرّ عليها، وأصبحت خلقاً له، وطابعاً لشخصه، فسرعان ما أدّى هذا النفاق الأصغر إلى النفاق الأكبر، المعاصي تجرّ إلى الكفر، الصغائر تدفع إلى الكبائر، والكبائر تُؤدّي إلى الكفر، والعياذ بالله.

ومن هنا اهتّم القرآن واهتمّت السُنّة بهذا الصنف من الناس، الذين هم أخطر شيء على الشعوب والأمم، هم السوس الذي ينخر في عظامها.

في مطالع سورة البقرة ذكر الله تعالى المؤمنين المتقين في أربع آيات، وذكر الكفار المشركين في آيتين، أمّا المنافقون فذكرهم في ثلاث عشرة آية؛ وذلك لأن الفتنة بهم جسيمة، والبليّة بهم عظيمة.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩) (١٠٧)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٥٩)، ومسلم في الإيمان (٥٨)، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) رواه مسلم في الإيمان (٥٩) (١٠٩).

المنافقون هم الطابور الخامس في الأمة:

فهؤلاء أعداء من داخل الأمة، هم الطابور الخامس، هم الذين يؤخرون مسيرتها، هم الذين يوالون أعداءها، تصور إنساناً مسلماً ومع هذا يوالي أعداء الله ورسوله والمؤمنين، ولاؤه ليس لله، ولكن لغير الله، هو مع منفعتهم، إذا كانت منفعتهم مع الكفار فهو معهم، مع الفجار فهو معهم، حيثما جاءه الكسب، فهو عبد الكسب، عبد الدينار والدرهم، عبد المنصب والجاه، هؤلاء هم الذين قال الله فيهم: ﴿بَشِيرِ الْمُنْفِقِينَ يَا نَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكُفْرَانَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنُغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨، ١٣٩].

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، ولكن هؤلاء يلتمسون العزة عند أهل الدنيا، عند غير الله ورسوله، فيتولون الكفار وأعداء الإسلام، والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

من علامات المنافقين:

١ - التهرب من حكم الله:

من علامات هؤلاء: أنهم يتهربون من حكم الله، ولا ينقادون لشرع الله، إلا إذا كان هذا الشرع مع هواهم ومصالحهم الخاصة، وما عدا ذلك يرفضونه ولا يقبلونه، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنْفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦٠، ٦١].

فهم يتمسكون بالطاغوت، وكل ما عدا الله ورسوله وشرعه طاغوت، وإذا دعوا إلى حكم الله ورسوله صدوا عنك صدودًا، وأعرضوا عنك إعراضًا، ما لم يكن في صالحهم، كما قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ تَوَلَّى فِرْقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فِرْقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُدْعِينَ * أَفِى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٤٧ - ٥١].

الفرق بين المؤمن والمنافق:

وهذا فرق ما بين الصنفين، المؤمنون إذا دُعوا إلى الله ورسوله قالوا: سمعنا وأطعنا.

والمنافقون إذا دُعوا إلى الله ورسوله صدوا عنك صدودًا، هؤلاء هم المنافقون.

٢ - التذبذب والتلؤن:

إنهم مُذبذبون لا يعلنون الكفر بصراحة، كما أعلنه أبو جهل، ولكنهم يتلؤنون تلؤن الحرباء، كما كان عبد الله بن أبي، فهم يمسكون العصا من الوسط، يظهرون للمؤمنين الإيمان والمحبة والولاء، وإذا كانوا مع الكفار أظهروا لهم كذلك المحبة والولاء، ينتظرون نتيجة المعركة مع من تكون، وعلى من تدور الدائرة، ولمن تكون الغلبة، فهم مع الغالب، يقفون بين بين، حتى إذا ظهرت النتيجة قالوا: إنا معكم، كما

قال الله تعالى في وصفهم: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]، وصدق الله العظيم: ﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٣].

المنافق كالشاة الحائرة:

وكما صوّرهم النبي ﷺ في الحديث: «مثل المنافق، كمثل الشاة الحائرة بين الغنمين، تعير إلى هذه مرّة وإلى هذه مرّة»^(١)، الشاة الحائرة: المترددة الحائرة بين القطيعين، أحياناً تكون مع هذا القطيع، وأحياناً تكون مع هذا القطيع، هذا شأن هؤلاء.

٣ - ادّعاء الإصلاح:

والغريب أنّهم على فسادهم وضلالهم كثيراً ما يدّعون الإصلاح، وما يدّعون أنّهم أصحاب مبدأ، وما يدّعون أنّهم مجددون! والله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١، ١٢].

هؤلاء المرضى، هؤلاء المنافقون أخطر شيء على المجتمعات، هؤلاء الذين تُكذّب أعمالهم أقوالهم، وتُكذّب سرائرهم علانيتهم، وتُكذّب أحوالهم دعاويهم، هؤلاء المنافقون هم الخطر على المجتمعات المسلمة.

(١) رواه مسلم في صفات المنافقين (٢٧٨٤)، وأحمد (٥٠٧٩)، عن ابن عمر.

أصناف المنافقين:

هؤلاء المنافقون تراهم في أصناف شتى من الناس:

١ - التزلف إلى الحكام والكبراء:

من هؤلاء من يتقربون إلى الكبراء: الأمراء والحكام، ويحاولون أن يتسللوا إلى هؤلاء؛ ليجعلوا من أنفسهم بطانة سوء، فتراهم في هذا المجلس، وذاك المجلس، وعند هذا الوجيه، ولدى ذلك الغني، كما وصفت هذا النوع الوصولي المنافق:

هَيْهَاتَ يَخْلُو مَجْلِسٌ مِنْ وَجْهِهِ
لَيْنَالٍ مِنْ هَذَا وَيُطْرِي هَذَا!
مَا كَانَ يَوْمًا بَادِلًا أَوْ مُعْطِيًا
مَا عَاشَ إِلَّا سَائِلًا أَحَاذَا!
صَيَّادٌ مَنْفَعَةٌ يُخَدِّرُ صَيْدَهُ
حَتَّى يُصَوِّبُ سَهْمَهُ النَّفَّادَا
يُزْجِي الْمَدِيحَ بِقَدْرِ مَا يَرْجُوهُ مِنْ
نَيْلِ الْمَرْجَى وَابِلًا وَرَذَاذَا
الْهَرُّ يَمْدَحُهُ فَيَغْدُو ضَيْغَمًا
وَالْأَغْيَاءُ نَوَابِغًا أَفَذَاذَا
وَتَرَى الدَّعِيَّ لَدَيْهِ حُجَّةَ عَصْرِهِ
فَاقَ ابْنَ عَبَّاسٍ وَبَرَّ مُعَاذَا
هُوَ فِي رِكَابِكَ مَا ارْتَجَاكَ، فَإِنْ
تُصَبُّ وَلِيَّ مَعَ الْمُتَسَلِّلِينَ لَوْأَذَا

هؤلاء هم المنافقون، بأوجهٍ مُتَلَوِّنة، وألسنٍ مُتَعَدِّدة.

لَا يَسْتَحِي مِنْ مَوْقِفٍ مُتَنَاقِضٍ
وَجْهُ الصَّفِيْقِ يُقَاوِمُ الْفَوْلَاذَا
هُوَ فِي الْيَمِينِ الْيَوْمَ، فِي الْيُسْرَى غَدًا
عَجَلُ الْجَوَابِ إِذَا سَأَلْتَ: لِمَاذَا^(١)؟

اليوم يميني إذا راج اليمين، ثم يكون يساريًا إذا راج اليسار، يلبس لكل حالة لبوسها، مستعد أن يغير نفسه، وأن يغير جلده، في أقل من

(١) انظر ديواننا: المسلمون قادمون ص ١١٠ - ١١٢، قصيدة: وصولي، نشر مكتبة وهبة، القاهرة،

أربع وعشرين ساعة، ينام على فكرة، ثم يصحو في اليوم التالي على فكرة أخرى، يمدح ما كان يذمُّ، ويذمُّ ما كان يمدح، وينكر ما كان يعرف، ويعرف ما كان ينكر.

هذا هو شأن المنافق - والعياذ بالله.

٢ - المرائي بالأعمال:

من هؤلاء أيضًا: مَنْ تراه متعبداً منافقاً، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، زين ظاهره للخلق، ولم يُزيّن باطنه للحقّ، ظاهره عامر، وباطنه خراب، ظاهره (كفر)، وباطنه قبر، أو هو قبر مُزوّق على جيفة منتنة.

هذا الإنسان يتظاهر بالعبادة؛ ليراه الناس، ليقول الناس عنه: متعبد، فهو في الخلوة غيره في الجلوة، وفي السريرة غيره في العلانية، ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

وقد قال النبي ﷺ عن صلاتهم يوماً: «تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان، قام فنقرها أربعاً، لا يذكر الله فيها إلا قليلاً»^(١).

وقد يتظاهر بالخشوع، ولكنه خشوع البدن لا خشوع القلب، وذكر عن بعض الصحابة أنه كان يقول في دعائه: اللهم إنني أعوذ بك من خشوع النفاق.

قيل: وما خشوع النفاق؟

(١) رواه مسلم في الصلاة (٦٢٢)، وأحمد (١٢٩٢٩)، عن أنس.

قال: أن يرى البدن خاشعًا والقلب ليس بخاشع^(١).

أن يرى البدن خاشعًا والقلب ليس بخاشع، فترى المتعبد المنافق. وترى من هؤلاء - أيضًا، العالم المنافق، الذي يتقرب إلى الناس بفتاوى يضللهم بها عن دينهم، فإذا أرادوا شيئًا كان معه، إذا أراد السلطان شيئًا روجه، أيام الاشتراكية يؤيد الاشتراكية، فإذا ذهبت ربح الاشتراكية، هاجم الاشتراكية وأصدر فتاوى ضدها، إذا كانت السلطة ضد الصلح مع إسرائيل، كان الصلح حرامًا ومنكرًا وخيانة لله ولرسوله وللمؤمنين، فإذا أرادت السلطة الصلح قال: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١].

العالم المنافق يفرخ الفتاوى حسب الطلب:

إنه مستعد أن يفرخ الفتاوى حسب الطلب، اتباعًا لهوى السلاطين، وبعض هؤلاء لا يتبع هوى السلاطين، وإنما يتبع هوى جماهير الناس، ماذا يريد الناس، وماذا يروج عندهم، حتى يقال: إنه عالم متمكن متمسك متشدد محافظ، ولهذا يبحث عما يروج في سوق المزايده، فإذا كان المجتمع الذي يعيش فيه متشددًا شدد، وإذا كان المجتمع الذي يعيش فيه متساهلاً سهّل، وإذا انتقل من بلد إلى بلد آخر غير جلده.

جاء أحد الناس إلى هذا البلد، فوقف يهاجم الذين يخرجون صدقة الفطر نقودًا، الذين يخرجونها بالقيمة، وأن هذا باطل، وأن هذا ضد السنة، فلما نزل من المنبر، قال له بعض الحاضرين: يا أخي، إنك تخالف علماء البلدة هنا، علماء البلدة هنا يجيزون ذلك، على مذهب عمر بن عبد العزيز، وعلى مذهب أبي حنيفة، وعلى مذهب عدد من السلف، فلماذا تخالفهم؟

(١) مدارج السالكين (٣٦٥/١).

قال: إنَّهم يقولون ذلك؟

قالوا: نعم.

قال: كنت أحسب أنَّ هذا البلد مثل البلد الفلاني!

وهكذا يزايد في سوق المزايمة.

كما قيل لبعضهم نريد أن تشترك في ندوة في أمر تحديد النسل، قال:
تريدون مؤيداً أم معارضاً؟

هو جاهز بأدلة التأييد، وجاهز بأدلة المعارضة، هؤلاء علماء الدنيا،
وهذا هو النفاق.

٣ - الكاتب المنافق:

ومنهم - أيضاً: من يتجلى في صورة كاتب من الكتاب، الذين
يملؤون أنهار الصحف بالمقالات، ولكن هؤلاء - أيضاً - يروجون السلعة
التي تروج، فإذا لم تنفق هذه السلعة غيروا وأمسكوا بقلم آخر، ولعله
نفس القلم، يكتب ضدَّ ما كان يكتب من قبل، يتحوّل زاوية (١٨٠) درجة
ما بين عشية وضحاها.

هؤلاء يبيعون أقلامهم إلى من يدفع أكثر، من يدفع أكثر أستطيع أن
أمدحه، وأن أطريه، وأن أدبج فيه المقالات، وأن أملأ أنهار الصحف
بالمدائح والإطراءات، هؤلاء نجدهم كثيراً وكثيراً، وكم رأيناهم وقرأنا
لهم، هؤلاء ما يستحون وما يخجلون.

٤ - الشاعر المنافق:

ومنهم - أيضاً: الشاعر الذي يتجلى نفاقه في نشر القصائد، يمدح

تارة ويهجو أخرى، وكثيرًا ما يكون مدحه وهجاؤه على قدر ما يعطى من الممدوح وابلًا أو رذاذًا، هؤلاء رأيناهم وسمعناهم - أيضًا.

منهم هذا الشاعر الذي وقف أمام أحد الحكام قديمًا يقول:

ما شِئْتَ لا ما شاءتِ الأقدارُ فاحكُم فأنْتَ الواحِدُ القَهَّارُ!
فكأنَّما أنتَ النبيُّ مُحَمَّدٌ وكأنَّما أنصارُكُ الأنصارُ^(١)!

خلع عليه صفات الله تبارك وتعالى، وأنكر الأقدار، وجعل مشيئته فوق مشيئة الأقدار.. وكما قال أحد النَّاس من الشعراء حديثًا يصف أحد الزعماء:

أعداءُ ذاتِكَ عُصْبَةٌ في النَّارِ

هذا هو النفاق.

قال أحد الشعراء يصور هذه الأمور في قصيدة له تُسمَّى «جنة النفاق»:

ما دُمتَ في جَنَّةِ النَّفاقِ فاعْدِلْ بساقٍ ومِلْ بساقِ
ولا تقاربُ ولا تباعدُ ودُرْ مع الثورِ في السواقِ
وضاحكِ الشَّمسِ في الدِّياجي وداعِبِ البَدْرَ في المُحاقِ
ولا تُحَقِّقْ ولا تُدَقِّقْ وانسِبْ شامًا إلى عِراقِ
وقلْ كلامًا واعملْ سِوَاهُ واحلِفْ على الإفكِ بالطلاقِ
ولا تصادقْ ولا تخاصمِ واستقبلِ الكُلَّ بالعِناقِ
فكلُّ شيءٍ ككلِّ شيءٍ ما دُمتَ في جَنَّةِ النَّفاقِ^(٢)

(١) من شعر ابن هانئ الأندلسي قاله في المعز لدين الله الفاطمي، انظر: الكامل في التاريخ (٣٠٥/٧).

(٢) من شعر محمَّد مصطفى حمام.



٥ - السياسي المنافق:

ومنهم - أيضًا: السياسي الوصولي الكذاب، إذا رشَّح نفسه لمجلس أو لبرلمان، سرعان ما تجده يتملِّق الناس، ويتقرَّب منهم، ويعدِّهم ويمنيِّهم، وما يعدِّهم الشيطان إلا غرورًا، يعدِّهم بالكلام المعسول، والأمني الحلوة، إذا كانوا من أهل الدين فهو متدين، ويدخل ليصلي، وهو لم يدخل مسجدًا قط، ولعله يصلي بغير وضوء، وإذا كانوا يطالبون بتطبيق الشريعة، فهو من المنادين بتطبيق الشريعة، حتَّى إذا انتهى الأمر، وكان له النجاح، نسي هذا كلَّه، وأصبح إنسانًا آخر، هذا الذي نراه.

٦ - الصديق المنافق:

ومنهم - أيضًا: الصاحب والصديق الذي يكون معك في ساعة الرِّخاء، ولكنه يتنكر لك ساعة الشدَّة، وإنَّما الصديق الحقُّ: هو الذي يكون معك في العسر واليسر، في النعماء والبأساء، بل الصداقة الحقَّة، والأخوة الصادقة، لا تُعرف إلا في الشدائد، كما روي عن علي رضي الله عنه في قصيدة له:

ولا خَيْرَ في وُدِّ امرئٍ مُتَلَوِّنٍ إذا الرِّيحُ مَالَتْ مَالَ حَيْثُ تَمِيلُ
جَوَادُّ إِذَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ أَخْذِ مَالِهِ وعندَ زَوَالِ المَالِ عَنكَ بَخِيلُ
فما أَكْثَرَ الإِخْوَانَ حِينَ تَعُدُّهُمْ ولكنَّهُم في النَّائِبَاتِ قَلِيلُ^(١)

لماذا نتحدَّث عن المنافقين؟

المنافقون ملء الأرض، كثيرون وكثيرون، وإنَّما نتحدَّث عن هؤلاء المنافقين؛ لنكشف أستارهم، كما فعل الله تعالى ورسوله، في القرآن

(١) من شعر الإمام علي بن أبي طالب، انظر: نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار ص ٩٩.

الكريم سور عديدة، سورة البقرة، وسورة النساء، وسورة المائدة، وسورة التوبة، التي سمّاها بعض السلف الفاضحة؛ لأنها تتبعت المنافقين، وكشفت أستارهم، وهتكت أسرارهم، وعزّتهم تمامًا بصفاتهم، جعلت تقول: ومنهم.. ومنهم.. ومنهم: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَكُولُ أُذُنَ لِي وَلَا نَفْتِيَّ إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩].

﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨].

﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ..﴾ [التوبة: ٦١].

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [التوبة: ٧٥].

الأيمان الكاذبة من صفات المنافقين:

أسهل شيء على المنافقين الأيمان الكاذبة، يتخذون من الأيمان درعاً يقيهم: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٢]، ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦٢]، ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦].

أنزل الله سورة خاصة تسمى سورة المنافقين، لماذا؟

أولاً: التحذير والتنبيه:

ليحذر كلُّ منّا على نفسه أن تتسرب إليه خصال النفاق وهو لا يشعر، كما يتسلل الفيروس إلى الجسم، تتسلل هذه الخصال، فيصبح المرء

كذَّابًا إِذَا حَدَّثَ، فَاجْرًا إِذَا خَاصَمَ، غَادِرًا إِذَا عَهَدَ، مَخْلَفًا إِذَا وَعَدَ، خَائِنًا إِذَا ائْتَمَنَ، يَتْرَكُ مِنْ خِصَالِ النِّفَاقِ، الَّتِي جَاءَتْ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، هَذَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْذَرَهُ الْمُسْلِمُ عَلَى نَفْسِهِ.

الصحابه يخافون على أنفسهم من النفاق:

وقد كان الصحابة والتابعون بإحسان يخشون النفاق على أنفسهم، حتَّى قال ابن الخطَّاب لحذيفة - وقد كان صاحب سر رسول الله في المنافقين - : منهم أنا؟

قال: لا، ولن أخبر به أحدًا بعدك^(١).

لا أفتح الباب لكل من سألني في هذا الأمر.

عمر يخاف على نفسه!

وهكذا قال الحسن البصري: ما خافه إلا مؤمن، وما أمنه إلا منافق^(٢).

ويقول ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب الرسول ﷺ، كلهم يخاف النفاق على نفسه^(٣).

فاحذر، مهما كنت عالمًا أو عابدًا احذر، النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافَ عَلَيْكُمْ مَنَافِقَ عَليْمِ اللِّسَانِ»^(٤).

(١) رواه ابن أبي شيبة في الفتن (٣٨٥٤٥).

(٢) رواه الخلال في السُّنَّة (١٦٥٦)، تحقيق عطية الزهراني، نشر دار الراية، الرياض، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

(٣) رواه المروزي في تعظيم قدر الصَّلَاة (٦٨٨)، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، نشر مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط ١، ١٤٠٦هـ.

(٤) رواه أحمد (١٤٣)، وقال مخرَّجوه: إسناده قوي. والبزار (٣٠٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٨٦): رواه البزار وأحمد وأبو يعلى، ورجاله موثقون. عن عمر.

وقال عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: اللهمَّ إِنِّي أعوذ بك من المنافق العليم.
قالوا: يا أمير المؤمنين، كيف يكون منافقًا وعليمًا؟
قال: عالم اللسان جاهل القلب^(١).

علمه على لسانه، لم يتعمق في قلبه، لم يدخل في سويداء هذا القلب.

نعامل المنافقين بحسب ما يظهر لنا منهم:

التحذير من النفاق، نحذره على أنفسنا، ونحذر من المنافقين،
لا نعاملهم معاملة المؤمنين، نعاملهم بحسب ما يظهر لنا منهم،
ولا نسودهم، ولا نوقرهم، وقد قال صلى الله عليه وسلم: « لا تقولوا للمنافق: سيد؛ فإنه إن
يك سيدكم، فقد أسخطتم ربكم وعجل »^(٢).

إذا ساد المنافق في مجتمع، فمعناه اضطراب المعايير وانقلاب
الموازين في هذا المجتمع، قد أسخطتم ربكم وعجل.

في عصرنا منافقون شر من منافقي العصر الأوّل:

وفي عصرنا منافقون شر من منافقي العصر الأوّل، منهم من يحمل
النفاق الأكبر نفسه؛ لأنه لا يؤمن بالله ولا برسوله ولا بشرعه، يتهم
بالإسلام، ويسخر من شريعة الإسلام، وإذا دعوته لتحكيم الشرع، أو
الرجعة إلى الكتاب والسنة سخر منك، وإن كان يريد أن يظلّ متمسكًا
باسم الإسلام؛ ليكسب من وراء ذلك، فلا هو يريحنا من شرّه، ويعلنها

(١) رواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٦٨٣).

(٢) رواه أحمد (٢٢٩٣٩)، وقال مخرّجوه: رجاله ثقات رجال الشيخين. وأبو داود في الأدب

(٤٩٧٧)، عن بريدة الأسلمي.

صراحة كما أعلنها أبو جهل، ولا هو يسلم إسلامًا حقيقيًا، رحم الله ذلك الشاعر الذي قال:

فإمّا أن تكونَ أخي بصدقٍ فأعرفُ منك غثي من سميني
وإلا فاطرحني واتخذني عدوًّا أتقيك وتتقيني^(١)

منافقو العصر الأول كانوا ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، ومنافقو هذا العصر لا يقومون إلى الصلاة، لا كسالى ولا ناشطين، وما انحنت ظهورهم لله يومًا، وما عفروا وجوههم لله يومًا، وما ركعوا لله ركعة، ويدعون أنهم مسلمون.

منافقو العصر الأول كانوا ينفقون وهم كارهون، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤]، ومنافقو اليوم لا ينفقون كارهين ولا غير كارهين، لا يقيمون صلاة، ولا يؤتون زكاة.

هؤلاء منافقو اليوم.

منافقو الأمس كانوا ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، وهؤلاء المنافقون المتبجحون لا يذكرون الله كثيرًا ولا قليلًا، إذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوبهم، ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥]، فعلينا أن نحذر من هؤلاء المنافقين.

(١) من شعر المثقّب العبدى، انظر: عيون الأخبار (٣/٨٩).



ثانيًا: الجهاد:

علينا أن نجاهد هؤلاء المنافقين، وذلك بإقامة الحجّة، بيان الإسلام، بكشف عوار هؤلاء لجماهير المسلمين، كما قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَعْلَظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَدُهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]، جهادهم يكون بكشفهم، وبيان زيفهم، وإقامة الحجّة عليهم، وتحذير الأمة منهم، ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣].

نسأل الله تعالى أن يطهر قلوبنا من النفاق، وأن يطهرنا من خصال النفاق، وأعمال النفاق، ويجعلنا من الذين قال الله فيهم: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٦].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.



الخطبة الثانية

الحمد لله، ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَوِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [غافر: ٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يسبح له ما في السماوات
وما في الأرض، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبينا محمداً عبد الله ورسوله،
البشير النذير والسراج المنير، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله
وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم
الدين.

أمّا بعد:

ورد أنه في يوم الجمعة ساعة إجابة لا يدعو بها عبد مسلم بخير إلا
استجيب له^(١)، ولعلها تكون هذه الساعة.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دُنيانا التي
فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادةً لنا
في كل خير، واجعل الموت راحةً لنا من كل شر.

اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا،
وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب
الآخرة.

(١) سبق تخريجه ص ١٩٤.

اللهمّ طهر أقوالنا من اللغو، وطهر حياتنا من العبث، وطهر أنفسنا من الضعف، وطهر قلوبنا من النفاق، وألستنا من الكذب، وأعيننا من الخيانة، وأعمالنا من الرياء.

اللهمّ كن لنا ولا تكن علينا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا.

اللهمّ انصر إخواننا المجاهدين حيث ما كانوا، وانصر إخواننا في فلسطين، وانصر إخواننا في لبنان، وانصر إخواننا في السودان، وانصر إخواننا في الصومال، وانصر إخواننا في إريتريا، وانصر إخواننا في كشمير، وانصر إخواننا في أفغانستان، وانصر إخواننا في سائر بلاد الإسلام.

اللهمّ انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهمّ أحبط مكرهم، وادرأ عنا شرهم، وقل حدهم، اللهمّ إنني أسألك ألا تجعل لهم سلطاناً على أحدٍ من عبادك المؤمنين.

اللهمّ اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاءً رخاءً، وسائر بلاد المسلمين.
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].
اللهمّ آمين.

وأقم الصلاة، ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

من صفات المنافقين: الكذب

الخطبة الأولى

أما بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

الكذب خلق من أخلاق النفاق:

في الخطبة الماضية تحدثنا عن أدوأ الأذواء، وأخطر الأمراض، مرض النفاق، هذا النفاق الذي هو السوس الذي ينخر في عظام المجتمع، والمنافقون هم أعداء الله، وألدُّ أعداء المؤمنين، واليوم نتحدث عن خلق من أخلاق النفاق، شاع بين النَّاس واستمرَّووه، هذا الخلق هو خلق الكذب.

روى أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ثلاثٌ من كن فيه فهو منافق، وإن صَلَّى وصام وزعم أنه مسلم، إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوْتِمنَّ خان»^(١).

وعن عبد الله بن عمرو، أنه صلى الله عليه وسلم قال: «أربعٌ من كُنَّ فيه كان مُنَافِقًا خَالِصًا، ومن كانت فيه خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ، كانت فيه خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا - وعلى رأس هذه الأربع، الكذب - إذا حدَّث كذب»^(٢).

(١) سبق تخريجه ص ٢٧٨.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٧٨.

لا يجتمع إيمان وكذب:

الكذب خصلة رئيسة من خصال النفاق، وهو مجانِب للإيمان، كما قال أبو بكر رضي الله عنه: أيُّها الناس، إِيَّاكم والكذب؛ فَإِنَّ الكذب مجانِب للإيمان^(١). وقد رُوي في بعض الأحاديث: «يُطَبِّعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخَلَالِ كُلِّهَا، إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ»^(٢).

وفي حديث مرسل: أَيْكون المؤمن جبانًا، يا رسول الله؟ قال: «نعم». قد يكون ضعيف النفس، يخاف ويَجبن من بعض الأشياء.

قيل: يا رسول الله، أَيْكون بخيلًا؟ قال: «نعم». قد يكون شحيح النفس، لا يهون عليه المال إِلَّا بصعوبة. قيل: أَيْكون المؤمن كذابًا؟ قال: «لا»^(٣).

لا يَكون المؤمن كذابًا، والله تعالى يقول في كتابه: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥]، خصوصًا المفتري الذي يَخْتلق الكذب اختلاقًا، يصنع الكذب، لسانه مصنع للكذب، تصدر الكذبة منه فتذهب هنا وهناك، هذا هو المفتري، ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾.

(١) رواه أحمد (١٦)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.
 (٢) رواه أحمد (٢٢١٧٠)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. وابن أبي شيبة في الأدب من مصنفه (٢٦١٢١)، عن أبي أمامة الباهلي.
 (٣) سبق تخريجه ص ٢٢٦.

وقد يبدأ الإنسان بكذبة ثم كذبة ثم أخرى، فيصبح أحد الكذابين - والعياذ بالله.

الصدق يصل بالعبد إلى مرتبة الصديقية:

في حديث ابن مسعود في الصحيح: «عليكم بالصدق؛ فإنَّ الصدق يهدي إلى البرِّ، وإنَّ البر يهدي إلى الجنَّة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرَّى الصدق حتَّى يُكْتَبَ عند الله صديقًا، وإيَّاكم والكذب؛ فإنَّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنَّ الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرَّى الكذب حتَّى يُكْتَبَ عند الله كذابًا»^(١).

من الصديقين الذين هم في المرتبة التالية من النبيين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

الرتبة التالية للنبوَّة هي رتبة الصديقية، بل وصف الله الأنبياء بهذه الصديقية، ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤١]، ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٦].

«ما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق، حتَّى يُكْتَبَ عند الله صديقًا، وإيَّاكم والكذب؛ فإنَّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنَّ الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرَّى الكذب، حتَّى يُكْتَبَ عند الله كذابًا».

نعوذ بالله، ما يزال الرجل يكذب ويتحرَّى الكذب، كذبة تجرُّ إلى كذبة إلى كذبات، حتَّى يُكْتَبَ في سجل الكذابين المفترين - والعياذ

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٩٤)، ومسلم في البرِّ والصلة (٢٦٠٧).

بالله، ويصبح هذا خلقًا وديدًا له، يصبح عليه ويمسي عليه، يصوم عليه ويفطر عليه، يصبح أحلى عنده من العسل، وألذ عنده من المطعم والمشرب، حتى قيل لبعض الكذابين يومًا: ألا تتوب من كذبك؟ قال: لو تغرغرت به، وتطعمت حلاوته، ما أقلعت عنه أبدًا^(١)!

ولهذا قال بعض العلماء: إنَّ الإنسان قد يتوب من الخمر، ويتوب من الزنى، ولكن قلَّما يتوب الكذاب من كذبه، قلَّما يقلع عن كذبه. هذه هي الخطورة.

الصدق أحد أركان العالم وركن بقاءه:

الكذب ضد الصدق، نقيض الصدق، والصدق خلقٌ من أخلاق الإيمان، وهو كما قال الإمام الراغب: «والصدق أجدر أركان بقاء العالم حتى لو توهم مرتفعًا لما صح نظامه وبقاؤه، وهو أصل المحمودات وركن النبوات، ونتيجة التقوى، ولولاه لبطلت أحكام الشرائع.. والاختصاص بالكذب انسلاخ عن الإنسانيَّة، فخصوصية الإنسان النطق، ومن عرف بالكذب لم يعتمد نطقه، ومن لم يعتمد نطقه لم ينفع، وإذا لم ينفع نطقه صار هو والبهيمة سواء، بل يكون شرًّا من البهيمة؛ فإنَّ البهيمة وإن لم تنفع بلسانها فإنَّها لا تضر، والكاذب يضر ولا ينفع»^(٢).

لأن أهم ما ميز الله به الإنسان النطق والبيان، ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿ [الرحمن: ٣، ٤]، فإذا كان بيانه كذبًا، لم يصبح له قيمة، وفقد

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ١٩٦.

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ١٩٣.

النَّاسُ به الثقة، ولم يعد للكلام معنى، ولم يعد للالتزامات والارتباطات معنى، فالصدق أحد أركان العالم وبقاء الدنيا.

أمَّا الكذب فبه خراب العالم، لا يمكن أن يثق النَّاسُ في تعاملهم بعضهم ببعض إلا بالصدق، أمَّا شيوع الكذب فيفسد الحياة على الناس.

الكذب مخالفة الخبر للواقع والاعتقاد أو كلاهما:

الصدق مطابقة الخبر للواقع وللاعتقاد معًا، فإذا خالف الخبر الواقع، أو خالف الاعتقاد وإن كان مطابقًا للواقع، أو خالف كليهما فهو كذب، إذا قال غير الواقع فهو كذاب، وإذا قال الواقع ولكنه غير ما يعتقد، غير ما في نفسه فهو كذاب، ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]، لماذا شهد الله على المنافقين بالكذب، وهم يقولون لرسول الله: إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ، وهذه حقيقة؟

هم كاذبون؛ لأنهم يقولون غير ما يعتقدون، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، فهذا كذب، الذي يُضمَرُ شيئًا ويُظهِرُ شيئًا كذاب وإن قال الحقيقة، إذا قلتَ لإنسان ما هو حقيقٌ به وجديرٌ به، ولكنك تعتقد في نفسك غير ذلك، فأنت كاذب.

الكذب أخص أوصاف المنافقين:

الكذب من خصال النفاق، والكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، الكذاب بغيضٌ إلى الله، الله لا يحب الكاذبين ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَى﴾ [طه: ٦١]، ولهذا وصف الله

المنافقين بالكذب، أخص ما وصف به المنافقون: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة: ١٠]، ﴿ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [المجادلة: ١٤]، ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [التوبة: ٧٧].

الكذاب بغيض إلى الله ورسوله وملائكته وعباده:

الكذاب بغيض إلى الله، بغيض إلى رسول الله ﷺ، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ما كان خلق أبغض إلى أصحاب رسول الله ﷺ من الكذاب، ولقد كان الرجل يكذب عند رسول الله ﷺ الكذبة، فما يزال في نفسه عليه حتى يعلم أنه قد أحدث منها توبة^(١).

يسقط من نفسه لكذبة واحدة يجربها عليه، حتى يعلم أن الله تاب عليه منها.

الكذاب بغيض إلى الله، بغيض إلى رسول الله ﷺ، بغيض إلى الملائكة، بغيض إلى الناس، إلى الخلق، الناس يبغضون الكذاب، ويحتقرونه، ولا يُقيمون له وزناً، ولو صدق يوماً فإنهم لا يصدقونه؛ لأنهم لم يتعودوا منه إلا الكذب، إذا عرف الإنسان بالكذب لم يزل لدى الناس كذاباً وإن كان صادقاً، فهو يسقط من أعين الناس.

شكوى الناس من الكذابين:

طالما شكوا الناس من الكذابين المزيّفين الذين سخروا ألسنتهم التي أعطاهم الله لهم ليقولوا الحق، فسخروها في الكذب والتزييف، حتى يكرههم الناس.

(١) رواه أحمد (٢٥١٨٣)، وقال مخرّجه: إسناده صحيح. وصحّحه الألباني في الصحيحة (٢٠٥٢).

لا حيلة مع الكذاب:

يقول الشاعر:

لي حيلةٌ فيمن يئنُّمٌ وليس في الكذابِ حيلةٌ
من كان يخلقُ ما يقو لُ فحيلتي فيه قليلةٌ^(١)

الإنسان يستطيع أن يتحرز ويتحفظ من المنام، الذي ينقل الكلام من مجلس إلى آخر، ومن شخصٍ إلى آخر، يتقرب به إلى الناس؛ ليفسد العلائق بينهم، ويمزق الروابط، هذا تستطيع أن تتحرز منه، بألا تتكلم أمامه، ولكن كيف تحترس من الكذاب وهو يخلق الكلام اختلاقاً؟

ولهذا يقول الشاعر:

مَنْ كان يخلقُ ما يقو لُ فحيلتي فيه قليلةٌ
الكذاب بغيض إلى الناس، كما أنه بغيض إلى الله وإلى رسله
وإلى ملائكته.

لماذا يكذب الناس؟

لماذا يكذب الناس؟ لماذا يكذب المرء؟

من أجل دنيا، وهل تستحق الدنيا أن يكذب الإنسان من أجلها؟

الكذب لترويج البضاعة:

التاجر الذي يكذب ليروج بضاعته، ما قيمة أن يروج بضاعته ليكسب دراهم ودنانير في هذه الدنيا، ثم يدع هذا كله لورثته وينتقل إلى النار بعد ذلك، ما قيمة هذا كله؟

(١) من شعر أبي بكر القاضي المعروف بابن قريعة، انظر: البداية والنهاية (٣٨٨/١٥).

خصوصًا إذا رَوَّج هذا بالحلف الكاذب، كما قال النبي ﷺ، فعن أبي ذر، عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم» قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات، قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟

قال: «المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»^(١).

الكذب لنيل الوجاهة وتعظيم النفس:

ويكذب الإنسان لينال وجاهة عند الآخرين، فيقول ما ليس بحق، أو يمدحهم بغير ما يستحقونه، يجعل الجبان شجاعًا، والبخيل كريماً، والهَرَّ أسدًا، والحبّة قبة، لماذا؟

لتتقرب إلى الناس، وماذا يغني عنك الناس؟

لا يملكون لك من الله شيئًا، لا يستطيعون أن يزيدوا في رزقك مثقال ذرة، ولا أن يزيدوا في عمرك لحظة واحدة، «ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك»^(٢).

يكذب النَّاس كذلك من أجل أن يعظّموا أنفسهم بشيء، أو يُظهروا أنفسهم على غير حقيقتها، كما قالت أسماء ذات النطاقين رضي الله عنها: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ وقالت: يا رسول الله، إحدانا تتظاهر بأن زوجها يعطيها كذا وكذا؛ لتضار ضرائرها. تقول: إنَّ زوجي أتاني بكذا وأعطاني كذا، وصنع لي كذا، وقال لي كذا. وما صنع لها شيئًا من

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٠٦)، وأحمد (٢١٣١٨).

(٢) رواه أحمد (٢٢٧٠٥)، وقال مخرّجوه: حديث صحيح. وأبو داود في السنة (٤٧٠٠)، عن عبادة بن الصامت.

ذلك، وإنَّما مكايده لضرائرها ومفاخرة، فقال النبي ﷺ: «المتشبع بما لم يعط، كلابس ثوبي زور»^(١)، كالذي يلبس ثوب زور ليس له، بل هو ثوب غيره.

الكذب للفكاهة:

كلُّ أنواع الكذب، أيًّا كانت دوافعه، حتَّى الَّذي يكذب ليضحك القوم، يقول النبي ﷺ: «ويل للذي يحدث القوم، ثمَّ يكذب ليضحكهم ويل له، وويل له»^(٢).

حتى الكذب الفكاهي هذا، النَّاس في أوَّل شهر نيسان، أو شهر أبريل من كل عام يكذب بعضهم على بعض لمجرد الفكاهة، ويتصل بعضهم ببعض حدث كذا وكذا، ولم يحدث شيء، يسمونها: «كذبة أوَّل أبريل». هذه لا أدري منقولة عن أي المجتمعات، هذا كذب.

الناس في عصرنا يقولون الكذب الأبيض، كذب لا يضر أحدًا، ليس هناك ألوان في الكذب، أبيض أسود أحمر أخضر أزرق، الكذب كلُّه حرام.

المواضع التي يُرخص فيها الكذب:

لم يُرخص النبي ﷺ في الكذب إلَّا في مواضع معينة، اقتضتها الضرورة.

الموضع الأوَّل: الكذب في الحرب:

الكذب في الحرب؛ لأنَّ الحرب خدعة.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في النِّكاح (٥٢١٩)، ومسلم في اللباس والزينة (٢١٣٠).

(٢) رواه أحمد (٢٠٠٢١)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الأدب (٤٩٩٠)، والترمذي في الزهد (٢٣١٥)، وحسنه، وكذا الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٩٤٤)، عن معاوية بن حيدة.

لو أن مجاهدًا في حركة المقاومة الإسلامية أمسكت به إسرائيل، وسألته عن المجاهدين، أيقول لهم الصدق؟ والله، إنهم فلانٌ وفلانٌ وفلانٌ. وإنَّ الأسلحة في الموضع الفلاني. مستحيلٌ هذا.

أحيانًا الكذب يكون واجبًا، كما لو طلب ظالم إنسانًا مسلمًا، واختبأ في داره، وجاء يسأله أعندك فلانٌ، أدخل فلانٌ؟ لو قال: نعم، لكان ذلك حرامًا؛ لأنَّه سيتسبب في إراقة دم مسلمٍ على يد هذا الجبار الظالم. أحيانًا يكون الصدق حرامًا، وأحيانًا يكون الكذب جائزًا. الكذب في الحرب.

الموضع الثاني: الكذب لإصلاح ذات البين:

الكذب لإصلاح ذات البين، كما جاء في الحديث عن أم كلثوم بنت عقبة، أنَّها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فينمي خيرًا، أو يقول خيرًا»^(١).

تصوروا الصدق في بعض الأحيان يُذمُّ، صدق النمام مذموم، الذي يسمع كلمة فينقلها بحذافيرها كما سمعها إلى من قيلت في حقِّه، هذا من أكبر الكبائر، ولا يدخل الجنة صاحبه، على حين من يكذب ليصلح بين الناس؛ ليصل المودة بينهم؛ ليصل ما انقطع من الأواصر، هذا ليس بالكذاب.

(١) سبق تخريجه ص ٢١٥.

الموضع الثالث: الكذب في العلاقات الزوجية:

وكذلك جاء في الحديث، كذب الزوجة على زوجها، وكذب الزوج على زوجته، على معنى: لو أن رجلاً سأل امرأته: أتحبيني؟ لا تقول: أكرهك. حتى ولو كانت لا تحبه.

كذلك الزوج مع زوجته، أحياناً المصارحة في مثل هذه الأمور تفسد العلاقة، وكما قال عمر رضي الله عنه: ليس كل البيوت تُبنى على الحب، ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام والأحساب^(١).

في المعارض مندوحة عن الكذب:

وفي المعارض مندوحة عن الكذب، المعارض: أن تُعرض بالشيء دون أن تُصرِّح بالكذب، أن يستخدم الإنسان ذكائه في ألا يكذب كذباً صريحاً إذا اضطر إليه، كما في المثال الذي ذكرناه، لو سأل رجل امرأته: أتحبيني؟

لا تجيب بالإيجاب ولا بالسلب، بل تقول: وأي امرأة لا تحب زوجها. كما فعل أبو بكر رضي الله عنه ليلة الهجرة والنبى صلى الله عليه وسلم معه، سأله رجل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له: من هذا؟

يقول لأبي بكر رضي الله عنه: من هذا الرجل الذي بين يديك؟

فيقول: هذا الرجل يهديني السبيل^(٢).

(١) رواه الخرائطي في مساوئ الأخلاق (١٧٨)، تحقيق مصطفى الشلبي، نشر مكتبة السوادي، جدة، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٢) جزء من حديث رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٩١١)، عن أنس.

وصدق أبو بكر، فكلامه صحيح، الرجل فهم أنه يقصد الدليل الذي يدل على الطريق، وقصد أبي بكر أنه يهديه إلى الله، وإلى الجنة. يستطيع الإنسان أن يتخلص بالمعاريض من الكذب الصريح.

الكذب مراتب ودرجات:

أيها الإخوة:

الكذب كله حرام، ولكن الكذب مراتب ودرجات بعضها فوق بعض.

الكذب في الشهادة من أكبر الكبائر:

فهناك كذب يعتبر من أكبر الكبائر، مثل: الكذب في الشهادة، أن يدعى الإنسان إلى شهادة ليقول الحق، فيجعل الحق باطلاً، ويشهد بالزور، فهذا كما جاء في حديث الصحيحين من أكبر الكبائر: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الإشراف بالله، وعقوق الوالدين»، وكان متكئاً فجلس، ثم قال: «ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور، ألا وقول الزور». قال راوي الحديث أبو بكر: فما زال يكررها حتى قلنا: ليتها ﷺ سكت^(١)؛ إشفافاً عليه ﷺ. وإنما أكد على قول الزور وشهادة الزور، لما فيها من ضياع الحق.

اليمين الكاذبة هي اليمين الغموس:

ومن ذلك الكذب في اليمين، أن يحلف الإنسان بالله كاذباً، وذلك لما في ذلك من استهانة باسم الله العظيم، بلفظ الجلالة، وتلبس على المخاطب وغش له، حيث يظن أنه لا يجترئ مسلم على الحلف بالله كذباً وزوراً، وهذا ما حذر منه النبي ﷺ في كل الأمور.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٥٤)، ومسلم في الإيمان (٨٧).

سمّاها العلماء: اليمين الغموس، اليمين الكاذبة، اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في الإثم في الدنيا، وفي النار في الآخرة.

وما من امرئ يحلف على يمين كاذبة ليقطع بها مال امرئ بغير حق، إلا لقي الله وهو عليه غضبان كما في الحديث «من حلف على يمين يقطع بها مال امرئ مسلم، هو عليها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان»^(١).

ترويج السلعة باليمين الكاذب:

وفي الحديث الصحيح عند مسلم: «ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولهم عذاب أليم». قال أبو ذر: من هم، يا رسول الله؟ لقد خابوا وخسروا.

فكان من هؤلاء الثلاثة: «المنفق سلعته بالحلف الكاذب»^(٢)، الذي ينفق سلعته ويروّجها، والله لقد اشتريتها بكذا، والله إنها أحسن سلعة في السوق، والله لقد بعت منها بكذا وكذا، وهو كاذب في هذا.

المنفق سلعته بالحلف الكاذب، في هذا يقول النبي ﷺ: «الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للبركة»^(٣).

الكذب في الحلف.

الكذب في النسب:

ومن ذلك - أيضًا - الكذب في النسب، أن يدعي الإنسان أنه

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٥٦)، ومسلم في الإيمان (١٣٨)، عن ابن مسعود.

(٢) سبق تخريجه ص ٣٠٢.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في البيوع (٢٠٨٧)، ومسلم في المساقاة (١٦٠٦)، عن أبي هريرة.

ابن فلان وليس أباه، فهذا قد برئ منه رسول الله ﷺ: «من ادعى إلى غير أبيه، وهو يعلم، فالجنة عليه حرام»^(١).

الكذب في الرؤيا:

الكذب في الرؤى، يقول النبي ﷺ: «إِنَّ مَنْ أَفْرَى الْفَرَى - أَي: مَنْ أَكْذَبَ الْكُذْبَ وَأَقْبَحَهُ - أَنْ يَرِي عَيْنِيهِ مَا لَمْ تَرَ»^(٢). كأن يذهب إلى كبير من الناس، ويقول له: لقد رأيتك في المنام، وأنت ترفل في حُلل خُضِر، ورأيت عن يمينك رجلاً قال لي: إِنَّهُ الْخَضِرُ ﷺ، وقال لي: إِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وقال لي كذا وكذا وكذا.

هناك من النَّاس الَّذِينَ يَدَّعُونَ الصَّلَاحَ، يَكْذِبُونَ فِي هَذِهِ الرُّؤْيَى وَالْمَنَامَاتِ؛ لِيُخَدَعُوا خَلَقَ اللَّهُ ﷻ، فَهَذَا مِنْ أَفْرَى الْفَرَى.

الكذب في السياسة:

ومن أشدَّ أنواع الكذب، الكذب في السياسة؛ لأنَّ فيه تضليل الأُمَّة عن حقائق الأمور، وفي حديث أبي هريرة عند مسلم: «ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَزْكِيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»^(٣).

لماذا كان كذب الملوك من هذا النوع؟

(١) متَّفَقٌ عَلَيْهِ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْمَغَازِي (٤٣٢٦)، وَمُسْلِمٌ فِي الْإِيمَانِ (٦٣)، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي التَّعْبِيرِ (٧٠٤٣)، عَنْ ابْنِ عُمَرَ.

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي الْإِيمَانِ (١٠٧)، وَأَحْمَدُ (١٠٢٢٧)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

لأنه يضلّل النَّاسَ عن الحقائق، يتصل الإنسان بالعدو سرا، ويهاجمه علناً، يقول في المؤتمرات شيئاً، ويفعل في السرّ شيئاً.
هذا الكذب من أقبح أنواع الكذب عند الله ﷻ.

الكذب على رسول الله ﷺ:

من أقبح أنواع الكذب عند الله تعالى أيضاً، الكذب على رسول الله ﷺ، يقول النبي ﷺ: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»^(١).

الكذب على رسول الله، يقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل.
وهذا - للأسف - صنعه بعض النَّاس من أعداء الإسلام، وصنعه بعض النَّاس من الجهلة، من المتصوفة وأدعياء الصلاح، اخترعوا أحاديث في فضائل القرآن وفي غير ذلك، قالوا: ليرغبوا بها النَّاس في طاعة الله، يقول بعضهم: إنني رأيت النَّاس قد أعرضوا عن القرآن، وانشغلوا بفقهِ أبي حنيفة ومغازي مُحَمَّد بن إسحاق، فوضعت هذا الحديث حسبة^(٢).

ولما قيل له: إنَّ الرسول ﷺ يقول: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

قال: هذا فيمن كذب عليه، ونحن لم نكذب عليه، وإنَّما كذبنا له!
يعني: كذبنا لمصلحة دينه.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في العلم (١١٠)، ومسلم في المقدمة (٣)، عن أبي هريرة.

(٢) مقدِّمة ابن الصلاح ص ٢٨١، تحقيق عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطي)، نشر دار المعارف.

وهذا عذر أقبح من ذنب؛ لأنه يدّعي أنّ الدين ناقص وهو يكمله، والله تعالى قد أكمل الدين.

الخطر من الأحاديث الموضوعة:

والخطر هنا: أن بعض الناس يروي هذه الأحاديث المكذوبة، بعض الخطباء والوعّاظ والمذكّرين، لا يعرفون الغثّ من السمين، ويعمدون إلى هذه الأحاديث التي فيها غرائب ومبالغات، ليمصمّص الناس شفاههم، ويجتذبوا إعجاب العامّة، وهي كاذبة موضوعة على رسول الله ﷺ، وقد روى الإمام مسلم في مقدمة صحيحه، عن النبي ﷺ: «من حدّث بحديثٍ يرى أنّه كذب، فهو أحد الكاذبين»^(١)، ويقول: «كفى بالمرء كذبًا - وفي رواية: كفى بالمرء إثمًا - أن يُحدّث بكلّ ما سمع»^(٢). لا بدّ أن ينتقي ويختار.

الكذب على الله تعالى:

ومن أقبح أنواع الكذب، الكذب على الله تبارك وتعالى، أن يكذب على الله ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الصف: ٧]، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الأنعام: ٢١].

ومن افتراء الكذب على الله: أن يدّعي الإنسان على الله أنّه أحلّ كذا، وحرّم كذا، وفرض كذا، دون نصّ صحيح صريح سالم من

(١) رواه مسلم في المقدمة (٨/١)، وأحمد (١٨٢٤٠)، والترمذي في العلم (٢٦٦٢)، وقال: حسن صحيح. عن المغيرة بن شعبة.

(٢) رواه مسلم في المقدمة (١٠/١)، وأبو داود في الأدب (٤٩٩٢)، عن أبي هريرة.

المعارضة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وإنما يقول فيما اختلف فيه العلماء: أرجح كذا وكذا. ولا يزعم أن هذا حكم الله ورسوله، إلا ما ثبت بحكم قطعي الثبوت، قطعي الدلالة، وإلا سأله الله يوم القيامة: من أين لك هذا؟

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَكُمْ أَمْرٌ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ [يونس: ٥٩]، ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمْ الْكُذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [النحل: ١١٦].

ومن هذا كان من ورع العلماء علماء السلف، أنهم لا يقولون: هذا حرام. إلا فيما علموا تحريمه من الشرع جزماً، إنما كانوا يقولون: نكره كذا، ولا نحب كذا، ولا نرى كذا. ورعاً منهم أن يتقولوا على الله وعلى رسوله ﷺ.

يتعاضم إثم الكذب باتساع نطاقه وتعاضم ضرره:

الكذب كله حرام، ولكنّه كما قلنا: درجات ومراتب. وكلما شاع الكذب واتسع نطاقه، كان إثم صاحبه أعظم، وقد روى البخاري من حديث سمرة بن جندب، أن النبي ﷺ، رأى رؤيا فيها أشياء كثيرة، ومما رأى في هذه الرؤيا، رجلاً تُشَقُّ أشداقه بكلايب، حتى يسيل دمًا، ثم يعود إلى حالته، ثم يعود إليه من هو موكل بعذابه، فسأل الملكين: ما هذا الرجل الذي يشق شدقه؟ فقيل: هذا الرجل يكذب الكذبة، فتؤخذ منه حتى تبلغ الآفاق^(١).

(١) سبق تخريجه ص ٢٣٣.

من الكذب ترويح الإشاعات:

الكذبة التي تشيع في الناس، هذا يدخل فيه مروجو الإشاعات، الذين يفترون على الناس بالباطل، عندهم قدرة على تطيير الأنباء، مثل وكالات الأنباء في العالم الآن، وما أكثر كذبها بالنسبة للمسلمين، ومثل الصحفيين الذين لا يتحرّون الحقائق، ويتقربون إلى أصحاب الجاه أو السلطان أو الحزب الغالب أو نحو ذلك، ويروّجون الباطل على الناس، لم يعد كذبًا في مجلس، أو في مجموعة صغيرة، وإنما كذب يقرؤه الآلاف، بل ربّما يقرؤه الملايين في بعض البلاد، كلما اتسعت دائرة الكذب كان إثم صاحبه أعظم.

موقف المسلم من الكذب:

فيا أخي المسلم:

إيّاك والكذب، لا تصاحب كذابًا؛ لأنّه يلبّس لك الحقّ بالباطل، ويموّه عليك، ويزيّف عليك ويغشّك، لا تعامل تاجرًا كذابًا؛ لأنّه يريد أن يكسب منك ولو ذهب دينه، لا تستشر كذابًا؛ لأنّه لن يخلص لك النصيحة، لا تعش مع كذاب، لا تكن أنت كذابًا، ابتعد عن الكذب، أيا كان اسمه وصورته، ولو كان في أمر صغير؛ فقد قال النبي ﷺ: «إنّ الكذب يكتب كذبًا حتّى تكتب الكذبة كذبة»^(١).

الكذبة تكتب كذبة.

قالت إحدى النساء لطفل لها: يا عبد الله، تعال أعطك، فقال رسول الله ﷺ: «وما أردت أن تعطيه؟»

(١) رواه أحمد (٢٧٤٧١)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. والطبراني (١٥٥/٢٤)، عن أسماء بنت عميس.

قالت: أعطيه تمرًا.

فقال رسول الله ﷺ: «أما إنك لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة»^(١).

الصدق أربح التجارات:

فاحذروا الكذب، وجانبوا الكذب، وتحروا الصدق، فما يزال الإنسان يصدق ويتحرى الصدق، حتى يُكْتَبَ عند الله صديقًا، وخصوصًا في هذا الزمن، زمن الكذب والنفاق، الذي شاع فيه الكذب في كل شيء، الكذب في التجارة، والكذب في السياسة، والكذب في المعيشة، والكذب في الحياة كلها، هنا يكون الصدق هو أربح التجارات، وأرفع الأخلاق عند الله وعند المؤمنين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) رواه أحمد (١٥٧٠٢)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره. وأبو داود في الأدب (٤٩٩١)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٧٤٨)، عن عبد الله بن عامر.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة:

قضايا المسلمين في العالم كثيرة:

كنت أريد أن أحدثكم في هذه الخطبة الثانية عن بعض قضايا المسلمين، وهي قضايا كثيرة، ومأسِ جَمَّة، يتحيّر الإنسان في أيّ مأساة يتحدث، أيتحدّث في مأساة فلسطين والمسجد الأقصى، الذي يتناسى الآن ويهمل أمره، وهو أصل قضيتنا مع اليهوديّة العالميّة، أم يتحدث في أمر البوسنة والهرسك، هذه المأساة التي فضحت العالم المتحضّر، وفضحت الحضارة الغربيّة التي تزعم أنّها حضارة حقوق الإنسان، وفضحت النظام العالمي الجديد، فضحت ذلك الغرب الذي زعم أنّه أصل الحرية في العالم، الذي يكيل بمكيالين، ويزن بميزانين.

حصار مسجد حضرت بال:

أم أحدثكم عن مأساة إخواننا في الهند وفي كشمير، كشمير التي يحاصر مسجدها منذ أسبوعين، مسجد حضرت بال، بعد أن هُدم المسجد البابري، وقد حدّثتكم عنه في خطبة العام الماضي، على مرأى من المسلمين في العالم ومسمع، ويُقام الآن معبدهم الوثني على أنقاض المسجد الإسلامي، ثمّ الآن يحاصر مسجد حضرت بال، ويُقطع المدد والتموين والماء والكهرباء عن المسلمين هناك، وفيهم الشيوخ والنساء والأطفال، وما زال الأمر جاريًا والعالم الإسلامي يتفرج ويشاهد ويسمع، كأنه ميّت لا حراك به، كأنّهم أصحاب القبور.

فيما أحدثكم - أيها الإخوة، المآسي كثيرة والمصائب جمّة، ولهذا آثرت ألا أتحدث عن شيء من هذا؛ فإن القلوب تتقطع زفرات، والنفوس تذهب حسرات، والأعين تذرف عبرات، ولكن هيهات هيهات، أن نجد من ينهض، من يغار، من يثور لكرامة الإسلام، وحرمات المسلمين، وبيوت الله التي تُهدم، وأبناء الأمة وبناتها التي تُهتك أعراضها، وتُهدد في حياتها، ليس أمامنا إلا الله تبارك وتعالى، نلجأ إليه وندعوه، ونسأله تبارك وتعالى أن يزيل الغمّة، ويفرج الكربة، ولهذا سوف نقنت في هذه الصلاة، في الركعة الثانية، نقنت قنوت النوازل، نقنت لعل الله يستجيب لنا.

اللهمّ إنا نسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى، اللهمّ إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، اللهمّ إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا، اللهمّ استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيمننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا.

اللهمّ انصر الإسلام وأعز المسلمين، وعليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهمّ رد عنا كيدهم، وقلّ حدهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تجعل لهم سبيلاً على أحدٍ من عبادك المؤمنين.

اللهمّ اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاءً رخاءً، وسائر بلاد المسلمين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وباركْ على نبيِّك وعبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *





من صفات المنافقين: الخيانة

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا زلنا نتحدّث عن النفاق، وخصال النفاق، أدواء الأدواء، وأخبث الأمراض، التي تدمّر المجتمعات، لقد تحدّثنا عن خصلة من خصال النفاق وهي الكذب، ونتحدث اليوم عن خصلة أخرى وهي الخيانة.

الخيانة ربع النفاق أو ثلثه:

الخيانة مثل الكذب، أحد أركان النفاق، إمّا ربع النفاق أو ثلثه، في بعض الأحاديث: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً - وذكر منهم - إذا أوّتمن خان»^(١)، وفي حديث آخر: «ثلاث من كن فيه فهو منافق، وإن صلى وصام وزعم أنّه مسلم - وذكر منهم - إذا أوّتمن خان»^(٢)، فخيانة الأمانة من دعائم النفاق ولا شكّ.

(١) سبق تخريجه ص ٢٧٨.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٧٨.

الأمانة من أعظم خصال الإيمان:

ذلك أنّ الأمانة هي: صيانة الإنسان لما أوثمن عليه، لما استُحفظ، لما أخذ عليه العُهد أن يحفظه، وأن يصونه، وألا يمسّه بسوء، وأن يقوم بحقّه، سواء كان أمرًا ماديًا أم أدبيًا.

ومن هنا كانت الأمانة من أعظم خصال الإيمان، وصف الله تعالى المؤمنين المفلحين الذين أورثهم جنة الفردوس: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١]، فكان من قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ٧]، قال بعد ذلك: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨]، الذين يراعون الأمانات والعهود.

الأمانة تشمل كل شيء:

والقرآن كثيرًا ما يذكر الأمانة بصيغة الجمع: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]، إنّها أمانات وليست أمانة واحدة؛ لأنّها تشمل كل شيء، مالك أمانة، بدنك أمانة، حواسك أمانة، سمعك وبصرك ولسانك وشمك، كل حواسك أمانة عندك، عقلك أمانة عندك، علمك أمانة، أولادك أمانة، أسرتك أمانة، منصبك أمانة، مسؤولياتك أمانة، التكاليف كلّها أمانة، الصلاة أمانة، والزكاة أمانة، والصوم أمانة، والحج أمانة، وأوامر الله ونواهيه لك كلها أمانة عندك.

حمل الأمانة ثقيل:

ولهذا كانت الأمانة ثقيلة، صور الله ثقلها وعظمتها حين قال: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، حمل الإنسان أمانة، أمانة التكاليف والمسؤولية وكان عليه أن يرهاها، يراعى هذه الأمانة العظيمة، ولكنه بظلمه وجهله كثيرًا ما فرط في الأمانة وضيعها.

الأمانة دليل الإيمان، وتضييع الأمانة دليل على تضييع الإيمان، ولهذا قال ﷺ: «لا إيمانَ لمن لا أمانةَ له، ولا دينَ لمن لا عهدَ له»^(١).

«لا إيمانَ لمن لا أمانةَ له»، ليس بمؤمن من ضيَّع الأمانة.

وشأن المؤمن أن يحفظ الأمانة ويرعاها، ولا يقابل الخيانة بالخيانة، ففي الحديث: «أدِّ الأمانة لمن ائتمنك، ولا تخن من خانك»^(٢).

الأمانة نعمة عظيمة:

هذه هي الأمانة، من أوتيتها فقد أُوتِي نعمة عظيمة، وغنم غنمًا كبيرًا، ولذلك قال النبي ﷺ - كما روى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «أربعٌ إذا كُنَّ فيكَ فلا عليك ما فاتكَ من الدُّنيا». وذكر من هذه الأربع خصال «صدق الحديث، وحفظ الأمانة»^(٣).

(١) رواه أحمد (١٢٣٨٣)، وقال مخرَّجوه: حديث حسن. وأبو يعلى (٢٨٦٣)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٠٤)، عن أنس.

(٢) رواه أبو داود (٣٥٣٥)، والترمذي (١٢٦٤)، وقال: حسن غريب. والحاكم (٤٦/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في البيوع، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٣٠١٩)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (٦٦٥٢)، وقال مخرَّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والحاكم في الرقاق (٣١٤/٤)، وسكت عنه هو والذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٧٣٣).

أن يرزقك الله حفظ ما أوتمنت عليه، أيًا كان هذا الأمر.

الرسول ﷺ يستعيد بالله من الخيانة:

أمّا الخيانة فبئست الخصلة، ولهذا استعاذ النبي ﷺ منها فقال: «اللهم إني أعوذ بك من الجوع؛ فإنه بئس الضجيع - الذي يضاجع الإنسان ويلازمه - وأعوذ بك من الخيانة؛ فإنها بئست البطانة»^(١)، أي: بئس ما يستبطنه المرء من أمره، كبطانة الثوب الذي يلي جلده، (أعوذ بك من الخيانة؛ فإنها بئست البطانة)، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأَنْفَال: ٥٨]، فلا تكن منهم.

ويخاطب الله رسوله ﷺ بقوله: ﴿وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأُنَبِّدْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأَنْفَال: ٥٨]، إذا كان بينك وبين بعض الكفار عهد وبدت بوادر الخيانة منهم، فانبد إليهم عهدهم وأعلمهم بذلك، ولا تأخذهم على غرّة، حتى تستوي أنت وهم في العلم بهذا الأمر، ﴿فَأُنَبِّدْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾.

وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧]، لا تجادل عنهم، لا تدافع عنهم، لا تكن محامياً للخائنين، ف ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧].

قال تعالى على لسان امرأة العزيز: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢]، لا يصلح أمرهم ولا تدبيرهم، بل يدمر عليهم أمرهم، إن الله لا يهدي كيد الخائنين.

(١) رواه أبو داود في الصلاة (١٥٤٧)، والنسائي في الاستعاذة (٥٤٦٨)، وابن ماجه في الأُطعمة (٣٣٥٤)، وصحح إسناده النووي في رياض الصالحين (١٤٨٥)، وحسنه ابن حجر في نتائج الأفكار (٨٨/٣)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (١٣٨٣)، عن أبي هريرة.



مجالات الخيانة:

الخائنون هم جرثومة الأمم، ومدمرو المجتمعات، والخيانة أنواع:

١ - خيانة في المال:

قد يخون الإنسان في المال، يُؤْتَمَن على المال فيخونه، موظف في الحكومة، أو موظف في مؤسسة أو تُمَن على أمر ولكنه لا يقوم بحق هذه الأمانة، مدير مشتريات لا يأخذ أفضل الأسعار وأرخصها، وإنما من يدفع له، يدفع له رشوة في صورة هدية، أو في صورة عمولة، أو مسؤول عن العقود في مؤسسة.

اليوم خيانة الأموال بالملايين! يأخذون الملايين باسم العمولات، وباسم الهدايا.

هذه خيانة للأمانة.

٢ - خيانة المنصب والمسؤولية:

هناك من يخون في المال، وهناك من يخون في المنصب، في المسؤولية، لا يضع الإنسان المناسب في المكان المناسب، وقد قال الله تعالى على لسان تلك الفتاة الحكيمة: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ آسَتْجَرْتَ الْفَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

ولذلك أخذ العلماء من هذه الآية: أن هناك صفتين أساسيتين لاختيار الرجال للأعمال: القوة والأمانة.

القوة تعني: القدرة على العمل، والخبرة به، والكفاية فيه، والأمانة تعني: أن يكون صاحب خلق وضمير ودين، فيرعى الله في العمل، ولا يسرق، ولا يختلس، ولا يضيع الأمر من أجل مصلحة شخصية له.

واجتماع هذين الأمرين في النَّاس قليل، القوَّة والأمانة، ولذلك كان عمر رضي الله عنه يشكو من ضعف الأمين وخيانة القوي، أو كما عبَّر عنه: عجز الثقة، يشكو إلى الله عجز الثقة وجلد الفاجر^(١).

الثقة الأمين عاجز وضعيف، والفاجر قوي، هذا ما نراه - للأسف!

الطيبون الصالحون ضعاف لا شكيمة لهم ولا قوة، تجد أحدهم في المؤسسة أو الشركة أو الدائرة أو الوزارة ولا حول له ولا طول، والحرامي والإنسان الآخر قويٌّ يدوس مَنْ يقف أمامه، ويفترس بآنيابه ومخالبه، ولا يجد أحدًا يردُّه.

هذا ما تصاب به الأمم، أن يكون الخائن هو المقدم، أن يقدم الأشرار ويؤخَّر الأخيار، أن يُقدِّم الجهَّال على العلماء، أن يرجَّح المحاسيب على الأكفاء.

هذا أسوأ ما تصاب به الأمم.

تقديم العاجز وتأخير القادر نذير بهلاك الأمة:

إذا شاع ذلك في الأمة فقد اقتربت ساعتها، لكل أمة ساعة، فإذا وُضع الأمر في غير أهله فقد دنت ساعة الأمة، روى البخاري: أن رجلاً جاء يسأل النبي صلى الله عليه وسلم: متى الساعة؟

فشغل النبي صلى الله عليه وسلم عنه، فقال الصحابة: لم يسمع ما قال. وقال بعضهم: بل سمع ما قال، فكره ما قال.

فلما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من حديثه قال: «أين السائل عن الساعة؟»

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨/٢٥٤).



فقال: أنا يا رسول الله.

قال: «إذا ضيّعت الأمانة فانتظر الساعة».

قال: وكيف إضاعتها؟

قال: «إذا وُسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»^(١).

إذا وُسد الأمر إلى من هو ليس أهلاً له.

وقد جاء في بعض الأحاديث: «إذا ساد القبيلة فاسقهم، وكان زعيم القوم أرذلهم»^(٢)، أي: شرهم وأسوؤهم.

هذا هو الفساد الذي يقرب ساعة الأمة، يدينها من الهلاك والضياع والدمار. يقول الشاعر:

إذا أنت حمّلت الخؤونَ أمانةً فإنك قد أسندتها شرّ مُسندٍ^(٣)

٣ - خيانة العلم:

قد يخون الإنسان في المسؤولية في منصبه، قد تكون الخيانة في العلم، الخيانة في العلم أشد من الخيانة في المال، أن يوظف العلم لخدمة السلطان، أو في خدمة العوام من الناس؛ هناك من يحاول إرضاء السلاطين، يُفرّخ لهم الفتاوى حسب الطلب، إن أرادوا حلالاً أحلّ، وإن أرادوا حراماً حرّم.

(١) رواه البخاري في العلم (٥٩)، عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٠١، وفيه: «وأطاع الرجل امرأته».

(٣) من شعر عبيد بن الأبرص، انظر: مجاني الأدب في حقائق العرب (٢٣٩/٦)، نشر مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩١٣م.

وهناك من يوظف العلم في خدمة عوام الناس، يرى ماذا يروج عند الناس، فإن كان التشدد رائجاً شدد، وإن كان التساهل رائجاً تساهل. هذا خائنٌ في علمه.

ليس الذي يشدد على الناس دائماً هو الأمين.

لا؛ بعض الناس يكون خائناً لنفسه على حساب ضميره، هو في قرارة نفسه غير مقتنع بما يقول، ولكنه جاء بلداً يتشددون فيتشدد معهم، ويقول: **وَدَارِهِمْ مَا دُمْتَ فِي دَارِهِمْ وَأَرْضِهِمْ مَا دُمْتَ فِي أَرْضِهِمْ^(١)** هكذا نرى بعض الناس!

هذه خيانةٌ للأمانة، خيانةٌ للعلم.

العلم أن يقول الإنسان ما يعتقد، حرام على العالم أن يفتي بخلاف ما يعتقد، أقل ما يطلب منه أن يسكت ولا يقول شيئاً، إذا لم يقل الحق فليسكت عن الباطل.

٤ - خيانة الأسرة:

هناك من يخون المال، هناك من يخون المنصب، هناك من يخون العلم، هناك من يخون أسرته، يخون زوجته، أو تخون زوجها، أو يخون أولاده، لا يقوم بحقهم.

هناك آباء ليس لهم من الأولاد إلا أنهم أنجبوهم، ولا يعرفون عنهم شيئاً، يذهب الأولاد إلى المدارس والأب نائم، ويأتي آخر الليل وأولاده نائمون، فلا يكاد يرى أولاده، أو يوجّههم، فأين الأبوة؟

(١) من شعر ابن فضالة المجاشعي القيرواني، انظر: تاريخ بغداد وذيوله (٦٣/٢٠)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ.



لا يعرف من نجح منهم ومن رسب، هذه خيانة للأمانة.

«إِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلِّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرَعَاهُ، حَفِظَ أَمْ ضَيَّعَ»^(١)، هكذا قال الرسول ﷺ، وقال ﷺ - أيضًا: «كفى بالمرء إثماً أن يَحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوَّتَهُ»^(٢).

وليس تضييع الأولاد ألا تُطعمهم وتكسوهم.

لا؛ بل تضييعهم أن تحرمهم من رعايتك ومسؤوليتك، «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي بَيْتِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(٣).

٥ - خيانة الصديق:

هناك من يخون الأسرة، وهناك من يخون صديقه، يحتاج إليه الصديق في ساعة الشدة، ولكته لا يجد منه إلا الخذلان، نسي ما كان بينهما من قبل، على نحو ما قال الشاعر:

تَخَذْتُكُمْو دَرَعًا وَتَرَسًا لِتَدْفَعُوا نَبَالَ الْعَدَا عَنِّي فَكُنْتُمْ نِصَالَهَا^(٤)

كنتم النصال التي تضربني وتجرحني، لا الدروع التي تحميني.

وقال - أيضًا:

وَإِخْوَانٌ حَسِبْتُهُمْو دَرَوَعًا فَكَانُواهَا وَلَكِنْ لِّلْأَعَادِي
وَخِلْتُهُمْ سِهَامًا صَائِبَاتٍ فَكَانُواهَا وَلَكِنْ فِي فَوَادِي

(١) سبق تخريجه ص ٢٠٢.

(٢) رواه مسلم في الزكاة (٩٩٦)، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) سبق تخريجه ص ٢٠٢.

(٤) ديوان ابن الرومي (٧٣/٣)، شرح أحمد حسن بسج، نشر دار الكتب العلمية، ط ٣، ٢٠٠٢م.

وقالوا: قد سعينا كُلَّ سَعْيٍ فقلتُ: نعم ولكن في فسادي
 وقالوا: قد صفت مِنَّا قلوب فقلتُ: نعم ولكن عن ودادي^(١)
 هؤلاء الخونة، الأصدقاء الخونة، الَّذِينَ يخذلونك ويسلمونك أحوج
 ما تكون إليهم.

٦ - خيانة الوطن:

هناك من يخون وطنه، أرأيتم من يتجسس لحساب أعدائه؟ أرأيتم
 أناسًا يبيعون أوطانهم بالدُّون والعيش الهون؟ أرأيتم الَّذِينَ يسلّمون في
 دارهم وأوطانهم من أجل أن يعيشوا مرفّهين؟

هناك خيانات للأوطان، لم يرعوا الأمانة، لم يرعوا الحقيقة، لم
 يعلنوا عن الحقّ، هذه أشدُّ الخيانات، من يخون وطنه، من يخون شعبه،
 من يخون أمّته، من يعمل لحساب عدوّه، قد يشعر أحيانًا وقد لا يشعر.

٧ - خيانة الدين:

هناك من يخون دينه، من يخون ربه، من يبيع دينه بعرض يسير من
 الدنيا، كما قال النبي ﷺ: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم،
 يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع
 دينه بعرض من الدنيا»^(٢).

يتغيّر ما بين عشية وضحاها، من أمسى مؤمناً أصبح كافراً، ومن
 أصبح مؤمناً أمسى كافراً، في اثنتي عشرة ساعة يغير جلده، ويغير
 توجهه، ويغير عقيدته.

(١) من شعر ابن فضالة المجاشعي القيرواني، انظر: معجم الأدباء (٤/١٨٣٦)، تحقيق إحسان

عباس، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (١١٨)، وأحمد (٨٠٣٠)، عن أبي هريرة.

لماذا؟

يبيع دينه بعرض يسير من الدنيا، خيانة لله ورسوله: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧١]، (خانوا الله من قبل)، ومن خان الله يسهل عليه أن يخون الناس، من خان ربَّ النَّاسِ ليس ببعيدٍ عليه أن يخون الناس، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

الخianات كثيرة، وإذا انطلقت قدم الإنسان إلى نوع منها، فقد يتسلسل الأمر، وينتهي من خيانةٍ إلى خيانةٍ، حتَّى يخون ربّه، ويخون دينه، ويخون وطنه، ويخون أمّته، ويفرط في كلِّ شيء؛ لأنّه لم يعد عنده شيءٌ يعتمد عليه، أو يستند إليه، «فلا إيمان لمن لا أمانة له»^(١).

ما دام قد فقد الإيمان، فماذا بقي عنده؟

ماذا بقي عند هذا الخؤون؟

إنّه لا يبالي بشيء، لا يبالي بعهد، لا يبالي بأسرة، لا يبالي بصدقة.

٨ - خيانة السر:

وكذلك لا يبالي بسرّ أوْثمن عليه، حتَّى السر إذا أوْثمت عليه لا يجوز لك أن تُفشيّه، وفي الحديث: «إذا حدّث الرجل حديثاً، فالتفت فهي أمانة»^(٢).

(١) سبق تخريجه ص ٣١٩.

(٢) رواه أحمد (١٥٠٦٢)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره. وأبو داود في الأدب (٤٨٦٨)، والترمذي في البرّ والصلّة (١٩٥٩)، وقال: حسن. وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٩٠)، عن جابر بن عبد الله.

إذا حدّثك إنسان بحديث والتفت يميناً وشمالاً، معناه أنّه لا يريد لأحد أن يستمع لك، حتّى لو لم يقل: احذر أن تفشي هذا الحديث. مجرد التفاته وخوفه من أن يراه أحد، أو يسمع هذا الكلام، دليل على أنّ هذا سرٌّ ينبغي أن يُصان.

من الخيانات خيانة الحواس:

الأمانة خصلة من خصال الإيمان، والخيانة خصلة من خصال النفاق، خيانة المال، خيانة العلم، خيانة اليد، خيانة اللسان، أو خيانة العين، بأيّ حاسةٍ أو بأيّ عضو كانت خيانتك فهي خيانة.

٩ - خيانة اليد:

قد تخون اليد، فتمتد إلى ما ليس لها، تلك يد خائنة، ولهذا قد يقرر الشرع القطع لها، إذا أخذت ما ليس لها خفية، واستوفت الشروط، وانتفت الشبهات، قُطعت هذه اليد، لماذا؟

لأنّها خانت، ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]، قال بعض الزائغين: إنّ الشرع قدّر الدية بخمسمائة ناقة، أو خمسمائة دينار ذهباً، فكيف يقطعها في ربع دينار إذا سرقت؟!

كما قال أحدهم:

يدٌ بخمسٍ مئتين عَسَجِدٍ وُديتُ ما بالها قُطعتُ في رُبعِ دينارٍ؟
تناقضُ ما لنا إلّا السكوتُ له وأنْ نَعُوذَ بمولانا من النَّارِ^(١)

(١) من شعر أبي العلاء المعري. انظر: سير أعلام النبلاء (٣١/١٨)، تحقيق مجموعة بإشراف شعيب الأرنؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.



فأجابه عبد الوهاب المالكي بقوله:

عِزُّ الأمانةِ أغلاها وأرخصها ذُلُّ الخيانةِ فافهم حكمةَ الباري^(١)

لَمَّا كانت أمانة كانت ثمينة، فلما خانت هانت، فكانت ديتها خمسين ناقة أو خمسمائة دينار، فلما خانت هانت وقطعت، الخيانة أنقصتها فلم تعد لها قيمة.

إذا فاتت العقوبة في الدنيا فلن تفت في الآخرة:

وإذا لم تقطع هذه اليد في الدنيا، فإنَّ العقاب ينتظرها في الآخرة، كما قال ابن مسعود: القتل في سبيل الله يكفر الخطايا كلها يوم القيامة إلا الدين، يُؤتى بالرجل يوم القيامة، وإن قتل في سبيل الله، فيقال له: أدِّ أمانتك، فيقول: يا رب، لا أقدر عليها، قد ذهبت عني الدنيا. فيقول: انطلقوا به إلى الهاوية، فبئست الأم، وبئست المربية. فيلقى فيها فيهوي حتى يبلغ قعرها. قال: ويمثل معه أمانته فيحتملها ثم يصعد، حتى إذا رأى أنه ناج زلت منه فهوت وهوى معها أبداً.

قال: والأمانة في كل شيء، في الوضوء، والصيام، والغسل من الجنابة، وأشد من ذلك الودائع.

قال زاذان: فلقيت البراء بن عازب فقلت له: ألا تسمع ما قال أخوك عبد الله بن مسعود فأخبرته بقوله، فقال: صدق، ألم تسمع الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]^(٢).

(١) القاضي عبد الوهاب المالكي، كما في جواهر الدرر في حل ألفاظ المختصر (١٨٤/٨، ١٨٥)، تحقيق د. أبو الحسن ونوري حسن حامد المسلاتي، نشر دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

(٢) رواه الطبراني (٢١٩/١٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٠١/٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٥١٥): رواه الطبراني ورجاله ثقات. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤١٣٠).

خيانة اللسان:

خيانة الأمانة قد تكون خيانة باليد، وخيانة باللسان، بأن يقول الإنسان بلسانه غير الحق، يقول غير الحق، يتكلم زورًا، يشهد كذبًا، يمدح من يستحق الذم، ويذم من يستحق المدح، هذه خيانة اللسان.

خيانة الأعين:

وهناك خيانة العين، أن يختلس بعينه نظرات لا تحل له، ينظر إلى عورات مستورة ينبغي ألا تكشف، ينظر إلى ما لا يحل له النظر إليه، والله تعالى يقول: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

علامات الساعة المتعلقة بالأمانة:

وهناك علامات للساعة متعلقة بالأمانة، وهي:

من علامات الساعة شيوع الخيانة، كما رأينا في الحديث: «إذا ضيَّعت الأمانة فانتظر الساعة»^(١).

شيوع الخيانة حين تُرفع الأمانة من قلوب الرجال، حتى جاء في الحديث الصحيح الذي رواه حذيفة رضي الله عنه: «ينام الرجلُ النومة، فتقبضُ الأمانة من قلبه، فيظلُّ أثرها مثل أثر الوكتِ، ثمَّ ينام النومة فتقبضُ فيبقى أثرها مثل المجلِّ، كجمرٍ دحرجته على رِجلكَ فنفظ، فتراه مُنتبرًا، وليس فيه شيء، فيصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحدٌ يؤدِّي الأمانة، فيقال: إنَّ في بني فلانٍ رجلًا أمينًا، ويقال للرجل: ما أعقله! وما أظرفه! وما أجلدَه! وما في قلبه مثقال حَبَّة خردلٍ من إيمان»، ولقد أتى علي زمان وما أبالي

(١) سبق تخريجه ص ٣٢٣.

أيكم بايعت، لئن كان مسلماً رده علي الإسلام، وإن كان نصرانياً رده علي ساعيه، فأما اليوم: فما كنت أباع إلا فلاناً وفلاناً^(١)!

تنقلب المعايير، وتفسد المقاييس، فيقاس الإنسان بظرافته، بما يصدر من نكات، بطلاوة كلامه، وحلاوة لسانه. ويقال: ما أظرفه ما أعقله ما أجلده، وما في قلبه حبة من خردل من إيمان!

الأمانة الأمانة، شرُّ ما يُصاب به مجتمع أن يفقد الأمانة، وأن تزيد فيه الخيانة، فلا يوضع أمر في موضعه، وشرُّ من ذلك: أن يُؤتمن الخائن ويخون الأمين.

هذا - أيضاً - من علامات الساعة، التي جاء بها الحديث، «قبل الساعة سنون خداعة» كما قال ﷺ، خداعة، تخدع ببريقها، حياة فيها بريق، ولكن ليس وراءها شيء، أخبر عنها النبي ﷺ فقال: «يُصدَّق فيها الكاذب، وَيُكذَّب فيها الصادق، وَيُؤتمن فيها الخائن، وَيُخون فيها الأمين، وينطق فيها الرُّويضة».

قيل: وما الرُّويضةُ يا رسول الله؟

قال: «السفيه يتكلم في أمر العامة»^(٢).

الأمر العامة بالذات يتكلم فيها السفيه، يتكلم فيها التافه الذي لا عقل له، ولا علم له، ولا وزن له، ومع هذا يتحدث في أخطر الأمور! هذه من علامات الساعة.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٩٧)، ومسلم في الإيمان (١٤٣).

(٢) رواه أحمد (٧٩١٢)، وقال مخرجه: حسن. وابن ماجه (٤٠٣٦)، والحاكم (٥١٢/٤)، وصححه، ووافقه الذهبي، كلاهما في الفتن، وصححه الألباني في الصحيحة (١٨٨٧)، عن أبي هريرة.



من علامات الساعة أنّ المجتمع لم يعد يستحق البقاء، فعلى الدُّنيا السلام، وعلى الدُّنيا العفاء، إذا ذهب الأمان وكثر الخائنون.
اللهمّ إنا نعوذ بك من الخيانة؛ فإنّها بئست البطانة، ونعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق.
اللهمّ آمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنّهُ هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



من صفات المنافقين: الغدر في العهد

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

لا زلنا نتحدّث عن النفاق وخصاله، الّذي حدّر منه القرآن، وحدّرت منه السُّنّة، وحدّر منه صالحو هذه الأُمَّة، وجاء في أصول النفاق: «إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوّتمن خان»^(١)، «وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»^(٢).

الغدر لازم النفاق والوفاء لازم الإيمان:

هذه خصلة من خصال النفاق، إذا عاهد غدر، نقض العهد ولم يوفّ به، ولم يحترم عهداً ولا كلمة، هو عبد مصلحته، وأسير منفعتة الخاصّة، فلا يحترم العهود ولا المواثيق. هذه من خصال أهل النفاق.

أمّا المؤمنون فإنّهم إذا عاهدوا وفّوا، كما أنّهم إذا حدّثوا صدقوا، وإذا

(١) سبق تخريجه ص ٢٧٨.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٧٨.

أَوْتَمَنُوا أَدْوَا، وَإِذَا وَعَدُوا أَنْجَزُوا، وصف الله المؤمنين بقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨]، أي: يراعون ويحفظون العهود والأمانات.

تكرر هذا في القرآن مرتين، وقرن بين رعاية الأمانة ورعاية العهد؛ لأنَّ الغادر خائن، والخائن غادر، من غدر بك فقد خانك، ومن خانك فقد غدر بك، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾.

ووصف الله أهل البر والتقوى فكان من أوصافهم: ﴿وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

كما مدح الله أولي الألباب الذين وعدهم بجنات يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب، وصف هؤلاء بقوله: ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ أَوْلَؤُا الْأَلْبَابِ﴾ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿ [الرعد: ١٩، ٢٠].

في حين وصف المنافقين والفاسقين والكفرة الفاجرين بأنهم لا يراعون عهداً ولا ذمّة، ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَاذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: ١٠].

إذا عاهدوا فإنهم لا يؤفون أبداً، هذا شأن هؤلاء، ولو أنهم وثقوا عهدهم بأوثق الأيمان وأغلظها، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧]، ﴿يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، يعطي العهد باسم الله، ويوثقه باليمين بالله، ومع

هذا يبيع هذا كله بثمان بخس، بدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، بثمان قليل، والدنيا كلها ثمن قليل، ولهذا يقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لِّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٩٥].

المنافقون لا عهد لهم ولا ذمة:

المنافقون لا عهد لهم ولا ذمة، يقول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ إِلَّا الْأَذْبُرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ [الأحزاب: ١٥].

في غزوة الخندق ظهر نفاق المنافقين، وزيف الزائفين، الذين كانوا يدعون الإيمان، ويقولون: لنفعلن كذا.. وكذا.. حين نواجه المشركين، فلما جاء المشركون وحاصروا المدينة بدأوا يقولون: ﴿إِنَّ يَوْمَنَا عَوْرَةٌ وَمَاهِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣].

ويقول أحدهم: إنَّ محمداً كان يعدنا ممالك كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يذهب إلى الخلاء ليقضي حاجته وحده^(١).

﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ إِلَّا الْأَذْبُرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾، شأن هؤلاء أنهم لا يوفون بعهد، ولهذا لعن الله هؤلاء الناكثين فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥]، المنافقون والكفار لا عهد لهم ولا ذمة، يعاهدون ويغدرون.

أمَّا المؤمنون فهم يعاهدون ويوفون، يوفون فيما كان بينهم وبين الله من عهود.

(١) رواه ابن أبي حاتم في التفسير (١٧٦١٢)، تحقيق أسعد محمد الطيب، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط ٣، ١٤١٩هـ.

عهد الله أولى بالوفاء:

هناك عهد عام بين الله وبين عباده جميعاً: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَن أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦٠، ٦١]، هذا عهد عام بين الله وبين عباده، غرسه في فطرهم، وركزه في عقولهم، حينما غرس التوحيد في نفوسهم، ف«كل مولود يولد على الفطرة»^(١).

وهذا معنى أخذ العهد عليهم من قديم، ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَنُهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢، ١٧٣]، ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾، هل حدثت هذه المقابلة؟ أم هذا تصوير لما وضعه الله من دلائل بيّنة على التوحيد، وما غرسه في النفوس، وفي فطرة العباد من التوحيد والإيمان؟

المهم أن هذا عهد عام، وعلى الناس جميعاً أن يوفوا بهذا العهد، أن يعبدوا الله، ولا يعبدوا الشيطان، فإذا وفوا بعهدهم مع الله، وفى الله لهم بعده، ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَآرْهَبُونَ﴾ [البقرة: ٤٠].

أمّا من نقض عهده مع الله، فليس له عند الله عهد ولا ذمّة، من عاهد الله عهداً خاصاً فيما بينه وبين ربه فعليه أن يوفيه، ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١]، ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٣٥٨)، ومسلم في القدر (٢٦٥٨)، عن أبي هريرة.

العهد مع الله خاص وعام:

ونسبة العهد إلى الله تعني أحد أمرين، كلاهما صحيح: العهد الذي بينك وبين الله خاصة، والعهود التي بينك وبين الله، إذا وثقتها بالله، وبيمين الله، وبرقابة الله، وجعلت الله عليك شهيداً وكفياً، فهذا عهد الله.

من عاهد الله على شيء فعليه أن ينفذه، سواء كان هذا بذل نفس في الجهاد، أو بذل مال في سبيل الله، ولا يكون كأولئك المنافقين الذين حدثنا الله عن بعضهم في سورة التوبة، السورة التي فضحت المنافقين، ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنِ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [التوبة: ٧٥]، يا رب أعطني مالاً، وسأفعل كذا.. وكذا.. سأبني المساجد والمدارس والمنشآت، وأعين المجاهدين في سبيل الله، وأفعل.. وأفعل.. حتى إذا جرى المال في يديه نكث عهده مع الله، وغلب عليه حبُّ الدنيا وحبُّ الذات وشحُّ الأنفس، ﴿وَأَحْضَرْتَ الْأَنْفُسَ الشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨]، ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنِ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥ - ٧٧]، هؤلاء هم الكذبة على الله، الذين عاهدوا الله ثم نكثوا العهد مع الله وعكفوا.

النذر مع كراهته واجب الوفاء:

إذا عاهدت الله، سواء كان هذا في صورة عهد، أو في صورة نذر، كأن نذرت لله لتفعلن كذا.. وكذا.. فلا بد أن توفي بنذرك. وإن كان

العلماء لا يستحبون النذر، كما ورد في الحديث الصحيح: «إِنَّ النَّذْرَ لَا يُقَدَّمُ شَيْئًا وَلَا يُؤَخَّرُ، وَإِنَّمَا يَسْتَخْرَجُ بِالنَّذْرِ مِنَ الْبَخِيلِ»^(١).

القدر نافذ، ولكن البخيل لا يعمل شيئًا إلا بمقابل، فهو يقول: لئن شفى الله مريضني لأفعلنّ كذا.. وكذا.. لئن نجح ولدي لأفعلنّ كذا.. وكذا.. كلُّ شيء بمقابل عنده، هذا النذر فيه شيء من الكراهية؛ لأن فيه نوع من المعاوضة والمشاركة بينه وبين الله، والمطلوب من الإنسان أن يفعل لله بدون مقابل، فنعمة الله عليه غامرة.

ثم من ناحية أخرى: إِنَّ النَّذْرَ يُضَيِّقُ عَلَى نَفْسِهِ مَا وَسَّعَ اللَّهُ، وَيُلْزِمُ نَفْسَهُ بِمَا لَمْ يُلْزِمَهُ اللَّهُ بِهِ، كَانَ فِي سَعَةٍ حَتَّى نَذَرَ، فَإِذَا نَذَرَ فَلْيُوفِّ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩]، ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

إذا عاهدت الله، فلا بدّ أن تُوفِّي، كما فعل أولئك الرجال الصادقون من الصحابة - رضوان الله عليهم - من الأنصار، كأنس بن النضر، فاته شرف الجهاد في بدر، فصار نادماً على ما فاته من الخير. حتّى قال: أوّل مشهد شهده النبي ﷺ مع المشركين أغيب عنه! لئن الله أشهدني قتال المشركين، ليرين الله ما أصنع.

هذا عهد بينه وبين الله، فلمّا كان يوم أحد، دخل المعركة، وقابله سعد بن معاذ فقال: «يا سعد بن معاذ، الجنة وربّ النّضر، إنّي أجد ريحها من دون أحد» ثمّ قاتل.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأيمان والنذور (٦٦٩٢)، ومسلم في النذر (١٦٣٩)، عن

فلما انكشف المسلمون في الجولة الأولى، وولّى من ولّى منهم نظر إلى المسلمين وقال: اللهم إني أعتذر إليك ممّا صنع هؤلاء. ونظر إلى المشركين وقال: وأبرأ إليك ممّا صنع هؤلاء. ثمّ ما زال يقاتل، حتّى قال سعد: ما قدر أحدنا أن يصنع مثل ما صنع. حتّى قُتل رضي الله عنه، فامتلاً جسمه بالجراحات، بضعةً وثمانين جراحة، ما بين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، حتّى قالت أخته: ما عرفته إلاّ بينانه. علامة في طرف أحد أصابعه، من كثرة الجراحات التي شوّحت جسده.

قال ابن أخيه أنس بن مالك: كنّا نرى أنّه قد نزل فيه وفي أصحابه قول الله تعالى: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣] ^(١).

معنى الوفاء بعهد الله:

أول الوفاء: أن توفي عهدك مع الله عز وجل، فتمثّل لأمره، وتجنب نهيه، وتقوم بحقّ «لا إله إلاّ الله» عليك، كلمة التوحيد، هذا هو الوفاء الأول. كما فعل إبراهيم عليه السلام حينما عاهد الله عز وجل أن لا يسأل مخلوقاً شيئاً، فلما قُذِف في النار وأتاه جبريل فقال: ألك حاجة؟ قال: أمّا إليك فلا. فأثنى الله تعالى عليه فقال: ﴿وإبراهيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: ٣٧] ^(٢).

وفّ بعهدك مع الناس:

وفّ بعهدك مع الله، ثمّ وفّ بعهدك مع الناس، الحياة الزوجية عهد بينك وبين زوجك، سمّى الله هذا العهد: ﴿مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾، وهي نفس

(١) رواه البخاري في الجهاد والسّير (٢٨٠٥)، عن أنس.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٤٦٧/١٨)، من طريق معتمر بن سليمان التيمي، عن بعض الصحابة موقوفا عليهم. تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

الكلمة التي وصف الله بها ميثاق النبوة، قال الله عن النبيين: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧]، وقال في الحياة الزوجية: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَبَدَّالَ زَوْجَ مَكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذتَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢٠، ٢١]، لا يجوز أن تظلم زوجتك وتأخذ مالها بغير حق، قد أخذت منك ميثاقًا غليظًا، وعهدًا موثقًا متينًا.

العقود التي بين الناس بعضهم وبعض، عقود البيع والشراء، والإجارة وغيرها هذه العقود يجب أن تحترم، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، بل إن الإسلام يحترم الاتفاقات المبدئية، قبل أن يتم العقد، ويقع الإيجاب والقبول، فبمجرد التراضي الأولي يجب أن يُحترم هذا، ولذلك قال النبي ﷺ: «لا يخطب الرجل على خطبة أخيه، ولا يسوم على سؤم أخيه»^(١). فكيف بالعقود إذا أبرمت؟!

قصة نادرة في الوفاء:

﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾، إذا عقدت عقدًا فيجب أن تحترمه، هذا هو منطق الإسلام، وقد حكى لنا النبي ﷺ، عن «رجل ممن كان قبلنا، استسلف من رجل ألف دينار، فقال له الرجل: ائتني بالشهداء أشهدهم. فقال: كفى بالله شهيدًا. قال: فأتني بالكفيل. قال: كفى بالله كفيلاً. قال: صدقت. فدفعتها إليه إلى أجل مسمى.

(١) رواه مسلم في النكاح (١٤٠٨)، وأحمد (١٠٦٠٤)، عن أبي هريرة.

فلما جاء الأجل المحدد لسداد ذلك الدين، التمس الرجل مركبًا فلم يجد مركبًا، فأخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم قال: اللهم إنك تعلم أنني كنت تسلفت فلانًا ألف دينار، فسألني كفيلاً، فقلت: كفى بالله كفيلاً، فرضي بك، وسألني شهيداً، فقلت: كفى بالله شهيداً، فرضي بك، وقد جاء موعد الوفاء فلم أجد مركبًا، وإنني أستودعكها.

ثم رمى بها في البحر.

وبينما الرجل على شاطئ البحر ينتظره، إذا به يجد خشبة، فأخذها لأهله حطبًا، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ولكن الرجل لم يطمئن لوصول الخشبة، فاستحضر ألفاً أخرى، وركب إليه، فقال له: والله ما زلت جاهداً في طلب مركب لآتيك بمالك، فلم أجد.

فقال له: هل كنت بعثت إلي بشيء؟

قال: أخبرك أنني لم أجد مركبًا قبل الذي جئت فيه.

قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة، إنك استودعتها لله، والله تعالى إذا استودع شيئاً حفظه، فهو لا تضيع عنده الودائع، ارجع بمالك راشداً^(١).

هكذا، هذا هو الوفاء.

الوفاء في الناس نادر:

العقود يجب أن تُحترم، كلُّ ما بين الناس من عقود وعهود، بعضها قد يكون مكتوبًا، وبعضها قد لا يكون مكتوبًا، كالعهد الذي بينك وبين

(١) رواه البخاري في الحوالات (٢٢٩١)، وأحمد (٨٥٨٧)، عن أبي هريرة.

صديقك، ليس هناك وثيقة مكتوبة بينك وبينه، ولكن هناك عهداً غير مقروء ولا منظور، فإذا خانك هذا الصديق، وغدر بك وقت الضيق، فهذا هو الغدر الذي شكا الناس منه من قديم، أنه قلماً يوجد الصديق الوفي، الخليل الوفي، حتى اعتبر الناس هذا من ثالث المستحيلات، كما يقول الشاعر:

لَمَّا رَأَيْتُ بَنِي الزَّمَانِ وَمَا بِهِمْ خِلٌّ وَفِيٍّ لِلشَّدَائِدِ أَصْطَفِي
أَيَقْنْتُ أَنَّ الْمُسْتَحِيلَ ثَلَاثَةٌ الْغَوْلُ وَالْعَنْقَاءُ وَالْخِلُّ الْوَفِيُّ^(١)

وقال آخر:

إِذَا قِيلَ: فِي الدُّنْيَا جَوَادٌ؟ فَقُلْ: نَعَمْ جَوَادٌ رُكُوبٌ لَا جَوَادٌ عَطَاءٍ
وَإِنْ قِيلَ: فِي الدُّنْيَا خَلِيلٌ؟ فَقُلْ: نَعَمْ خَلِيلٌ اسْمٌ شَخْصٍ لَا خَلِيلٌ وَفَاءٍ^(٢)

لكثرة الغدر بين الناس بعضهم وبعض، هناك من يبيعك بأدنى شيء، هناك من يبيع صديقه ويغدر به، من يبيع أهله، من يبيع وطنه بأدنى شيء، يفرط في وطنه، ويفرط في دماء الشهداء، ويفرط في أعز ما يحرص عليه الناس، هذا هو الغدر، وتلك هي الخيانة.

رعاية عهد غير المسلمين:

العهود يجب أن تحترم، ولو كانت بينك وبين كافر مشرك، القرآن يقول: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]، ويقول: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧]، هذا من التقوى.

(١) انظر: ديوان صفي الدين الحلي ص ٥٦٨، نشر دار صادر، بيروت.

(٢) السحر الحلال في الحكم والأمثال ص ٣، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

رعاية العهود بيننا وبين غيرنا، هذا ما جاء به الإسلام، ليس كما يفعل الآخرون الذين يقولون: إنَّ المعاهدات حُجَّة القوي على الضعيف، أي أنَّ القوي يتَّخذ من المعاهدة حُجَّة له على الضعيف، أمَّا حينما لا تكون له في المعاهدة مصلحة، فإنَّه يركلها بقدميه ولا يبالي بها.

لا؛ الإسلام يرضى العهود مع الأقوياء ومع الضعفاء، حينما عقد النبي ﷺ صلح الحديبية مع المشركين، وكان من ضمن بنود هذا العهد: أن من جاء من المشركين إلى رسول الله ﷺ يرُدُّه النبي ﷺ إليهم، ومن جاء من المسلمين إلى المشركين لا يرُدُّونه إلى النبي ﷺ.

فلم يكذ النبي ﷺ يمضي العهد حتَّى جاء أبو جندل إلى رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: «إنا لم نقض الكتاب بعد».

قال: فوالله إذن لم أصالحك على شيء أبدًا.

قال النبي ﷺ: «فأجزه لي».

قال: ما أنا بمجيزه لك.

قال: «بلى فافعل».

قال: ما أنا بفاعل^(١).

فوفى لهم رسول الله رغم أنَّه لم يكتب العهد بعد.

المسلم لا يستبيح نقض العهد كما استباحه اليهود، الذين قال الله فيهم واصفًا إيَّاهم بأبأس الصفات: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَنْقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥، ٥٦]،

(١) رواه البخاري في الشروط (٢٧٣١)، عن المسور بن مخرمة، ومروان.

وذلك لأنهم يقولون كما حكى الله عنهم: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥]، الأميون هم العرب ومن على شاكلتهم من الأمم الأخرى، ممن لا يدينون بدين اليهود، فأموالهم مستباحة، وأعراضهم مستباحة، وأرضهم مستباحة، ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّنَ سَبِيلٌ﴾، لا نلام ولا حرج علينا إذا أخذنا منهم ما استطعنا.

وقد سأل رجل ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إنا نصيب في سفرنا للغزو من بعض ديار أهل الذمة الشاة والدجاجة.

فقال ابن عباس للرجل: فماذا تقولون؟

قال: نقول ليس علينا في ذلك بأس.

قال: إذن قلتم ما قال أهل الكتاب: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّنَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥]، والله لا يحل لكم من أموالهم إلا ما طابت به أنفسهم^(١).

ما داموا قد عاهدونا، فالعهد مرعية، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإنَّ ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا»^(٢).

من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة:

قتل الإنسان المستأمن سواء كان عهدًا مؤقتًا، كالمستأمنين الذين يدخلون ديار المسلمين للسياحة بأمان، أو عهدًا مؤبدًا، مثل أهل الذمة، الذين يعيشون في دار الإسلام، فلهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، إلا ما أوجبه اختلاف الدين، «من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة»، وقال الإمام أبو حنيفة: من فعل ذلك عمدًا وعدوانًا يجب أن يقتص منه^(٣).

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٤١٨).

(٢) رواه البخاري في الجزية (٣١٦٦)، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) درر الحكام شرح غرر الأحكام (٩١/٢)، نشر دار إحياء الكتب العربية.

هذا ما سارت عليه الدولة العثمانية.

لا يجوز أن يُمسَّ مُعَاهِدٌ في دمه أو ماله أو عرضه أو أي حرمة من حرماته، وفي الحديث: «من ظلم معاهدًا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة»^(١).

النبي ﷺ يخاصمه ويُحاجُّه يوم القيامة دفاعًا عن هؤلاء، الَّذِينَ لَهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ تَعَالَى، وَذِمَّةُ رَسُولِهِ ﷺ.

هذا هو الإسلام، يرمى اليهود والمواثيق، حتَّى الغلاة من المسلمين كانوا يرمون هذه اليهود، غلاة الخوارج الَّذِينَ اسْتَبَاحُوا الْمُسْلِمِينَ مِنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْفِرْقِ لَمْ يَسْتَبِيحُوا دِمَاءَ مُشْرِكٍ مُعَاهِدٍ أَوْ مُسْتَجِيرٍ، لِذَلِكَ حِينَمَا وَقَعَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي يَدِ بَعْضِ هَؤُلَاءِ الْغُلَاةِ مِنَ الْخَوَارِجِ وَسَأَلَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ لَهُ: مُشْرِكٌ مُسْتَجِيرٌ.

قال: إِذْنُ لَكَ حَقُّكَ حَتَّى تَبْلُغَ مَأْمَنَكَ، وَأَوْصِلْهُ حَيْثُ يَرِيدُ، وَأَسْمِعْهُ بَعْضَ آيَاتِ الْقُرْآنِ، وَقَالَ: صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ إِذْ قَالَ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة: ٦]، هَا أَنَا قَدْ أَبْلَغْتُكَ مَأْمَنَكَ^(٢).

أُمَّةٌ تَحْتَرِمُ الْكَلِمَةَ:

حتى وإن أجاز الكافر مسلمً عادي أو امرأة؛ فقد جاء في الحديث

(١) رواه أبو داود في الخراج والفيء (٣٠٥٢)، وجوّد إسناده العراقي في التبصرة والتذكرة (٧٧/٢)، وحسّنه الألباني في غاية المرام (٤٧١)، عن صفوان بن سُلَيْمٍ عن بعض أصحاب رسول الله.

(٢) هذه القصة حدثت مع واصل بن عطاء، رواها المبرد في الكامل في اللغة (١٢٢/٣).

عن النبي ﷺ: «المسلمون تكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم»^(١).

حتى إنَّ أم هانئ بنت أبي طالب ابنة عم النبي ﷺ قد أجارت بعض أحمائها - أقارب زوجها - من المشركين، فقال النبي ﷺ: «قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ»^(٢)؛ احترامًا لكلمة هذه المسلمة.

هذه أُمَّة عهود، أُمَّة وفاء، تحترم العقد، تحترم الميثاق، تحترم العهد، تحترم الكلمة، فيما بينها وبين ربها، فيما بين بعضها وبعض، فيما بينها وبين غيرها من الأفراد أو الأمم؛ فالله تعالى يقول: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١].

لا وفاء في معصية:

كلُّ العهود يجب أن تُصان وتُرعى، إلا ما كان فيه معصية لله ﷻ، فهناك عهود لا يجوز أن تُبرم، وإذا أُبرمت يجب أن تُنقض، إذا عاهدت إنسانًا على أن تُقيم مكانًا للفجور، فهذا عهد لا قيمة له، إذا عاهدت إنسانًا على أن تسرق كذا.. وكذا.. فهذا عهد منقوض من نفسه؛ لأنَّه لا شرعية له.

هناك عقود باطلة في ذاتها، وهي ما كان على الإثم والعدوان، إنَّ اللصوص يتعاهدون فيما بينهم، وقد يقسمون على المصحف الشريف،

(١) رواه أحمد (٦٧٩٧)، وقال: حديث صحيح. وأبو داود في الجهاد (٢٧٥١)، وابن الجارود في

المنتقى (١٠٧٣)، وصحَّحه الألباني في إرواء الغليل (٢٢٠٨)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الصلوة (٣٥٧)، ومسلم في صلاة المسافرين (٣٣٦)، عن أم

هانئ.

ويؤكّدون تعاهدتهم بأغلظ الأيمان أن يتعاونوا، وأن يكتّم بعضهم سرّاً بعض، فهل لهذا العهد قيمة؟
إنّه عهد على الإثم والعدوان.

ولهذا إذا عاهد بعض النّاس عهداً على أن يتنازل عن حرّمات المسلمين، أو أوطان المسلمين، أو حقوق المسلمين، فعهدّه لا قيمة له، عهدّه لا شرعية له، العهود المشروعة هي التي ترعى، والعهود غير المشروعة لا ترعى ولا تُحترم؛ لأنّها ليس عليها اسم الله ﷻ.

فالعهود مرعيّة ما دامت في إطار الإسلام، وشرعيّة الإسلام، فهذا هو الذي وصف الله به عباده المؤمنين بقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَلَآ يَنْفُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ [الرعد: ٢٠]، وإضافة العهد هنا إلى لفظ الجلالة لتشريفه، وإظهار شرعيّته، فهو منسوب إلى الله، يستمد شرعيّته وقدسّيّته من أمر الله، ومن شرع الله ﷻ.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

العتو الإسرائيلي على أهل فلسطين:

أخبار تسوء وأخبار تسرُّ تطالعنا في كل صباح وفي كل مساء، من الأخبار التي تسوء: ما يعانيه إخوتنا في كشمير، وفي مسجد «حضرت بال» المحاصر، وما يعانيه الإخوة في الصومال، وما يعانيه الإخوة في فلسطين، من المستوطنين الذين عاثوا في الأرض الفساد، فأكثروا فيها الفساد، ولم يجدوا من يرُدُّهم، وسيرُدُّهم - إن شاء الله أطفال الحجارة، وأبناء المقاومة الإسلاميّة.

بلغ من عتو اليهود أنّ محكمتهم العليا قضت بأنّ المسجد الأقصى أرض إسرائيلية، وأنّ من حقّهم أن يتصرفوا فيه، وأنّ يخضع للإجراءات ككلّ مبنى من المباني هناك، أي: بهذا الحكم يستطيعون أن يهدموا فيه ما شاؤوا، باسم التجديد، وباسم الإصلاح يفعل اليهود ما شاؤوا، وهم يزعمون أن بيننا وبينهم سلامًا، ولم ولن يكون لهذا السلام أثر إلّا ما يسفك من دماء، وإلا هذه العريضة من أولئك المستوطنين العابثين.

هذا من ناحية.

معاناة المسلمين في سراييفو:

ومن ناحية أخرى - أيُّها الإخوة - تأتي الأنباء من الإخوة في البوسنة والهرسك، هؤلاء الأبطال الصامدون، الصابرون المصابرون

المرابطون، الَّذِينَ كان يظن أَعْدائُهُم أَنَّهُم سَيَلْقون السَّلاح بعد أسبوعين أو ثلاثة، ويستسلمون ويمدُّون الأيدي، ويرضون منهم بمجرد صون الدماء، كانوا يظنون أن سرايفو ستسقط بعد أسبوعين أو ثلاثة، وقد أعدُّوا العدة للاحتفال بذلك قبل شهر، ولكن الله خيب ظنونهم، وخيب آمالهم، وظهر هؤلاء الَّذِينَ عاشوا في أوربا، وعاشوا تحت وطأة الشيوعيَّة الملحدة، وقد سرت فيهم روح الإسلام من جديد، روح الاستشهاد والاستبسال، وأبوا أن يسلموا أو يستسلموا، رفضوا سلام الاستسلام، رفضوا الذل والهوان، رغم أن العالم كلَّه متعاون عليهم، والعالم الإسلامي لم يقدم لهم ما ينبغي من عون واجب.

حتى إنَّ العالم الإسلامي لم يقف وقفة قويَّة ضد هذا القرار الظالم، الَّذي يحظر عليهم استيراد السلاح، مجرد استيراد السلاح يقول الغربيون: لا نريد أن نبعث بالسلاح للمسلمين؛ حتَّى لا يزداد سفك الدماء.

أي: يجب أن يظل سفك الدماء من جانب واحد، هو جانب المسلمين، أمَّا لو بعثنا بالسلاح للمسلمين فسيسفك من الجانبين، هذا هو الدم المستباح، هذا هو الدم الرخيص.

هؤلاء الأبطال الَّذِينَ حاولوا أن يصنعوا السلاح بأيديهم، وأن يكتسبوه من يد أعدائهم، وأن يفعلوا ما استطاعوا، والله تعالى لم يكلف النَّاس إلَّا ما استطاعوا، فقال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]. لم يقل: أعدُّوا لهم مثل ما عندهم. ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، وهؤلاء أعدوا ما استطاعوا، فأعانهم الله، وصمدوا إلى اليوم، وأمنا - إن شاء الله أن يشدَّ أزرهم، وأن يقوِّي عضدهم، وأن ينصرهم على عدوهم، فهذه بشرى بجوار المآسي

الأخرى التي تُدْمِي القلوب، وتذرف العيون لها العبرات، وتذهب النفوس من أجلها حسرات.

نسأل الله تعالى أن يمدّهم بنصره، وأن يؤيدهم بروح من عنده، وأن يمدّهم بملأ من جنده، وأن يحرسهم بعينه التي لا تنام، وأن يكلائهم في كنفه الذي لا يضام، وأن يفتح لهم فتحًا مبيّنًا.

اللهم افتح لهم فتحًا مبيّنًا، واهدهم صراطًا مستقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا، وأتم عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك.

اللهم أعزّ الإسلام وانصر المسلمين، وانصر إخواننا المجاهدين في سبيلك حيثما كانوا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا.

اللهم لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، واجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا سخيًا رخاء، وسائر بلاد الإسلام والمسلمين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].



اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك مُحَمَّد، وعلى آله
وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأقم الصلاة، ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].





من صفات المنافقين: إخلاف الوعد والفجور في الخصومة

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا زال حديثنا موصولاً عن النفاق وأهله، نعوذ بالله من النفاق، كان النبي ﷺ يستعيذ بالله منه، فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق»^(١).

أصول النفاق خمسة:

تحدَّثنا عن ثلاثة من أصول النفاق، وأصول النفاق وأركانها كما جاء في الأحاديث الصحيحة خمسة، تحدَّثنا عن الكذب في الحديث، وعن الخيانة في الأمانة، وعن الغدر في العهد، وبقي من خصال النفاق خصلتان، إذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر.

(١) رواه أبو داود في الصلاة (١٥٤٦)، والنسائي في الاستعاذة (٥٤٧١)، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٣٣٢)، عن أبي هريرة.

احترام الوعد واجب:

وإخلاف العهد هو باب من نكث العهد، هو نوع من نقض الميثاق، الوعد إذا وعدت ينبغي أن تحترمه، «وَعَدُ الْحَرِّ دَيْنٌ عَلَيْهِ».

الإنسان يُحاسب على الكلمة تخرج منه، لا يَعِدُ وعودًا ثم لا يفي بها، فهذا ليس من شأن الإنسان المؤمن، بل ليس من شأن الرجل الحرّ، ولهذا قال العرب: إخلاف الوعد من أخلاق الوغد.

أي: أخلاق الإنسان الدنيء السفيف، الذي يملأ المجالس بالكلام يقوله لهذا وذاك، ولا ينفذ منه شيئًا.

أمّا الإنسان الرجل، والإنسان المؤمن، فهو الذي يحترم كلمته، ولهذا قال الشاعر العربي قديمًا:

ولا أقول: نَعَم، يومًا وأتبعها بلا ولو ذَهَبَتْ بِالْمَالِ وَالْوَالِدِ^(١)

لا أقول: نعمًا يومًا فأتبعها بلا، أنفي ما أثبتته، وأنكر ما قلته، قلت: نعم سأعطيك كذا، سأفعل لك كذا، ولا أقول: نعمًا يومًا وأتبعها بلا، ولو ذهب بالمال والولد، ولو كلّفني ذلك مالي وأولادي وحياتي، هؤلاء هم الرجال.

ويقول الشاعر الآخر:

إذا قلت في شيءٍ: نَعَم فآتَمَّهُ فإنَّ نَعَمَ دَيْنٌ عَلَى الْحَرِّ وَاجِبٌ
وإلا فقل: لا، تسترخ وتُرخِ بِهَا لئلا يقول النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبٌ^(٢)

(١) من شعر: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، انظر: إكمال تهذيب الكمال (٢٧٨/٧)، تحقيق عادل بن محمد وأسامة بن إبراهيم، نشر دار الفاروق الحديثة، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٢) من شعر أحمد بن يوسف، انظر: تاريخ الإسلام (٢٦٢/٥)، تحقيق د. بشار عوَّاد معروف، نشر

لا تعطي وعدًا لا تستطيع الوفاء به:

لا تُورِّط نفسك من أوَّل الأمر، إذا كنت لست من الرجال أولي العزم، الَّذِينَ يَصْدُقُونَ إِذَا قَالُوا، وَيُفُونَ إِذَا وَعَدُوا، لا تكن من الَّذِينَ يقولون ولا يفعلون، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣]؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الذَّمَّ الْمُنَافِقِينَ بقوله: ﴿فَاعْقِبْهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٧].

وحكى لنا على لسان إبليس - لعنه الله - أنه قال يوم القيامة متبراً مَمَّن اتَّبَعُوهُ وَسَارُوا فِي طَرِيقِهِ، قال: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَا فُضِيَ الْأَمْرُ ابْتَغَى اللَّهُ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقَّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢]، الله وعدكم وعد الحق ووفى، ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾ [الأعراف: ٤٤]، ووعدتكم فأخلفتكم.

ولذلك الذي يخلف وعده لا يقتدي بخلق الرحمن، إنما يقتدي بخلق الشيطان، الله يَعِدُ فَيُنْجِزُ، ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨]، ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ [الزمر: ٢٠]، ولكن الشيطان يَعِدُ فَيُخْلِفُ، يضحك عليك، ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠].

إخلاف الوعد بغير عذر حرام:

ولهذا كان الوعد لازماً، وكان إخلاف الوعد بغير عذر حراماً، إذا وعد الإنسان آخر وفي نيته أن يخلف، ليس في نيته أن يفي وينجز، فهذا حرام من أوَّل الأمر، أمّا إذا وعد وكان في نيته أن يفي، ثمّ بدا له شيء،

ولم يهّن عليه أن يفني بما وعد، فأيضاً هاهنا تأتي الحرمة، بل بعضهم جعله كبيرة؛ لأنه من أركان النفاق.

عندما حضر عبد الله بن عمر الوفاة، قال: انظروا فلانا - لرجل من قريش - فإنني كنت قلت له في ابنتي قولاً كشبيه العدة وما أحب أن ألقى الله وَعَلَى - بثلاث النفاق وأشهدكم أنني قد زوجته^(١).

أعطى شبه وعد، ولا بدّ أنّه قد عرف رأي ابنته؛ لأنّه لا يجوز للإنسان أن يزوّج ابنته بغير رضاها، ولا بإذنها ولو بالسكوت، لا أريد أن ألقى الله بثلاث النفاق.

الوفاء بالوعد واجب ولو ترتب عليه كلفة:

ولهذا كان القول الصحيح من أقوال الفقهاء: إنّ الإنسان إذا وعد وعداً، ترتّب عليه كلفة ونفقة ومشقة، فلا بدّ أن يفني بهذا الوعد، كما قال المالكية، وكما قضى به بعض قضاة السلف، وكما هو الظاهر من مذهب الإمام البخاري^(٢).

قال رجل لرجل: افعل كذا، وسأشتره منك، هات لي كذا وسأخذه منك، أو ابن لي بيتاً بالمواصفات الفلانية، وسأستأجرها منك.

وفعل هذا يجب عليه أن يفني به، ويحرم عليه أن يخلفه، تكلفني هذا كله ثمّ ترجع عما قلت!

(١) رواه الفريابي في صفة النفاق (١٩)، تحقيق أبو عبد الرحمن المصري، نشر دار الصحابة للتراث، مصر، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد (٣/١٨٠)، وانظر: فتح الباري (٢٩٠/٥)، تحقيق محب الدين الخطيب، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

الجَعَالَة من الوعد الذي يجب الوفاء به:

ولهذا من جعل جَعَالَة، ووعد بشيء في المسابقات، مثلاً لو قالت وزارة الأوقاف: من حفظ القرآن فله كذا. أو لو قالت وزارة التربية: من حَقَّق كذا فله كذا. ودخل النَّاس المسابقة على هذا الأساس، فهل لهم أن يرجعوا عمَّا أعلنوه؟

الأصل في الوعد أنه ملزم، ما لم يكن هناك عذر شرعي يمنع منه.

الوعيد الشديد في نقض العهد:

إخلاف الوعد من باب نقض العهد، وإن نقض العهد أوثق وأوجب، ولذلك كان الوعيد فيه أشد، يقول الرسول ﷺ: «إِنَّ الْغَادِرَ يُنْصَبُ لَهُ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فيقال: هذه غدرة فلان بن فلان»^(١)، يُنْصَبُ لكل غادر يوم القيامة لواء، تُرْفَعُ له راية، يُفْضَحُ بها على رؤوس الأشهاد، هذه غدرة، عاهد عهداً فغدر.

ويقول النبي ﷺ، فيما يرويه عن ربه من الحديث القدسي: «قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمه خصمته»، من كان الله خصمه، فلا بدَّ أن يُخْصَمَ ويُقْهَرُ ويُغْلَبُ، «رجل أعطى بي ثمَّ غدر»، أعطى عهداً بالله، باسم الله، على عهد الله وميثاقه، ثمَّ غدر ونكث في هذا العهد، «رجل أعطى بي ثمَّ غدر، ورجل باع حرّاً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعطه أجره»^(٢)، استوفى منه عمله، ولم يوفِّه أجره، فهذا من خصماء الله تعالى يوم القيامة.

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري الأدب (٦١٧٧)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٣٥)، عن ابن عمر.

(٢) رواه البخاري في البيوع (٢٢٢٧)، عن أبي هريرة.

الفجور في الخصومة:

بقيت خصلة أخيرة من خصال النفاق، كما بينها صحاح الأحاديث: وهي الفجور في الخصومة، إذا خاصم فجر.

إذا كان بينه وبين إنسانٍ خلافٍ وخصومة، لم يقف عند حدود الحقِّ، وإنَّما يتعداه إلى الباطل، لا يبالي أن يكذب، لا يبالي أن يفترى، لا يبالي أن يزيِّن دعواه بالأباطيل، بالأيمان الكاذبة، يحاول أن يجعل الحقَّ في صورة الباطل، والباطل في صورة الحقِّ، حتَّى يكسب المعركة مع خصمه.

هذا هو الفجور في الخصومة، خصوصًا إذا كان ذا بيان وذا لسان، وكان عنده قدرة على أن يُزيِّف الحقائق، هذا الذي جاء به الحديث الصحيح: «إنَّما أنا بشر، وإنَّه يأتيني الخصم، فلعلَّ بعضكم أن يكون أبلغ من بعض - يكون أفصح وأبين لسانًا - فأحسب أنه صدق، فأقضي له بذلك»؛ لأنَّ القاضي يقضي بالظاهر، والله يتولَّى السرائر، فأقضي له على نحو ما أسمع، «فمن قضيت له بحقِّ أخيه شيئًا بقوله، فإنَّما أقطع له قطعة من النَّار فلا يأخذها»^(١).

حكم المحكمة لا يحل حرامًا:

الذي يخاصم ويُزيِّن أمره ليغلب خصمه بالباطل، وترتَّب على ذلك أنَّ المحكمة حكمت له، لا يظن أنَّ حكم المحكمة يُحلُّ له الحرام.

لا، حتَّى ولو كان القاضي هو رسول الله ﷺ؛ لأنَّه يقول: أنا أقضي على نحو ما أسمع، فهذا استغل ضعف خصمه، لعلَّه لم يكن له بيِّنة، ولم يكن قادرًا على الدفاع عن حقِّه.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٨٠)، ومسلم في الحدود (١٧١٣)، عن أمِّ سلمة.

هذه هي الخصومة بالباطل، الإنسان يخاصم بالباطل، يفجر في الخصومة، هناك أناس إذا خاصموا فجروا، لم يبالوا أن يرتكبوا أي شيء في سبيل أن ينتصروا، هم يجلبون عليك بخيلهم ورجلهم؛ ليكسبوا الأمر من خصومهم.

المسلم يعدل مع من يحب ومن يكره:

المطلوب من الإنسان المسلم أن يكون عدلاً منصفاً مع من يحب ومع من يكره، الله تعالى يقول: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: لا يحملنكم. ﴿شَنَاٰنُ قَوْمٍ﴾ الشنان: شدة العداوة والبغض، أي: مهما كانت عداوتكم لهم، وشدة بغضكم لهم، أو شدة بغضهم لكم، فلا يحملنكم هذا على ألا تعدلوا، ﴿ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.

اعدل مع قريبك ومع البعيد عنك، اعدل مع صديقك ومع عدوك، اعدل مع المسلم ومع الكافر.

العدل للناس جميعاً، عدل الله لكل عباد الله.

القرآن ينتصر ليهودي اتهم بالسرقة ظلماً:

نزلت تسع آيات من القرآن تدافع عن يهودي اتهم بالسرقة ظلماً، ولم يكن قد سرق، وإنما كان السارق بعض المنافقين، أو ضعفاء الإيمان من المسلمين، وحاول الرسول ﷺ أن يدافع عن هؤلاء المسلمين، استبعاداً منه أن تقع الجريمة من مسلم، ضد ذلك اليهودي^(١)، فنزل القرآن يخاطب

(١) إشارة إلى الحديث الطويل: كان أهل بيت منا يقال لهم: بنو أبيرق بشر وبشير ومبشر، وكان =

رسول الله ﷺ: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْتِكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا * وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُدَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا * هَتَأْتُمْ هَتُولَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا * وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ يَجِدِ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا * [النساء: ١٠٥ - ١١٢].

ولهذا يحرم على المسلم أن يخاصم بالباطل، كما قال النبي ﷺ: «من خصم في باطل وهو يعلمه، لم يزل في سخط الله حتى ينزع»^(١)، حتى يقلع ويرجع عن هذه الخصومة بالباطل، ما دام يعلم ذلك.

الإعانة على الخصومة بالباطل:

ومثل المخاصم بالباطل: المُعين في الخصومة، من أعان على خصومة بظلم، لم يزل في سخط الله حتى ينزع، وفي بعض الحديث: «من أعان ظالمًا بباطل ليدحض بباطله حقًا فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله»^(٢).

= بشير رجلًا منافقًا يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله ﷺ. رواه الترمذي في التفسير (٣٠٣٦)، وقال: غريب. وقال الألباني في صحيح الترمذي (٢٤٣٢): حسن. عن قتادة بن النعمان.

(١) رواه أحمد (٥٣٨٥)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الأفضية (٣٥٩٧)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٤٣٧)، عن ابن عمر.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٢٩٤٤)، والصغير (٢٢٤)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٢٠)، عن ابن عباس.

من هنا تكون مصيبة الَّذِينَ يشغلون بالمحاماة، ويخاصمون في قضايا يعلمون أنها باطلة، فيقف يدافع عن موكله، وهو يعلم أنه مجرم، ويحاول أن يبطل حُجَّةَ خصمه، وهو يعلم أنه محقٌّ، فهذا الَّذِي يعين على الخصومة بالباطل، من أجل أن يكسب دراهم أو دنانير، هي متاع قليل، ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ [البقرة: ١٧٤].

الخصومة في الفكر:

الخصومة بالباطل قد تكون في أمر مادي، وقد تكون الخصومة في أمر معنوي، كما تكون الخصومة في المال، تكون الخصومة في الرأي والفكر.

هناك أناسٌ يخاصمونك في رأيك، لهم وجهة نظرٍ غير وجهتك، ولهم رأي غير رأيك، فلا يمنع هؤلاء أن يتقوّلوا عليك الأقاويل، ويفتروا عليك الأكاذيب، ويشوّهوا صورتك عند الناس.

هذا - للأسف - ما يحدث بين كثير من المختلفين في الآراء بعضهم وبعض.

والمؤمن يجب أن يلتزم الحقّ في كلّ خصوماته، كما قلت حتّى مع غير المسلمين، مع الكافر والمسلم سواء؛ لأنّ عدل الله لا يتجزأ، عدل الله لكلّ الناس جميعاً.

النبي وأصحابه يلتزمون الحقّ في الخصومات:

هكذا كان رسول الله ﷺ، وهكذا كان أصحابه رضوان الله عليهم، كانوا لا يفرّقون بين الناس في الخصومة، حتّى إنّ اليهود والنصارى كانوا يقفون أمام القاضي كما يقف كبار المسلمين وكبار الصحابة والأمراء

والخلفاء أنفسهم، حتَّى إِنَّ عليَّ بن أبي طالب أنكر على القاضي شريحًا حينما كان مع خصم له قال له القاضي: يا أبا الحسن. فاعتبر هذه الكلمة نوعًا من التكريم في مجلس القضاء، فليناده باسمه مجردًا.

وحينما ذهب عبد الله بن رواحة إلى اليهود يخرص نخيلهم، فقد كان رسول الله ﷺ عامل يهود خيبر على أن يزرعوا خيبر، ويقوموا بأمرها ولهم نصف الثمرة، وكيف يحدد نصف الثمرة؟

كان يحدّد بطريقة اسمها الخرص: تقديرٌ تقريبيٌّ من الخبراء. يقول: هذه النخيل فيها كذا وكذا من التمر.

فأراد اليهود أن يرشّوا عبد الله بن رواحة؛ ليخفّ عليهم، بدل أن يقول: في هذه النخيل عشرة آلاف من وسق أو غير ذلك، يجعلها خمسة آلاف أو نحو ذلك.

أرادوا أن يستميلوه على طريقتهم بالرشوة والمال، فقال لهم عبد الله: يا معشر اليهود، أنتم أبغض الخلق إلي قتلتم أنبياء الله ﷺ، وكذبتم على الله، وليس يحملني بغضي إياكم على أن أحيف عليكم، قد خرصت عشرين ألف وسق من تمر، فإن شئتم فلكم، وإن أبيتم فلي. فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض، قد أخذنا^(١).

أترشونني يا أعداء الله، والله إنكم لأبغض إليّ من القردة والخنازير، وإن رسول الله ﷺ لأحبُّ إليّ من نفسي، ولكن هذا لا يجعلني أحيف عليكم مثقال ذرة، أكرهكم وأحبُّ رسول الله، ولكن لا يجعلني حبي

(١) رواه أحمد (١٤٩٥٣)، وقال مخرّجوه: إسناده قوي على شرط مسلم. والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣٠٩٥)، وصحّحه الألباني في غاية المرام (٤٥٩)، عن جابر بن عبد الله.

رسول الله أن أعطي له، وأجعل له - وهو ﷺ هو رئيس الدولة - ما لا يحق له، وأخذ منكم ما لا يجوز لي.

هذا هو العدل الذي قامت به السماوات والأرض، الخصومة لا تجعل الإنسان يفجر على خصمه، ويدّعي عليه ما ليس بحق، بل يقول الحق في شأنه، المادي وحقه الأدبي.

سمع عمرو بن العاص رضي الله عنه من أحد الصحابة المستورد القرشي، أنه سمع من رسول الله ﷺ يقول: «تقوم الساعة والروم أكثر الناس» - العرب يسمون كل من كان جهة الشمال والغرب من البيزنطيين والأوربيين وغير هؤلاء، كل هؤلاء روم - تقوم الساعة والروم أكثر أهل الأرض.

فقال له عمرو: أبصر ما تقول.

قال: أقول ما سمعتُ من رسول الله ﷺ.

قال: لئن قلت ذلك، إنَّ فيهم لخصالاً أربعا: إنَّهم لأحلم النَّاس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرامة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ویتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم المملوك^(١).

عمرو بن العاص الذي واجه الروم في مصر، وواجههم في فلسطين، وواجههم في معارك حامية، لم يمنعه ذلك أن يعترف لهم بما فيهم من خصال حسنة، تجعلهم أهلاً لئن يكون لهم شأن في هذه الدنيا. هكذا ينبغي أن يعرف النَّاس خصومهم على حقيقتهم.

(١) رواه مسلم في الفتن (٢٨٩٨).



ضياح الحقيقة بين التهوين والتهويل:

للأسف في شأن خصومنا، تضيع الحقيقة عندنا بين التهوين والتهويل،
إما أن نهوّن من أمرهم، ولا نجعل لهم قيمة، وإما أن نهوّل ونضخّم
ونجعل الدُّنيا في كفّهم، ونجعل أنفسنا أحجارًا على رقعة الشطرنج.

هذا كلّهُ ليس من العدل، ولا من الإنصاف في شيء.

الإسلام يربي المسلم على أن يقول الحقيقة لا يتعدها، سواء إذا
تحدّث عن نفسه، أو تحدّث عن خصومه، فهو منصف دائمًا، عدلٌ دائمًا،
لا يخرج الغضب عن قول الحقّ، إذا غضب لم يخرج الغضب عن
الحق، وإذا رضي لم يدخله الرضى في الباطل، إذا أحبّ أو كره كان مع
الحقّ حيث كان، وهذه هي خصال المؤمنين.

أمّا خصال المنافقين فهي: إذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر.

هذه هي خصال النفاق: إذا حدّث كذب، وإذا أوثمن خان، وإذا عاهد غدر.
نعوذ بالله من أن نكون من المنافقين، أو نكون ظهيرًا للمنافقين.

اللهمّ آمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنّه هو
الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.



الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المؤمنون:

معركتنا مع اليهود مستمرة:

لا زالت أحوال المسلمين على ما هي عليه، وستظلّ كذلك إلى أن يُغيّر المسلمون ما في أنفسهم، فيُغيّر الله ما بهم، لا زال اليهود يتكبرون ويتجبرّون ويعيثون في الأرض فسادًا، يسفكون الدماء، ويقتلون الأبرياء، ولا يباليون بأحد، يريدون أن يأخذوا كلّ شيء، ولا يعطوا شيئًا، لا زالوا يقتلون، وفي الجعبة الكثير، وما دمنا مستكينين، نمُدّ الأيدي لأيّ شيء، ونقبل كلّ شيء، سيظل اليهود يركبوننا، ويمتطون ظهورنا إلى ما يريدون. لا بدّ من الجهاد، ليس بيننا وبين هؤلاء إلاّ الجهاد؛ حتّى نسترد المسجد الأقصى، ونسترد أولى القبلتين وأرض الإسراء والمعراج، لا بد من الجهاد، والمعركة مستمرة: «حتى يقول الحجر والشجر: يا مسلم، هذا يهودي ورائي، فاقتله»^(١).

معركة البوسنة والهرسك:

ولا زالت المعركة في البوسنة والهرسك، لا زال الصرب والكروات يعبثون بأرواح المسلمين، ودماء المسلمين، وأعراض المسلمين، حتّى إنّ الكروات جعلوا من المسلمين الكروات درعًا بشريًا، أو قنبلة بشريّة، كأنّ المسلمين ليس لهم حرمة، هؤلاء لا يرقبون في مؤمن إلاّ ولا ذمّة، هُنّا على أنفسنا فهنّا على الآخرين بعد ذلك.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسّير (٢٩٢٥)، ومسلم في الفتن (٢٩٢١)، عن ابن عمر.

الأمّة لم تفعل شيئاً:

أين المسلمون، أين أمّة الإسلام، أين مليار وربع مليار من البشر؟
لو صرخ هؤلاء لأصموا أذن الدنيا، لو فعلوا شيئاً، لو قطعوا
العلاقات مع هؤلاء، لو منعوا الطائرات أن تنزل عندهم، لو سحّبوا
السفراء، لو عملوا أي شيء.

ولكن لم يعملوا شيئاً، الهند تفعل ما تفعل في مسجد «حضرت بال»
وفي غيره، وتهدم المساجد، وتقتل المسلمين. ولا ينكر أحد! لا يصرخ
أحد صرخة احتجاج!

إلى متى نظل هكذا، سنؤكل بلدًا بعد الآخر، وشعبًا بعد الآخر، إذا
استسلمنا إلى هذا الأمر، إنّما الذي يجعل من هذه الأمّة حصناً حصيناً:
أن تضع يدها في يد الله، ثمّ تجتمع على كلمة الله، ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ
جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ولا يجمع هذه الأمّة إلاّ الإيمان بالله والاعتصام بحبله، والاستمسك
بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، هذا هو الذي يجمعها من شتات، ويحييها
من موات، ويقويها من ضعف، ويؤمنها من خوف.

نسأل الله تبارك وتعالى أن ينير بصائر هذه الأمّة، وبصائر أولي الأمر
فيها، وأن يجمع كلمتها على الهدى.

اللهمّ اجمع كلمة هذه الأمّة على الهدى، وقلوبها على التقى، ونيّاتهم
على الجهاد في سبيلك، وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل.

اللهمّ أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا
ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا.

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا، وعذاب الآخرة. اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، وعلينا بأعدائك أعداء الإسلام، ورد عنا كيدهم، وقل حدهم، وأدل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين.

اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم.

اللهم إنا نسألك أن تعز الإسلام وتؤيد المسلمين، واجعل كلمة المسلمين هي العليا، وكلمة أعدائهم هي السفلى.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

اللهم اجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا، سحاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

﴿رَبَّنَا ءَامِنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ونبيك ورسولك مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأقم الصلاة، ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

التوحيد رسالة الإسلام

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

الآفات التي تهدد الإيمان:

تحدّثنا عن النفاق وخصاله الأساسية: الكذب في الحديث، والخيانة في الأمانة، والإخلاف في الوعد، والغدر في العهد، والفجور في الخصومة. والآن نتحدث عن موضوع آخر. فما أحوج الناس في عصرٍ سادت فيه المادّيّة، وانتشرت فيه الشهوات: أن يعرفوا الإيمان، ويعيشوا حياة الإيمان، ويسلكوا سلوك المؤمنين.

الإيمان شُعب، كما قال النبي ﷺ: «الإيمانُ بضعٌ وسبعون شُعبة، أعلاها: لا إله إلا الله، وأدناها: إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شُعبة من الإيمان»^(١).

يُهدّد الإيمان في حياة الناس ثلاث آفات: آفة الإلحاد، وآفة الشرك، وآفة النفاق التي تحدّثنا عنها.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٩) مختصراً، ومسلم (٣٥)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.



أولاً: الإلحاد:

الإلحاد: هو جحود الخالق وَجَلَّ .

أن يزعم بعض الناس أنه صنعة من غير صانع، أنه خُلِقَ وحده، ليس له خالق خلقه، ولا مُدَبِّر دَبَّر أمره، هو نبات شيطانيّ، لم يزرعه زارع، ولم يغرسه غارس.

هكذا يقول المادّيّون والملاحدة، حتّى قال بعضهم زاعمًا: ليس صوابًا أن الله خلق الإنسان، وإنّما الصواب أن الإنسان هو الذي خلق الله! قال الشُّيوعيّون: إنّ الألوهيّة - والفكرة الدينيّة عمومًا - من اختراع الأغنياء، ليُلهوا بها الفقراء.

هكذا زعموا!

قامت دولة للإلحاد، هي دولة الشيوعيّة والماركسيّة، أعظم دولة ملحدة، وأقوى دولة ملحدة، ثمّ انهارت فجأة، وذهب ريحها؛ لأنّها قامت ضدّ الفطرة، وضدّ العقل، قامت على أساس ألاّ إله والحياة مادّة، ولا شيء غير المادّة، فانهارت دولة الإلحاد.

الإلحاد في تاريخ البشريّة قليل:

والإلحاد في التاريخ كلّه لا يكاد يُذكر، والمُلحدون قلّة لا يُؤبه لها، ولا وزن لها، ولا صوت لها، قلّة مغمورة تُمثّل الشذوذ الذي يُثبت القاعدة ولا ينفىها، كما نقول: إنّ الأصل في الآباء والأمّهات أن يُحبّوا أولادهم، ولكن وجد من الآباء من يقتل طفله، ووجد من الأمّهات من تقتل طفلها! هذا الشذوذ لا ينفى القاعدة الأساسيّة، بل يثبتها.

الإِنسان مَفْطُورٌ على الإيمان:

الإيمان بالله فكرة مركوزة في حنايا النفس، كلُّ مولود يُولد على الفطرة، لو تُرك ونفسه، وإنَّما أبواه يُهوِّدانه، أو يُنصِّرانه، أو يُمجِّسانه، كما في الحديث عن أبي هريرة رضي عنه، أنَّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «ما من مولودٍ إلَّا يُولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرَّانه، أو يمجِّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسُّون فيها من جدعاء؟».

ثمَّ يقول أبو هريرة رضي عنه: ﴿.. فَطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا..﴾ [الروم: ٣٠] ^(١).
فقام هؤلاء ضدَّ الفطرة، ولهذا كان الإلحاد شيئًا خارجًا على التاريخ، وعلى سنن الوجود كلِّها.

وأكثر الملاحدة أُلحدوا؛ لأنَّهم انحرفوا وفسقوا وفجروا، فأرادوا أن يُبرِّروا فجورهم وانحرافهم، واتباعهم للشهوات، وجريهم وراء الفسوق والملذات فقالوا: لا إله ولا نبوة، ولا آخرة ولا جنَّة ولا نار.

إنَّه تبريرٌ وتسويغٌ لما وقعوا فيه، فليس إلحادهم إلحادَ عقلٍ وفكر؛ إنَّما هو إلحاد بطنٍ وفرج.

فَجَرُّوا ثمَّ كفروا، وكفرهم تبريرٌ لفجورهم.

مشكلة البشريَّة الشرك لا الإلحاد:

لهذا لم تكن مشكلة البشريَّة هي الإلحاد، بل البشريَّة في طوال التاريخ كان فيها نوعٌ من الإيمان والتدين، حتَّى قال أحد المؤرخين: لقد عُرِف في التاريخ مدن بلا حصونٍ ولا قلاع، وعُرِفَت مدن بلا مدارس

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٣٥٨)، ومسلم في القدر (٢٦٥٨).

ولا جامعات، وعُرِفَتْ مدنٌ بلا قصورٍ ولا زيناتٍ، ولكن لم يُعَرَفْ في التاريخ أبداً مدنٌ بلا معابد^(١).

المعبد في كلِّ مدينة، غير أنَّ المشكلة ماذا يُعبد في هذا المعبد، مشكلة البشريَّة ليست الإلحاد ولكنها الشرك.

البشريَّة ضلَّت كثيراً عن الإله الحقِّ:

ضلَّت البشريَّة عن الإله الواحد، واتَّبعَت الأوهام والأباطيل والخرافات، وزَيَّنَ لهم الكهنة سوء عملها فرأته حسناً، عبدوا الأوثان، عبدوا الحيوانات، عبدوا النجوم والشمس والقمر، عبدوا الكلاب والقطط، عبدوا البقر، عبدوا الشجر، عبدوا أشياء كثيرة.

أصبح الإنسان المُكْرَم، الَّذِي استخلفه الله في الأرض، وسخَّرَ له ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه، يسجد للحجر، ويتعبَّد للحجر، ويمدُّ يَدَيْهِ لِلْحَجَرِ، يسأله النصر على الأعداء، ويسأله الشفاء من الداء، ويسأله الرزق عند الضيق، وهو حجر لا يضرُّ ولا ينفع، ولا يبصر ولا يسمع، ولا يُعْطِي ولا يمنع!

هذا هو الضلال الَّذِي وقعت فيه البشريَّة، حتَّى حكى أحد العرب من الصحابة الَّذين آمنوا قال: كُنَّا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجراً هو أخير منه ألقيناه، وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجراً جمعنا جثوة من تراب، ثمَّ جئنا بالشاة فحلبناه عليه، ثمَّ طفنا به^(٢)!

(١) قاله المؤرخ اليوناني المشهور بلوتارك. انظر: الله والإنسان لمصطفى محمود ص ١١٦، نشر دار الجمهورية، القاهرة، سلسلة كتب للجميع، العدد (١١٣).

(٢) رواه البخاري في المغازي (٤٣٧٦)، عن أبي رجاء العطاردي.

هكذا جنت الوثنية على الإنسان، أن يعبد ما ينحت، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا نَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٥، ٩٦]، يعبد ما ينحته بيده، ويصوره براحته.

بل عبد الإنسان في الجاهلية العربية إلهًا من العجوة! صورته وجعل له وجهًا وأنفًا وفمًا ويدين، ثم إذا مسه الجوع في سفر من الأسفار، استدار إلى هذا الإله فأكله!

وهذا هو الذي نبه عليه القرآن حينما قال: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُمْ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُمْ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾، حينما يتهافت الذباب على إله العجوة أو الحلوى لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الذباب، ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

الإنسان المعاصر لا يزال يعبد الأصنام:

ضلت البشرية حينما عبت غير الله وَعَجَّلَ، ولا زالت البشرية إلى اليوم، ونحن على مشارف القرن الحادي والعشرين، وبعد أن غزا الإنسان الفضاء، وصنع الكمبيوتر، لا تزال البشرية إلى اليوم تعبد الأصنام، مئات الملايين بل آلاف الملايين من البشر لا زالت تعبد الأصنام، وتعبد الحيوانات، وتعبد الشيطان، وتعبد آلهة شتى!

رأيت الناس بعيني رأسي في الهند، يقدسون البقرة، وإذا مرت في الطريق تنحوا لها، وتوقف السير، وتوقفت السيارات، وتبركوا بأرواثها وأبوالها، وكل ما يخرج منها، البقرة الأنثى.

أمّا الثور الذكّر فلا قيمة له، أمّا الجاموسة أخت البقرة أو ابنة عمّتها

فلا قيمة لها، مع أنها أكثر نفعاً منها، وأكثر لبناً منها، ولبنها أفضل من لبن البقرة، ومع هذا عبدوا البقرة ولم يعبدوا الجاموسة.

إنه العقل الإنساني حينما يضل وحده ويترك هدى الله وَعَلَىٰ.

الوثنيّة مشكلة الأنبياء مع أقوامهم:

لهذا كانت مشكلة الأنبياء مع أقوامهم ليست مشكلة الإلحاد والجحود، وإنما مشكلة الشرك والوثنيّة، وجدوا أقواماً يعبدون مع الله آلهة أخرى، فكان النداء الأول في كل رسالة: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

التوحيد دعوة الأنبياء جميعاً:

دعوة التوحيد هي دعوة الأنبياء جميعاً، تحرير الناس من العبوديّة لغير الله تبارك وتعالى، من العبوديّة للطاغوت كما قال وَعَلَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وكل ما يُعبد أو يُعظّم أو يُطاع من دون الله طاعة مطلقة فهو طاغوت، سواء كان بشراً سوياً، أم كان حجراً في الأرض، أم نجماً في السماء، أم حيواناً أو جناً أو ملكاً.

كل ما عُظّم من دون الله أو عُبد أو أُطيع طاعة مطلقة فهو طاغوت.

وقد جاءت الأديان والنبوات جميعاً لتحرر الإنسان من الطاغوت، من عبادة الطاغوت، ﴿.. فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفصامَ لها..﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وأعظم دينٍ جاء يرفع علم التوحيد، ويُرسِي قواعده، ويرسخ في الحياة أسسه، ويقيم عليه عباداته ومعاملته وأخلاقه، هو الإسلام، الدين الخاتم، الذي بعث الله به نبيه محمدًا ﷺ، حتَّى لو أردنا أن نعبر عن الإسلام بكلمة واحدة مُميّزة، ومُعبرة عن جوهره لقلنا: إنَّه دين التوحيد، دعوة التوحيد، دعوة: لا إله إلا الله، الدعوة التي تُسقط الآلهة المُزيّفة، والأرباب المدعاة من دون الله، فلا ربَّ غير الله، ولا إله إلا الله، ولا حُكم إلا الله.

العناصر الأساسيَّة للتوحيد:

وهذه هي العناصر الأساسيَّة للتوحيد، ألا تبغي غير الله ربًّا، ولا تتخذ غير الله وليًّا، ولا تبغي غير الله حكمًا، كما فسَّرت ذلك سورة التوحيد، سورة الأنعام، ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ..﴾ [الأنعام: ١٦٤]، ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَأَطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ..﴾ [الأنعام: ١٤]، ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ ابْتَغَى حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، هذه هي أساسيَّات التوحيد، لا رب إلا الله، هو الخالق الرازق المُنعِم، المُحيي المُميت، الضارُّ النافع الذي بيده خزائن كلِّ شيء، لا يستطيع مخلوق أن يرزقك، ولا أن يهب لك الحياة، ولا أن يقدم أجلك أو يؤخِّره، الله تعالى وحده هو مالك الملك، وخالق الخلق، ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

المشركون أقرُّوا بالرُّبوبيَّة وأنكروا الألوهيَّة:

وهذا التوحيد يُسمِّيهِ العلماء: توحيد الرُّبوبيَّة، وهو توحيد أقرَّ به مشركو العرب في الجاهليَّة؛ فقد كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق الرازق

المُخَيِّي المُمَيِّت، ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ...﴾ [العنكبوت: ٦١]، ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]، كانوا يعترفون بهذا، ولكن كانت مشكلتهم مع توحيد الألوهية.

إنهم مع اعترافهم بأن الله هو الربُّ الخالق لم يُؤلَّهُوه وحده، عبدوا معه آلهة أخرى، وقالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣]، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَكَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، جهلوا وكذبوا، لا يحتاج الله إلى شفيع؛ لأنَّ باب الله مفتوحٌ للجميع، ليس كالمملوك الظلمة يحتاج إلى واسطة حتَّى تصل إليه، إنَّه ينادي عباده دائماً ليصلوا إليه بلا حاجبٍ ولا بوابٍ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

من دعا الله مُخْلِصًا أَجَابَهُ:

من دعاه مُخْلِصًا أَجَابَهُ، حتَّى إنَّ بعض المشركين حينما تنزل بهم المصائب، كالَّذين ركبوا الفلك، وجرين بهم بريحٍ طيبة وفرحوا بها، ثمَّ جاءتهم ريح عاصف، وجاءهم الموج من كلِّ مكان، وظنُّوا أَنَّهُم أُحِيطَ بِهِمْ، حينئذٍ دعوا الله مخلصين له الدين، يقولون: لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين.

واستجاب الله لهم، وأنجاهم من أزمته؛ لأنَّهم دعوه مخلصين له الدين؛ لقد برئوا من حولهم وقوتهم، وبرئوا من أصنامهم وآلهتهم، لم يذكروا اللات والعزى ولا مائة الثالثة الأخرى، لم يذكروا هُبلاً ولا غير هُبَل، وإنَّما ذكروا الله وحده، وقالوا: يا رب.

كانوا في هذه اللحظة مخلصين، عادوا إلى الفطرة، والفطرة هي التوحيد، ذاب الطلاء الكاذب، وعادوا إلى أصالة الإنسان، فنادوا: يا رب أنجنا ممّا نحن فيه.
فأنجاهم الله عَلَيْكَ.

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَكُمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢].

حقيقة التوحيد:

حقيقة التوحيد: ألا تتخذ إلهًا غير الله، لا تدعو إلا الله، ولا تذلل إلا لله، ولا ترجو إلا الله، ولا تخاف إلا الله.

حقيقة التوحيد: أن تفرد الله تعالى بالعبادة والاستعانة؛ فلا تعبد إلا الله، ولا تستعين بسواه.

وهذا حقيقة ما دل عليه قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاحة: ٥]، نناجي الله بها كل يوم على الأقل سبع عشرة مرة، إذا اقتصرنا على الفرائض وحدها، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين إلا بك. التوحيد: ألا تبغي غير الله ربًّا، ولا تتخذ غير الله وليًّا وإلهًا، ولا تبغى غير الله حكمًا.

ليس من التوحيد في شيء: أن تدعي أنك مؤمن بالله وحده، ثم تحتكم إلى شرع غيره، وتعتقد أن شرع البشر أعدل من شرع رب البشر، أن القوانين الوضعية أرفعى للمصالح من الأحكام الشرعية.

إِنَّكَ بِهَذَا تَتَّهَمُ اللَّهَ وَحَبْلَكَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِمَصَالِحِ عِبَادِهِ حِينَمَا شَرَعَ لَهُمْ، ﴿... وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ..﴾ [البقرة: ٢٢٠]، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

العبادات ترسخ دعائم التوحيد:

هذا التوحيد الذي جاء به مُحَمَّدٌ ﷺ، وأقام عليه الحياة كلها، كلُّ العبادات التي نتعبد بها إنما جاءت لترسخ دعائم التوحيد، كل الشعائر، كل الآداب إنما جاءت لهذا، حتَّى إِنَّ المولود المسلم حينما يولد، من أدب الإسلام أن يؤذن في أذنه اليمنى^(١)، أن تسمعه أوّل ما يسمع، هذه الكلمات العظيمة: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر. أشهد أن لا إله إلاَّ الله أشهد أن لا إله إلاَّ الله، أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله.

أي تُسَمِّعُهُ كلمة التوحيد، كلمة الإخلاص، كلمة التقوى، كلمة: لا إله إلاَّ الله، فإذا ما احتضر على فراش الموت، كان من أدب الإسلام - أيضاً - أن يلقن المحتضر: «لا إله إلاَّ الله»^(٢)، أن يسمعها وهو في اللحظات الأخيرة، ويلقن هذه الكلمة: «لا إله إلاَّ الله»، وبذلك يستقبل الحياة بـ«لا إله إلاَّ الله»، ويودعها بـ«لا إله إلاَّ الله»، يبدأها بالتوحيد، ويختتمها بالتوحيد، وبين الحياة والموت يعيش لرسالة التوحيد، هذا هو شأن الإنسان المسلم.

(١) إشارة إلى الحديث: رواه أحمد (٢٣٨٦٩)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الأدب (٥١٠٥)، والترمذي في الأضاحي (١٥١٤)، وقال: حسن صحيح. وحسنه الألباني في إرواء الغليل (١١٧٣)، عن أبي رافع.

(٢) إشارة إلى الحديث: «لقنوا موتاكم: لا إله إلاَّ الله». رواه مسلم في الجنائز (٩١٦)، عن أبي سعيد الخدري.

التوحيد تحريراً للإنسان:

المسلم إنسانٌ مُوحَّد، وبهذا حرَّره الإسلام، حرَّر الإسلام قلبه أن يذلَّ لغير الله، وعقله أن يخضع لمخلوق من المخلوقات، وجبهته أن تتعفَّر لغير خالقها، وظهره أن يُطأطِئَ وَيَنْحَنِي إِلَّا لله.

حرَّر الإسلام الإنسان من كل عبوديَّة إِلَّا لله وحده، العبوديَّة لله وحده هي عين الحرِّيَّة، لكي تكون حُرًّا حقًّا يجب أن تكون عبدًا لله صدقًا، فإذا كنت عبدًا لله تحرَّرت ممَّن سواه، وإن أبيت العبوديَّة لله، وقعت في عبوديَّات شتَّى، العبوديَّة للأشياء، والعبوديَّة للأشخاص، والعبوديَّة للأهواء، والعبوديَّة للأوهام، والعبوديَّة للذات، كلها أنواع من العبوديَّة تجعل الإنسان في تعاسة دائمة، كما قال النبي ﷺ: «تَعَسَّ عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أُعْطِيَ رَضِي، وإن لم يُعْطَ سَخِط، تَعَسَّ وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش»^(١).

تَعَسَّ، سواء كان هذا إخبارًا من النبي ﷺ عن هذا الذي عبد نفسه للدرهم والدينار، أو عبد نفسه للزينة والأبَّهة، أو كان هذا دعاءً من النبي ﷺ عليه، يدعو عليه بالتعاسة، ودعاء النبي ﷺ مستجاب، فهذا إنسان تعيس، من لم يُعَبِّد نفسه لله، تَعَبَّدَ لأشياء كثيرة، تَعَبَّدَ للأشخاص، فهو يعبد من يظنُّ أنه يملك له ضرًّا أو نفعًا، ويخضع لهذا أو ذاك من الناس، من البشر الذين لا يملكون له ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، ولكنه قد خمدت جمرة التوحيد في قلبه، فأصابته آفة العبوديَّة لغير الله، آفة العبوديَّة للناس، أيًا كان هؤلاء الناس.

(١) رواه البخاري في الجهاد (٢٨٨٦، ٢٨٨٧)، عن أبي هريرة.

التوحيد رسالة الإسلام للبشرية:

ولذلك كانت رسالة الإسلام للبشرية كافة أن يتحرّروا من هذه العبوديات. أرسل النبي ﷺ إلى ملوك الأرض، خاصة إلى أهل الكتاب منهم: قيصر إمبراطور الروم، النجاشي ملك الحبشة، المُقَوْس عظيم القبط في مصر، الأمراء النصارى في الشام، كان يرسل إليهم أن يُسلموا لِيَسْلَمُوا، ثمّ يختم رسائله إليهم بهذه الآية: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤]، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ، جاء الإسلام يبطل ربوبية بعض الناس للناس، سواء كان هؤلاء الأرباب من رجال الدين أو من رجال الدنيا، قد أبطل ربوبية رجال الدين من الكهنة والأخبار والرهبان، حينما دمع هؤلاء بالشرك: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ...﴾ [التوبة: ٣١]، اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ ورهبانهم أربابًا من دون الله؛ لأنهم ملكوهم زمام أنفسهم، يُشْرَعُونَ لَهُمْ ما يشاءون، ويقولون لهم: ما حللناه في الأرض فهو محلول في السماء، وما عقدناه في الأرض فهو معقود في السماء.

فأحلُّوا لهم الحرام، وحرَّموا عليهم الحلال، فأضاعوهم.

كما قال النبي ﷺ لعدي بن حاتم، وكان قد تنصَّر في الجاهلية، ظنَّ أن اتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا أَنْ يَعْبُدُوهُمْ عِبَادَةَ مَبَاشِرَةً، فقال: «أَمَّا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ»^(١).

(١) رواه الترمذي في تفسير القرآن (٣٠٩٥)، وقال: هذا حديث غريب. وحسنه الألباني في الصحيحة (٣٢٩٣)، عن عدي بن حاتم.

لا ربوبية لبشر على بشر:

لا ربوبية لبشر، سواء كان هذا البشر من رجال الدين أم من رجال الدنيا، البشر كلهم إخوة، لماذا أعبدك وأنت مخلوق مثلي يجري عليك من سنن الله ما يجري علي، تمرض كما أمرض، وتموت كما أموت، وتتألم كما أتألم، فلماذا أتخذك رباً؟

الناس كلهم من طينة واحدة، الخالق واحد، والأب واحد، ولهذا كان نداء النبي ﷺ في حجة الوداع: «أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن إلهكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أحمر إلا بالتقوى»^(١). ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَتَكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

التوحيد هو أساس الحرية، أساس التحرير، إذا أردنا أن نُحرر البشر، فلنُحررهم أول ما نُحررهم من عبادة غير الله، عبادة الأشياء، عبادة الأشخاص، عبادة الأهواء، عبادة الشهوات، عبادة الذات، هناك من يعبد نفسه، يدور حولها، حول مصالحها، حول لذائذها وشهواتها، كما يطوف الوثني بوثنه، هو يطوف بنفسه، لا يفكر إلا فيها، هو ذو وثن، عبد هذا الوثن، وهذا الوثن هو نفسه التي بين جنبيه، هذا الذي قال الله فيه: ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ، هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ * أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ﴿ [الفرقان: ٤٣، ٤٤]، اتخذ إلهه هواه، لا بد وأن يرتفع الناس بأنفسهم عن العبودية لغير الله، عن العبودية للناس أحياء وأمواتاً.

(١) رواه أحمد (٨٧٣٦)، وقال مخرجه: إسناده حسن. وأبو داود في الأدب (٥١١٦)، والترمذي في المناقب (٣٩٥٥)، وقال: حديث حسن. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٧٨٧)، عن أبي هريرة.

شرك القبور وشرك القصور:

هناك من يركز على عبادة الأموات، على الَّذِينَ يدعون الأموات وأصحاب القبور ويستغيثون بهم، ويطلبون منهم النجدة والاستشفاء، وهذا حقٌّ، فهؤلاء الأموات لا يملكون شيئاً، ولا نعرف مصيرهم؛ لأنَّ أحدًا لا يدري مصير أحدٍ إلاَّ من بشرَ النبي ﷺ أنه من أهل الجنة.

ولكن مع هذا هناك ألوان أخرى من الشرك، كما يوجد شرك القبور يوجد شرك القصور، إذا وجد من يعبد القبور، فهناك من يعبد القصور، إذا وجد من يشرك مع الله الأموات، فهناك من يشرك مع الله الأحياء، ذاك شرك العامة، وهذا شرك الخاصة، شرك الذين يريدون أن يُكُونُوا أنفسهم، أن يقفوا بسرعة ليكونوا من أصحاب الملايين، فلا مانع أن يبيعوا ضمائرهم، ويبيعوا أنفسهم، ويعيشوا في هوان النفس، من أجل التزلف للآخرين، من أجل الانحناء للآخرين، هؤلاء شرٌّ من عباد القبور.

الشرك كله شرٌّ، ولا بدَّ للإنسان أن يتحرَّر منه، الشرك مهانة للإنسان، وانحطاط به من عل، الله تعالى يقول: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣٠، ٣١]، ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ الوثنية نجاسة للعقل، نجاسة للنفس، ونجاسة للسلوك، ونجاسة للحياة، وهو تزوير على الحقيقة، ولذلك قال: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾، وأول ما يتبادر هنا قول الزور هو الشرك؛ لأنه زور وباطل لا أساس له، ثم هو انحطاط، ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ هوى من أعلى عليين إلى أسفل سافلين، ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾، هذا هو الشرك.



الشُّرْكُ وَكُرُّ الْخِرَافَاتِ:

الشُّرْكُ وَكُرُّ الْخِرَافَاتِ وَالْأَضَالِيلِ وَالْأَبَاطِيلِ، الْكَهَنَةُ وَالْمُزَوَّرُونَ وَتِجَارُ الْأَدْيَانِ يَلْعَبُونَ بِعُقُولِ النَّاسِ، وَيَدْعُونَ لَهُمْ أَنَّهُمْ يَشْفَوْنَهُمْ مِنَ الْمَرَضِ، وَأَنَّهُمْ يَكْشِفُونَ عَنْهُمْ الْغَمَّ، وَأَنَّهُمْ يَخْرِجُونَهُمْ مِنَ الْأَزْمَاتِ، وَأَنَّهُمْ يَخَاطَبُونَ الْجِنَّ فَيُخْرِجُونَ الْجِنَّ، إِلَى آخِرِ مَا يَقُولُونَ.

تَزْوِيرٌ وَتَضْلِيلٌ، انظُرُوا إِلَى مَنْ جَاءَ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ يَدَّعِي أَنَّهُ يُخَاطَبُ الْجِنَّ، وَيُخْرِجُ الْجِنَّ مِنْ رَأْسِ الْإِنْسَانِ، وَيَكَلِّمُهُ بِكَلِمَةٍ فَيُخْرِجُ الْجِنَّ مِنْهُ.

اجْتَمَعَ النَّاسُ بِالْآلَافِ عَلَيْهِ، وَدَفَعُوا لَهُ فِي سِخَاءِ عَشْرَاتِ الْآلَافِ دُونَ أَنْ يُطْلَبَ مِنْ أَحَدِهِمْ، ثُمَّ هُوَ يَقُولُ الْآنَ: هَذَا كُلُّهُ كَانَ وَهْمًا! بَعْدَ دِرَاسَتِي لِعِلْمِ النَّفْسِ تَبَيَّنَ لِي أَنَّ هَذِهِ أَمْرَاضَ نَفْسِيَّةٍ، وَلَا عِلَاقَةَ لَهَا بِالْجِنَّ وَلَا بِالْعِفَارِيَّةِ، وَلَكِنَّ النَّاسَ فِي مِثْلِ هَذَا الْجَوِّ يُصَدِّقُونَ أَيَّ شَيْءٍ.

نُرِيدُ مِنَ الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَحَرَّرَ، التَّوْحِيدَ يَحْرُرُ عَقْلِيَّةَ الْإِنْسَانِ، فَيَجْعَلُهُ لَا يَقْبَلُ شَيْئًا إِلَّا بِبُرْهَانٍ، وَلَا يُصَدِّقُ دَعْوَى إِلَّا بِدَلِيلٍ، إِنْسَانٌ عَرَفَ نَفْسَهُ، وَعَرَفَ رَبَّهُ، وَعَرَفَ غَايَتَهُ، وَعَرَفَ طَرِيقَهُ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقَ التَّوْحِيدِ، اسْتَقَامَتِ نَفْسُهُ، وَخَلَصَ مِنَ الْمُتَنَاقِضَاتِ، فَلَا يَعْبُدُ آلِهَةً مُتَعَدِّدَةً، بَلْ يَعْبُدُ إِلَهًا وَاحِدًا، كَمَا قَالَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يُصَدِّقِي السِّجْنَءَ رَبَّابُ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، أَيُّهُمَا أَوْلَى أَنْ تَعْبُدَ إِلَهًا وَاحِدًا تَعْرِفُ مَا يَرْضِيهِ وَمَا يَسْخِطُهُ، أَمْ تَعْبُدُ آلِهَةً شَتَّى، هَذَا يَأْمُرُكَ أَنْ تُشْرِكَ، وَهَذَا يَأْمُرُكَ أَنْ تُغْرِبَ وَلَا تَعْرِفَ أَيْنَ تَتَّجِهُ؟

التَّوْحِيدَ يُوَحِّدُ الْإِنْسَانَ سِوَى النَّفْسِ، يَعِيشُ لِغَايَةٍ يَعْرِفُهَا، وَعَلَى مِنْهَا يَعْرِفُهُ تَمَامًا وَيُوقِنُ بِهِ، وَلِذَلِكَ كَانَ التَّوْحِيدَ أَسَاسًا

الأمْن النفسِي، والطمأنينة الرُّوحِيَّة، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

يا أيُّها الإخوة، أعلى شعب الإيمان: لا إله إلا الله، أي: التوحيد، التوحيد خلاص من الشرك أكبره وأصغره، جليُّه وخفيُّه، وهذا موضوع يتَّسع القول فيه، فعسى أن نعود إليه في خطبة أخرى.

نسأل الله تعالى أن يحيينا على التوحيد، وأن يميِّتنا على التوحيد، وأن يجعلنا من أهل التوحيد، إنَّه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.



الخطبة الثانية

الحمد لله، ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَوِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [غافر: ٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يسبح له ما في السموات
وما في الأرض، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن سيّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبينا محمدًا عبد الله
ورسوله، البشير النذير والسراج المنير، صلوات الله وسلامه عليه
وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسنته وجاهد جهاده
إلى يوم الدين.

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المؤمنون:

الانتفاضة الفلسطينية تدخل عامها السابع:

تدخل الانتفاضة الفلسطينية، أو ما عرفناه في أوّل الأمر ب: ثورة
المساجد تدخل عامها السابع، ست سنوات مضت، وهذه الانتفاضة على
قلّة إمكانياتها الماديّة ماضية في طريقها، أزعجت أصحاب الترسانة
النوويّة من الإسرائيليين، أشبال الحجارة وأطفال الحجارة هؤلاء أزعجوا
اليهود، فقد رأوا صنفاً جديداً من الناس، وهو ما كانوا يخافونه.

كانوا يخافون أن تتحول المعركة إلى معركة دينية، الإسلام في
مواجهة اليهوديّة الصهيونيّة، أرادوا هم أن تكون معركتهم وحدهم على
أساس الدين، أن يرفعوا راية التوراة، ويحتكموا إلى التلمود، ويعيشوا
على أحلام النبوءات التي جاءت في أسفار العهد القديم.

أمّا المسلمون فينبغي أن تكون معركتهم باسم الوطنية، أو باسم القومية، دون أن يُذكر الإسلام في قليل أو كثير، كانوا قد استناموا إلى هذا الأمر، كانت الراية الوطنية أو الراية القومية هي المرفوعة في النضال الفلسطيني، ولا أقول: الجهاد الفلسطيني؛ فقد كانت كلمة الجهاد نفسها مرفوضة، يسمونه: النضال.

كان اليهود يخشون أن تأتي ثورة تنادي بالإسلام، تخاطب الناس باسم الله، تفعل ما فعله عماد الدين زنكي، أو الشهيد نور الدين محمود، أو صلاح الدين الأيوبي، تُوقد جذوة الإيمان في النفوس، وتحرك الناس ب: لا إله إلا الله والله أكبر، ترفع أمام الناس المصاحف وتقول: يا خيل الله اركبي، ويا كتائب الله سيري، ويا ريح الجنة هبّي.

هذا ما كان يخشاه اليهود، كانوا يجمعون جموعهم من الشرق والغرب، من اليهود الذين اختلفت جنسياتهم، واختلفت بلدانهم، واختلفت طرائق عيشتهم، كانوا يجمعون هؤلاء على أساس العقيدة اليهودية.

ولكنهم لم يكونوا يريدون للمسلمين أن يجتمعوا على أساس العقيدة الإسلامية، هذا ما كانوا يخشونه، وفي سنة (١٩٤٨م) حينما ذهب بعض الشباب المتطوعين من إخواننا في مصر من أبناء الجامعات المصرية، والجامعة الأزهرية، وأبناء العمال والفلاحين، حينما وجدوا صنفاً جديداً يقابلهم بروح الإيمان المتحدي، الذي لا يخاف الموت، ولا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه.



اليهود يخافون المتطوعين:

قال أحدهم لأحد الضباط المصريين الرائد معروف الحضري رَحِمَهُ اللهُ ،
وقد حكى لنا ذلك في السجن الحربي قال حينما أسره اليهود، وبعد مدة
وقد اطمئنوا إليه واطمأن إليهم بالمعايشة قالوا: تريد الصراحة؟
قال: نعم.

قالوا: نحن لا نخاف من الجيش المصري ولا الجيش العراقي
ولا الجيش العربي كله، ولكننا نخاف هؤلاء المتطوعين.

يخافون أن تمتد هذه الانتفاضة الإسلامية وتعمق وتنتشر حتى يظهر
من جديد صلاح الدين، هذا ما كانوا يخافونه، ولذلك عملوا كل
ما يستطيعون لإخماد جمرة هذه الانتفاضة: التعذيب، الاعتقال، السجن،
الإبعاد، تكسير العظام، القتل.

لم يبالوا بما يصنعون لكي يفتُّوا في عضد هؤلاء، ولكن هؤلاء
لم ينهزموا أمامهم، كانوا يحملون بين جنوبهم روح القوَّة وقوَّة
الروح، الإيمان خلقهم خلقًا جديدًا، فلم يبالوا بما أصابهم في سبيل
الله، وما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله، وما ضعفوا وما استكانوا،
هكذا كانوا.

ولهذا حينما عجزت إسرائيل أن تواجه هؤلاء، التفت على الموضوع
من ناحية الزعم بقبولها مسيرة السلام، وكانت مفاوضات السلام
المزعومة، ثمَّ انتهت مفاوضات السلام إلى المفاوضات السرية، التي
انتهت إلى ما يسمونه: اتفاق غزة وأريحا.

غزة وأريحا بداية الطريق ونهايته:

قال أحد الرجال العقلاء الكبار في قطر منذ أيام، وقد كنا نتحدث عن هذا الموضوع، قال: كنا نظن أوّل الأمر أنّ اتفاق غزة وأريحا هو خطوة على الطريق. فقبلنا على مضض وقلنا: لا بأس، ندع لإخوتنا الفرصة، هذا أوّل الغيث، وأوّل الغيث قطرة ثمّ ينهمر. الأوّل غزة وأريحا، ثمّ بقية فلسطين، أو على الأقل فلسطين الضفة الغربية ما بعد (١٩٦٧م) يقول: ثمّ بعد فترة بدا أنّ هذا ليس أوّل الطريق، بل هو أوّل الطريق وآخره، ليس هناك شيء بعد غزة وأريحا.

يقول: ثمّ بعد ذلك انتهى الأمر إلى أنّه حتّى لا غزة ولا أريحا.

إسرائيل تريد أن تأخذ كلّ شيء ولا تعطي شيئاً، حتّى غزة وأريحا، اختلفوا على أريحا، هل هي المدينة المحدودة، أم هي المنطقة، منطقة أريحا؟

حتى هذا لا يريد أن يسلم به اليهود، وغزة لا يريدون أن يتركوها، بعدما قالوا الانسحاب، قالوا: لا، إعادة انتشار القوات من جديد.

حتى الانسحاب لم يوافقوا عليه، يريدون أن يبقى المستوطنون المشاغبون كما هم، وأن يحموهم، ألفا مستوطن يحميهم ويحرسهم خمسة آلاف، كل مستوطن له اثنان ونصف من الحراس، أين نحن؟

المقصود هو الالتفاف على هذه الانتفاضة، وكما صرح رابين وبيريز: إنّنا يجب أن نتعاون على سحق الأصولية الإسلاميّة، الأصولية الإسلاميّة هي العدو الآن؛ لأنّها وحدها هي التي تملك أن تجند الناس على أساس من الإيمان، أن تجعل الناس يصمدون ولا يستسلمون.

الأصولية الإسلامية كما يزعمونها هذه هي أصولية الكتاب والسنة، هي الاستناد إلى هذا الركن الركين، والحصن المتين، هي حبل الله ورجلك: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

إننا - من فوق هذا المنبر - نحیی إخواننا وأبنائنا، رجالاً ونساءً، شباناً وشابات، فتیاناً وفتیات، آباء وأمهات، نحیی إخواننا الصامدين والصامدات هناك بهذه المناسبة، مناسبة هذه الذكرى، بداية السنة السابعة من الانتفاضة.

ونقول لإخواننا: اثبتوا على طريقكم، ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ * إن يَمَسَّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴿[آل عمران: ١٣٩، ١٤٠].

﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿[النساء: ١٠٤].

اللهم انصر إخواننا المجاهدين في كل مكان، اللهم انصر إخواننا المجاهدين في فلسطين، وإخواننا المجاهدين في البوسنة والهرسك، وإخواننا المجاهدين في جامو وكشمير، وإخواننا المجاهدين في الفلبين، وإخواننا المجاهدين في الشيشان، وإخواننا المجاهدين في الصومال.

اللهم أيدهم بروح من لدنك، واحفظهم بعينك التي لا تنام، واكلاهم بكنفك الذي لا يرام، ولا تجعل للكافرين عليهم سبيلاً.



اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهم ردّ عنا كيدهم، وقلّ
 حدهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من
 عبادك المؤمنين.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين.
 ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
 الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا
 لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].
 اللهم آمين.

وأقم الصلاة، ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ
 اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].





خطبة عيد الفطر^(١)

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

الله أكبر وإن كانت التليفزيونات العالميّة والعربيّة تخفي هذه الشعارات ولا تكاد تُرى إلا بين الحين والحين حتّى لا يظهر اسم الإسلام.

جيل الله أكبر:

هذا الجيل الجديد الذي ظنّ في يوم من الأيام أنّه قد انتهى، وأنّ الإسلام قد طويت صفحاته من أرض فلسطين إذا به يظهر جيل جديد، جيل الصحوة الإسلاميّة، الصحوة التي عملت عملها في أفغانستان ظهرت في فلسطين، حتّى فلسطين المحتلة من سنة ١٩٤٨م ظهر فيها هذا الجيل يرود المساجد بعد أن هُجرت المساجد، يتلو القرآن بعد أن كان القرآن مهجورًا، يقرأ الكتب الإسلاميّة بعد أن كان قد نسيها، يتجمع على طاعة الله بعد هذه السنين، جيل جديد، جيل إسلامي قرآني، جيل الصحوة الإسلاميّة المباركة، هؤلاء هم الذين أشعلوا ما يسمونه الانتفاضة، الثورة على صهيون، الثورة على اليهود، إعلان الجهاد، هذه الانتفاضة.

(١) ألقيت في عيد الفطر بالملعب الكبير بالإسكندرية، بتاريخ ١ شوال ١٤٠٨هـ الموافق ١٧ مايو

هذه الحركة، هذه المقاومة نستبشر بها، ومنتظر معها ذلك اليوم الذي لا بدّ أن يأتي إن شاء الله، والذي أخبرنا به النبي ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم: «لا تقوم الساعة حتّى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، فيختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي ورأي فتعال فاقتله، إلا الغرقد، فإنه من شجر يهود»^(١).

هل ينطق الحجر ويتكلم الشجر بلسان الحال أم بلسان المقال؟ أيًا كان الكلام فمعنى هذا أنّ كل شيء سيكون في صف المسلم، يكون معه ضدّ عدوه، وإذا كان النصر لك كان كل شيء معك حتّى الحجر والشجر، وإذا كان الخذلان من نصيبك كان كل شيء ضدك حتّى السلاح الذي في يدك.

في يوم من الأيام كان معنا سلاح يسد عين الشمس، ولكن لم نفعل به شيئاً لأن السلاح لا يحارب وحده، السلاح في اليد الذي تستعمله، واليد بالدوافع التي تحركها، بالقلب الذي وراءها، وكما قال المتنبي:

وَمَا تَنْفَعُ الْخَيْلُ الْكِرَامُ وَلَا الْقَنَا إِذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْكِرَامِ كِرَامٌ^(٢)

وقال الطغرائي:

وَعَادَةُ السَّيْفِ أَنْ يُزْهَى بِجَوْهَرِهِ وَلَيْسَ يَعْمَلُ إِلَّا فِي يَدَيْ بَطَلٍ^(٣)

حرب العاشر من رمضان:

ولهذا حينما وُجد دافع إيماني في العاشر من رمضان عام ١٣٩٣هـ، حينما ارتفعت صيحات التكبير في رمضان من الصائمين المؤمنين كان

(١) رواه مسلم في الفتن (٢٩٢٢)، عن أبي هريرة.

(٢) انظر: ديوان المتنبي ص ٣٩٠.

(٣) ديوان الطغرائي ص ٣٠٧، قصيدة لامية العجم.

العبور، وكان اقتحام خط بارليف، وكان تحطيم الأسطورة التي تقول: إنَّ إسرائيل قوة لا تقهر. هكذا يعمل الدافع الإيماني، أعطني إيماناً أعطك نصرًا.

إنَّ الانتفاضة الفلسطينية، ثورة المقاومة الشعبية الإسلامية هي بشارة من البشائر، دلالة من الدلائل، وإن كان الذي يؤسف له أننا نجد بجوار هذا العمل المبارك أشياء أخرى تحز في النفس، وتقطع نياط القلب، الفلسطينيون في لبنان، في المخيمات يُضربون بالقنابل والصواريخ، يُسفك الدم الفلسطيني بأيدي فلسطينية، تحركها قوى مشبوهة، يُقتلون في المخيمات، الأبناء يرمون اليهود بالحجارة، وهؤلاء يرمون بالصواريخ إخوانهم وأهلهم الفلسطينيين.

إنَّ همومنا كثيرة، ولكن هذه بشائر ينبغي ألا ننساها، همومنا - باعتبارنا عربًا، وباعتبارنا مسلمين - هموم كثيرة، لا زلنا في دائرة التخلف، في دائرة ما يُسمَّى «البلاد النامية»، والبلاد النامية تعبير مُهذَّب للبلاد المتخلفة، نحن ما يُسمَّى «العالم الثالث»، ولو كان هناك عالم رابع لكان فينا نحن العرب والمسلمين مَنْ يمكن أن يدخل في دائرة العالم الرابع.

لا زلنا متخلفين، لم نستطع حتَّى اليوم أن نصنع الطائرة، أو نصنع الدبابة، أو نصنع الصاروخ، نحن نسمع اليوم أخبارًا مبشرة أنَّ قواتنا المسلحة تحاول أن تصنع الدبابة وتصنع بعض الأشياء، هذا ما نُسرُّ له، ونتمنى أن نصل إليه، وأن نكون سادة أنفسنا.

إنَّ مشكلتنا نحن المسلمين أننا لم نزل عالمة على غيرنا، حتَّى في القوت الذي نأكله، معظم بلاد المسلمين بلاد زراعية، ومع هذا تستورد

نصف ما تأكله أو أكثر من البلاد الأخرى، والسلاح الذي تدافع به عن نفسها تستورده من بلاد أخرى، ماذا لو كفَّ هذا الآخر يده فلم يعطنا القوت، أو لم يعطنا السلاح؟

أمة سورة الحديد:

إِنَّ الْأُمَّةَ الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهَا سُورَةَ تَسْمَى «سورة الحديد» لم تتقن بعد صناعة الحديد، الصناعات التي أشار إليها القرآن في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرَسُولَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]. فيه بأس شديد: إشارة إلى الصناعات الحربية، ومنافع للناس: إشارة إلى الصناعات المدنية، فماذا صنعنا في هذه وتلك؟ لم نصنع «موتورًا» إلى الآن، نُجَمِّع من هنا ومن هناك ولكننا لا نبدع ولا ننشئ جديدًا، فأبي بلاء أصابنا نحن المسلمين ونحن العرب؟

لا زلنا ممزقين، لم تجتمع كلمتنا، مع أننا أصحاب عقيدة واحدة، وأصحاب كتاب واحد، ونتجه إلى قبلة واحدة، ونؤمن برب واحد وبرسول واحد، ولنا منهج واحد هو شريعة الإسلام.

إِنَّ هُمُونًا نَحْنُ الْعَرَبُ وَالْمُسْلِمِينَ كَثِيرَةً، وَهُمُونًا هُنَا نَحْنُ الْمَصْرِيِّينَ أَيْضًا كَثِيرَةً وَكَثِيرَةً، مِصْرَ الْبَلَدِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِيهِ قَدِيمًا: ﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٦١]. بلد الخيرات يعاني الأزمات الاقتصادية، يعاني الفرد في حياته من الغلاء الذي يشتد يومًا بعد يوم، يعاني الديون بالمليارات التي تطوقنا حينًا بعد حين بما علينا من فوائد الربوية، وما علينا من أقساط يجب أن ندفعها، نعاني من هذا كله؛ كيف نواجه هذا؟

الأزمة المائية، المجاعة المائية التي تهددنا بالعطش، النيل الذي هو سر حياة هذا البلد نقص سنة بعد سنة، سبع سنين عجاف ولم تنته الأزمة، ولم ينته الأمر، وهذا أمر من السماء، هذا أمر من القدر، ماذا نملك؟

علينا أن نصلي صلاة الاستسقاء، علينا أن نستغفر ربنا كما قال نوح لقومه: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح: ١٠-١٢]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

ولكن صلاة الاستسقاء والاستغفار والدعاء وحدها لا تكفي، لا بد أن نواجه الأزمة بعقول متفتحة، بعقول رشيدة تعرف كيف تتصرف، وكيف تخطط؟ فتحسن التخطيط، وكيف تنفذ؟ فتحسن التنفيذ، كما فعل يوسف الصديق عليه السلام حينما واجهت مصر قديماً سبع سنين عجافاً.

لم يكن عبثاً أن يروي لنا القرآن هذه القصة، قصة الأزمة الاقتصادية والتموينية في مصر، وكيف واجهها الصديق يوسف بالتخطيط، بزيادة الإنتاج في السنوات السبع، ثم بقله الاستهلاك في السنوات الجاف، ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا ﴾ [يوسف: ٤٧]، إشارة إلى توالي الإنتاج ومتابعته وزيادته، ﴿ فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ ۖ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا نَأْكُلُونَ ﴾ ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ ﴾ [يوسف: ٤٧، ٤٨]، سبع سنين عجاف ﴿ يَا كُلُّنَا مَا قَدَّمْتُمْ لِهٰنَ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَحْصِنُونَ ﴾ [يوسف: ٤٨]، ثم يأتي بعد ذلك الانفراج، ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ [يوسف: ٤٩].

هكذا خطط يوسف تولى التنفيذ، وأحسن وكان القدوة، كانت في يده خزائن الأرض وهو الحفيظ العليم، القوي الأمين، كان إذا أكل لا يشبع، فقال له بعض مَنْ حوله: بيدك خزائن الأرض، ومع هذا تأكل لقيمات ولا تشبع؟ فيقول لهم: إنني أخاف إذا شبعت أن أنسى جوع الفقراء^(١).

نحن في حاجة إلى أن نخطط، أن نرشد الاستهلاك، حتّى في المياه، النبي ﷺ يقول لسعد بن أبي وقاص، وقد رآه يتوضأ: «ما هذا السرف يا سعد؟!». قال: أوفى الوضوء سرف يا رسول الله؟ قال: «نعم، وإن كنت على نهر جارٍ»^(٢). ليكون الاقتصاد الاعتدال خلقًا من أخلاق المسلم.

مواجهة الأزمة الاقتصادية:

إنّ علينا أن نواجه الأزمة الاقتصادية، والأزمة المائية بهذا الخلق، بالاعتدال في الإنفاق، بترك السرف والترف وحياة البذخ والتبذير، ويبدأ ذلك من القادة والمسؤولين كما فعل يوسف ﷺ.

كما أنّنا في حاجة إلى أن نزيد من إنتاجنا، أن نعمل، نحن للأسف في بلادنا، في بلاد العرب والمسلمين أقل الأمم عملاً، لقد زرت اليابان، وزرت كوريا، وزرت أمريكا، وزرت كندا، وزرت أوروبا فوجدت الناس يعملون ويلهثون ويتعبون، فترتان للعمل صباحًا ومساءً.

كنت في ألمانيا من عدّة أشهر فسألت صاحبي، وكنا حوالي الساعة الرابعة: ما لي لا أرى الناس في الشوارع؟ قال: ولماذا ترى الناس في الشوارع؟ الناس في أعمالهم، كل في عمله. وبعد الساعة السابعة مررنا

(١) إحياء علوم الدين (١٥/٣).

(٢) رواه أحمد (٧٠٦٥)، وقال مخرّجه: إسناده ضعيف. وابن ماجه في الطهارة (٤٢٥)، وضعفه

الألباني في الإرواء (١٤٠)، ثم حسنه في الصحيحة (٣٢٩٢)، عن عبد الله بن عمرو.

فقلت: لماذا لا أرى النَّاس في الشوارع؟ قال: ولماذا ترى النَّاس في الشوارع؟ لقد عادوا إلى بيوتهم مهدودين، وهم ينامون لأنَّ وراءهم عملاً من الصباح. ولكنك تمشي في شوارعنا صباحاً ومساءً وفي منتصف الليل، فتجد الطرقات مليئة ومزدحمة، أليس وراء هؤلاء عمل؟

لقد عجبت حينما قرأت في بعض الصحف أنَّ متوسط عمل الإنسان المصري في اليوم سبع وعشرون دقيقة! كيف نستطيع أن نلحق بركب العالم المتطور إذا كنا لا نعمل ولا ننتج؟ نحن في حاجة إلى أن نضاعف العمل.

لقد بدأت مصر نهضتها مع اليابان أو قبلها في أيام مُحَمَّد علي؛ انظروا أين وصلت اليابان، وأين نحن؟ بل انظروا إلى كوريا التي بدأت نهضتها بعد الحرب العالميَّة الثانية، وهي الآن تغزو بمنتجاتها أسواق العالم، حتَّى أسواق أوروبا وأمريكا.

هل نحن دون البشر؟ أليست لنا عقول كعقولهم، وأيدي كأيديهم؟ لنا والله، ولكننا في حاجة إلى حوافز، في حاجة إلى معانٍ، في حاجة إلى رسالة نعيش لها، هنا يأتي الإيمان، هنا يأتي الدين، الدين لا انفصال له عن الدنيا، نحن في حاجة إلى تعبئة هذه الأمة.

الأمة الإسلامية لا تقوم إلا بالإيمان:

أمتنا لها شخصيَّة، لها روح، لا يحركها ولا يفتح مغاليقها إلا الإيمان، كما أنَّ لكل سيارة مفتاحاً، إذا وضعت فيها مفتاحها الخاص تحركت إلى الإمام، ولكنك لا تستطيع أن تدير السيارة الصالون بمفتاح السيارة النقل، كل سيارة لها مفتاحها، ومفتاح الشخصيَّة عندنا المعاني

الإيمانيّة الربّانيّة، قدّ الأُمَّة بلا إله إلاّ الله، والله أكبر، ارفع أمامها المصحف، أذنّ أمامها تجدها وراءك تتخطى المستحيلات، وتفعل الروائع والعجائب والبطولات، هذا هو مفتاح أمتنا.

أشار القرآن إلى أنّ الإنسان قد يعطي أضعاف الطاقة العادية بالطاقة الرُّوحية والخلقية حينما قال: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: ٦٥]. نحن في حاجة إلى طاقة من الإيمان والصبر والاحتمال والجلد حتّى نثبت وجودنا بين الأمم.

العالم الآن في الثورة الصناعية الثانية، ولعلّه على أبواب ثورة ثالثة، في عصر الصناعة الأول كانت مهمة الآلة أن توفر الجهد البدني للإنسان، أمّا في عصر الصناعي الثاني فمهمة الآلة أن توفر الجهد الذهني للإنسان، عصر الكمبيوتر، نحن لم نلحق عصر الصناعة الأول، والمسافة بيننا وبين غيرنا كبيرة، ولا يمكن أن نعوضها إلاّ بمعانٍ إيمانيّة كبيرة.

علينا أن نجند أمتنا بروح الإيمان، بروح الإسلام، الإسلام هو الحل، وليس معنى هذا أن نرفع شعار «الإسلام هو الحل»، وكل منا يتفرج، لا، بل على كل منا أن يحاول أن يطبق الإسلام على نفسه، وعلى أسرته، وأن يدعو إليه غيره، أصلح نفسك وادع غيرك.

يقول بعض الناس: لقد صار لكم سنين وسنين وأنتم تدعون إلى الإسلام، خمسون سنة وأنتم تنادون بالإسلام؛ فماذا صنعتكم؟ تتكلمون عن الإسلام؛ فماذا فعلتم؟ قيل هذا لبعض الدعاة فقال له: إذا كان لنا خمسون سنة نتكلم عن الإسلام فماذا فعلتم وأنتم لكم خمسون سنة تسمعون منا عن الإسلام؟ هل المسؤوليّة على المتكلم وليست على

السامع؟ هل مهمتك أيها المسلم أن تسمع عن عظمة الإسلام ولا تعمل لدينك شيئاً؟ لم نعمل لديانا ولم نعمل لدينا.

الآخرون عملوا لديناهم، بل وعملوا لدينهم، اليهودية أقامت دولة في قلب ديارنا العربية والإسلامية، وسمّتها باسم ديني تاريخي «إسرائيل»، والنصرانية تعمل لنشر دينها في العالم، حتّى بين المسلمين، ورصدت لذلك ألف مليون دولار.

كنت من عدّة أشهر في دار السلام في تنزانيا في أفريقيا، وكان معنا أحد الإخوة لواء على المعاش في السودان، قال: بعد استقلال السودان ذهبت إلى جنوب السودان، إلى قرية لم تر سيارة قط في حياتها، فحينما دخلت بسيارتي فرّ الناس هاربين، ظنوا أنّ هذه السيارة شيئاً من الجن أو الأشباح أو نحو ذلك، ثمّ جمعت الناس وهدّأتهم.

قال: وبينما أنا معهم سمعت جرّساً، فقلت لهم: هل هنا مدرسة؟ قالوا: لا، ولكن هذا أبونا جاء ومعه الحلوى والأدوية، معه حقيبتان، حقيبة للحلوى والأخرى للأدوية. من أبوهم هذا؟ مُبشّر بلجيكي، انطلقوا إليه وسأله هذا اللواء: من أين جئت؟ قال: من بلجيكا. قال: كم لك هنا؟ قال: ثلاثون سنة. قال: كم مرّة عدت إلى بلدك؟ قال: ولا مرّة واحدة. قال: ومتى تنوي العودة؟ قال: وما حاجتي إلى العودة؟ بيتي هنا، وقبري هنا، ورسالتي هنا. قال: هذه بلدة لم ندخلها نحن قط، وهذا الرجل يطوف بين هذه القرى إما على قدميه أو على دراجة.

ماذا قدمنا نحن لدينا؟ وماذا قدمنا لدينا؟ إنّ علينا أن نعمل ونعمل الكثير، ومصر بالذات مطلوب منها أكثر ممّا يُطلب من غيرها، فهي القبة الثقافية للعالم الإسلامي، ماذا فعلت المؤسسات الإسلامية؟ ماذا

فعل الأزهر الشريف أمام هذه الهجمات وأمام هذه الغزوات الشرسة من أناس مسلحين بالعلم والمال والدهاء والتخطيط؟ ماذا فعلنا؟

ماذا قدمنا لديننا؟

إننا في حاجة إلى أن نعرف مهمتنا، إننا قادرون على أن نفعل الكثير لو اعتصمنا بحبل الله تبارك وتعالى، لو رجعنا إلى الله، لو وقف بعضنا مع بعض صفًا واحدًا، ننسى الخلافات الجانبية، ونتجاوز المعارك الجزئية، ونقف كما أراد الله تعالى في معركة تحرير الأمة، ومعركة البناء، ومعركة تحكيم الشريعة الإسلامية صفًا واحدًا، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرَّضُونَ﴾ [الصف: ٤].

يا أيُّها الإخوة، هذه خواطر مسلم يعيش بهموم المسلمين، ومن لم يهتم لأمر المسلمين فليس منهم، خواطر لا يملك الإنسان إلا أن يبثها في يوم العيد، وإن كان يوم العيد يوم فرحة، ويوم سرور، ولكن كيف نفرح وحالنا كما ترون؟ رحم الله الشاعر الذي قال:

قالوا: عَجِبْنَا مَا لِشِعْرِكَ بَاكِيًا في العيدِ ما هذا بشعر مُعَيِّدٍ؟!
ما حيلةُ العصفورِ قَصُّوا ريشَه ورمَّوه في قفصٍ وقالوا غَرْدٌ^(١)؟!!

ومع هذا لا نبيس أبدًا، إنَّ الغد لهذا الدين، إنَّ المستقبل لنا نحن العرب والمسلمين، إن عندنا النور الذي لا يخبو، عندنا الحل لكل مشكلة، الحل الإسلامي، وهو فريضة وضرورة، فريضة يحتمها الدين، وضرورة يحتمها الواقع، ويحتمه منطق التاريخ، وليس لنا إلا الرجوع إلى الإسلام الصحيح، دون دعاوى عريضة، ودون كلام كثير، ودون تطاول على خلق الله.

(١) الأعمال الكاملة للشاعر محمود غنيم (١٠٣/١)، نشر دار الغد العربي، ١٩٩٣م.

على كل منا أن يأخذ بنصيبه في تطبيق الشريعة على نفسه، الحاكم والمحكوم على السواء، ليس تطبيق الشريعة شأن الحاكم فقط، بل شأن المحكومين أيضًا، هناك أمور كثيرة، ويجب أن نبدأ بأنفسنا، وأن نغير ما بها حتى يغير الله ما بنا.

إذا كان منطق الماركسيّة: غيّر الاقتصاد، وغيّر علاقات الإنتاج يتغير التاريخ. فمنطق القرآن ومنطق الإسلام: غيّر نفسك يتغير التاريخ. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل يومنا خيرًا من أمسنا، وأن يجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأن يحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأن يجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وأن يجمع كلمة هذه الأمة على الهدى، وقلوبها على التقى، ونفوسها على الحب فيه، وعزائمها على الجهاد في سبيله، ونياتها على عمل الخير وخير العمل.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧]، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، اللهم آمين.

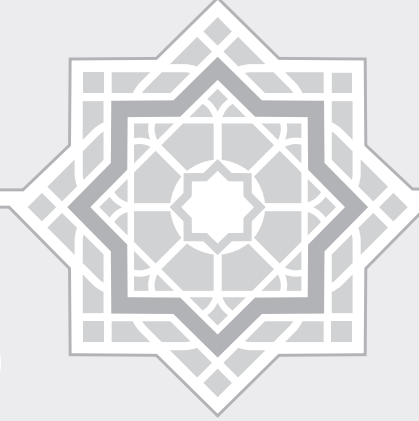
وصل اللهم على سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه وسلّم، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصفات: ١٨٠ - ١٨٢]، ولا إله إلا الله، والله أكبر والله الحمد.



مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ

لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ

يُوسُفَ الْقُرْظَبَاوِيِّ



الفهارس العامة



- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس الموضوعات.







فهرس الآيات القرآنية الكريمة



رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
سورة الفاتحة		
٥	٣٧٥	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾
٦	١٣٨	﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾
٧	١٣٨	﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾
سورة البقرة		
٣	١٩٣	﴿وَمِمَّا رَزَقْنَهُمْ يُنْفِقُونَ﴾
٤	١٧٥	﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾
٨ - ١٠	٢٧٧	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾
١٠	٣٠٠	﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾
١١	٢٨١	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾
١٢	٢٨١	﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾
١٤	٢٧٧	﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَأَمَنُوا قَالُوا ءَأَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾
١٥	٢٧٧	﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾
٢٥	٢٥٢	﴿الَّذِينَ ءَأَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٢٤٦	٣٠	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾
٣٣٦	٤٠	﴿وَأَوْفُوا بَعْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ﴾
٣٩٢	٦١	﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَآسَأْتُمْ﴾
٩٨	١٢٠	﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾
٢٥٢ ، ٤١	١٤٣	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾
١٠٠	١٧٣	﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
٣٦٠	١٧٤	﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾
٣٤٧ ، ٣٣٤	١٧٧	﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾
١٩٨	١٨٠	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ﴾
٢٤٥ ، ٩٤	١٨٣	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾
٣٧٤	١٨٦	﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾
١١٨	١٨٧	﴿هُنَّ لِيَأْسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَأْسُ لَهُنَّ﴾
٢١٧ ، ١٧٤ ، ١٠٩	٢٠١	﴿رَبَّنَا ءَانِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾
٣١	٢١٤	﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾
١٩٨	٢١٥	﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾
١٣٥	٢١٧	﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوا﴾
٣٧٦	٢٢٠	﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾
٣٧٣	٢٥٦	﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾
٩٩	٢٨٦	﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة آل عمران		
٨٠	٥٤	﴿ وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ ﴾
٣٧٨	٦٤	﴿ يَتَأَهَّلَ الْكُذِّبُ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾
٣٤٤	٧٥	﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّتِنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾
٣٣٤	٧٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾
١٤٠	١٠٠	﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ ﴾
١٤٠	١٠١	﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾
١٤٠	١٠٢	﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾
١٤٠، ١٣٩، ٣٨٧، ٣٦٥	١٠٣	﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾
١٤٠	١٠٤	﴿ وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾
١٤١	١٠٥	﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾
١٤١	١٠٦	﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾
١٠٢	١١٠	﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾
٩١	١٣٧	﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾
٣٨٧	١٣٩	﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا ۗ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾
٣٨٧، ٩١	١٤٠	﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ﴾
١٥٧، ١٣٤، ١١٣، ٢٩٤، ٢٧٥، ٢١٩، ٣١٥، ٣٥٠، ٣٨٨، ٣٩٩	١٤٧	﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٨٣	٧٥	﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقِيلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ﴾
١٤ ، ٤	١٠٠	﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ^٤ ﴾
٣٨٧	١٠٤	﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ ﴾
٣٥٩	١١٢ - ١٠٥	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ ﴾
٣٢٠	١٠٧	﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ^٤ ﴾
٣٥٤	١٢٠	﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ^٥ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾
٣٣٧	١٢٨	﴿ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ ﴾
٢٧٩	١٣٨	﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾
٢٧٩	١٣٩	﴿ الَّذِينَ يَنْخَدُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ^٤ ﴾
٢٨١	١٤١	﴿ الَّذِينَ يَرْتَبِصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِنْ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ ﴾
٢٩١ ، ٢٨٣	١٤٢	﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ ﴾
٢٨١	١٤٣	﴿ مُدْبِدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ ^٤ ﴾
٢٧٧	١٤٥	﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾
٢٩٢	١٤٦	﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾
سورة المائدة		
٣٤٠	١	﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾
١٤٦	٢	﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾
٣٥٨	٨	﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ^٥ ﴾
٢٠٥	٢٧	﴿ قَالَ لَأَقْبَلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٢٠٥	٢٨	﴿لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾
٢٠٥	٣٠	﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ، فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾
٣٢٨	٣٨	﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾
٢٧٩	٥١	﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾
٢٦٦	٥٤	﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾
١٥٤، ١٥٣	٦٤	﴿وَالْقِيَنَاءَ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾
١٠٤، ١٠٣	٧٨	﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى﴾
١٠٤، ١٠٣	٧٩	﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾
سورة الأنعام		
٣٧٣	١٤	﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾
٣١٠	٢١	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾
١٥٤، ٩٠	٦٥	﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾
٣٨٢	٨٢	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾
٩٠	٩٨	﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ﴾
٣٣٦	١٥٢	﴿وَيَعْبُدِ اللَّهَ أَوْفُوا﴾
١٣٨	١٥٣	﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾
١٨	١٦٢	﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
١٨	١٦٣	﴿لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾
٣٧٣	١٦٤	﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة الأعراف		
٢٤٧ ، ١٧٨	٣١	﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ حُدُوًا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾
٢٤٧ ، ١٧٩ ، ١٧٨	٣٢	﴿زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾
١٦٢	٣٤	﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾
٣٥٤	٤٤	﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾
٢٣٤	٥٨	﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾
٣٧٢	٥٩	﴿يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾
٦٨	٨٦	﴿وَأذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ﴾
٣٩٣	٩٦	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾
٧٢	١٥٨	﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾
٣٣٦	١٧٢	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾
٣٣٦	١٧٣	﴿أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَهِيَ كُنَّا﴾
١٣٠	١٨١	﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهُودُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾
سورة الأنفال		
٣٢٧ ، ٣١٨	٢٧	﴿يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ﴾
٤١	٣٠	﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾
١٤١	٤٦	﴿وَلَا تَنْزِعُوا فَأَنْفُسُكُمْ وَأَنْفُسُكُمْ تَنْزِعُهَا﴾
٩١	٥٣	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغْتَبَرًا تَغْتَبَرَنَّ عَنْهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّىٰ يَعْبُرُوا مَا بَانَفْسِهِمْ﴾
٣٤٣	٥٥	﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٥٦	٣٤٣	﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْفُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَنْقُونَ﴾
٥٨	٣٢٠	﴿وَمَا تَخَافَتَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ﴾
٦٠	٣٤٩	﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾
٦١	٢٨٤ ، ١٢٦	﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾
٦٢	٩١	﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ﴾
٦٥	٣٩٦ ، ٩٢	﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾
٧١	٣٢٧	﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾
٧٢	١٤٥	﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾
سورة التوبة		
٤	٣٤٢	﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْفُضُوا شَيْئًا﴾
٦	٣٤٥	﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾
٧	٣٤٢	﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتَّ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾
١٠	٣٣٤	﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَاذِمَةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾
١٩	١١٦	﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾
٢٠	١١٦	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾
٢٣	١١٨ ، ٤	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾
٢٤	١٢٥	﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾
٣١	٣٧٨	﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾
٣٢	٨٣ ، ٥٩ ، ٢٨	﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾
٣٣	٨٣ ، ٢٨	﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٢٨٨	٤٩	﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أُنذِرْنِي وَلَا تَفْتِنِي ۗ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ ﴾
١٠٠	٥١	﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۗ ﴾
٢٩١	٥٤	﴿ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ۗ ﴾
٢٨٨	٥٨	﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا ۗ ﴾
٢٨٨	٦١	﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۗ ﴾
٢٨٨	٦٢	﴿ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِرِضْوَانِكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ ۗ ﴾
٢٧١، ١٠٣، ١٠٢	٧١	﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ۗ ﴾
٢٩٢	٧٣	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۗ ﴾
٣٠٠، ٢٨٨ ٣٥٤، ٣٣٧	٧٥ - ٧٧	﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ۗ ﴾
٩٢	٨١	﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ۗ ﴾
٩٢	٨٧	﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۗ ﴾
١٥	٩٢	﴿ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ۗ ﴾
٢٨٨	٩٦	﴿ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِرِضْوَانِهِمْ فَإِنْ تَرَضُوا عَنْهُمْ ۗ ﴾
٩٤	١٠٣	﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ۗ ﴾
٩٣	١٢٢	﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ۗ ﴾
٩٣	١٢٧	﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَاكُمْ ۗ ﴾
سورة يونس		
١٧٤	٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا ۗ ﴾
١٧٤	٨	﴿ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۗ ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٢٥٠	١٣	﴿ وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾
٣٧٤	١٨	﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾
٣٧٥	٢٢	﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِم ﴾
٣٧٤	٣١	﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ ﴾
٣١١	٥٩	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا ﴾
٢٦٢	٨٣	﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ ﴾
٣٧٣	١٠٧	﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾
سورة هود		
٢٤٦	٦١	﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾
٨٥، ٣٠	١٠٢	﴿ وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾
٣٠	١٠٣	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴾
سورة يوسف		
٢٠٦	٨	﴿ لِيُؤَسِّفَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيَّ أَيْنَا مَنَا ﴾
٢٠٦	٩	﴿ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾
٢٦١	٢٣	﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَنَازِلًا ﴾
٢٦١	٣٢	﴿ فَذَلِكَ الَّذِي لُمْتَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾
٢٦١	٣٣	﴿ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ ﴾
٣٨٢	٣٩	﴿ يَصْحَبِي السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾
٣٩٣	٤٧	﴿ فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٩٣	٤٨	﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ ﴾
٣٩٣	٤٩	﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصِرُونَ ﴾
٣٢٠	٥٢	﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾
٢٤	٨٧	﴿ إِنَّهُ، لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾
٢٠٦	٩٠ - ٩٢	﴿ أءَنْتَ لِأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي ﴾
٢٠٦	١٠٠	﴿ وَرَفَعَ أَبُوبِهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ ﴾
٢٧١	١٠٨	﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾
٣١	١١٠	﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَوَدَّوْا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾
سورة الرعد		
٩٨	٨	﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾
٣٩٩	١١	﴿ إِبْرَئِيلَ اللَّهُ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَ حَتَّى يَغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾
٣٣٤	١٩	﴿ إِنَّمَا يَنْذَرُكُمْ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾
٣٤٧ ، ٣٣٤	٢٠	﴿ الَّذِينَ يُوْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْفُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾
٣٣٥ ، ٢٢٧	٢٥	﴿ وَالَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ﴾
سورة إبراهيم		
٣٥٤	٢٢	﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ ﴾
سورة الحجر		
٧١	٩	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾
٢٤	٥٦	﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
سورة النحل		
٣٦	٣٧٢	﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾
٥٨	٢١٠	﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾
٥٩	٢١٠	﴿يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾
٨٩	٧٢	﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾
٩٠	٢١٦، ١٩٨	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾
٩١	٣٤٦، ٣٣٦	﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾
٩٥	٣٣٥	﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾
١٠٥	٢٩٦، ٢٢٧	﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾
١٠٦	١٠٠	﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾
١١٦	٣١١	﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾
١٢٥	٢٧١	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾
سورة الإسراء		
١	١٣١	﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾
١٥	٩٩	﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَأَتَمَّ يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَأَتَمَّ يَضِلْ عَلَيْهَا﴾
٢٣	١٩٨	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾
٢٦	١٨٠	﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْدُرْ تُبْدِيرًا﴾
٢٧	١٨٠	﴿إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾
٢٩	١٧٨	﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾



رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
سورة الكهف		
١٣	٢٦٢	﴿ تَحْنُ نَفْسٌ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ ﴾
١٤	٢٦٢	﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
١٥	٢٦٢	﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمًا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمُ ﴾
٢٩	٩٩	﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾
٥٩	٢٥٠	﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهَلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾
٩٨	٣٥٤، ٢٩	﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾
١٠٥	١٢٠	﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴾
١١٠	٢٢	﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾
سورة مريم		
١٢ - ١٤	٢٦٢	﴿ يَلِيحِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾
٤١	٢٩٧	﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾
٥٦	٢٩٧	﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيْسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾
سورة طه		
٦١	٢٩٩	﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ﴾
٧٠	٦١	﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾
٧١	٦١	﴿ ءَامَنَّا لَهُ، قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾
سورة الأنبياء		
٢٥	٣٧٢	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾
١٠٧	٧٢	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة الحج		
٩٤	٢٨	﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾
٣٣٨	٢٩	﴿ وَلِيُوفُوا نُدْوَهُمْ ﴾
٣٨١، ٣٨٠	٣٠	﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾
٣٨١، ٣٨٠	٣١	﴿ حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ ﴾
١٧	٣٢	﴿ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾
١٧	٣٧	﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤها وَلَكِنْ يَنَالُهُ النُّفُوسُ مِنْكُمْ ﴾
٩١	٤٠	﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾
٢٩	٤٧	﴿ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾
٣٧١	٧٣	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ ﴾
سورة المؤمنون		
٣١٨	٧ - ١	﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾
٣٣٤، ٣١٨	٨	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾
٣١٨	١١، ١٠	﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾
٣٦٦	١٠٩	﴿ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾
سورة النور		
٢٣١، ٢٣٠	٤	﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾
٢٣١، ٢٣٠	٥	﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
٢٢٩	١١	﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُمْ شُرَكَاءَ لَكُمْ بَلْ هُمْ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٢٣١، ٢٣٠، ٢٢٩	١٣، ١٢	﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾
٢٣٢	١٤	﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾
٢٣٢	١٩ - ١٥	﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾
٢٣١	١٦	﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ﴾
٢٣٤	٢٦	﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾
٢٣٩	٣٦	﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾
٢٣٩، ١٧٤	٣٧	﴿رِجَالٌ لَا نُلْحَمُهُمْ تِجْرَةً وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾
٢٨٠	٥١ - ٤٧	﴿وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فِرْقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾
٦٠	٥١	﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾
٢٩	٥٥	﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾
سورة الفرقان		
٩٨	٢	﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾
٣٨٠	٤٣	﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾
٣٨٠	٤٤	﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾
١٩١	٦٢	﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾
١٧٨	٦٧	﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَعُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾
سورة الشعراء		
١٦٤	٢١٤	﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾
٢٥٠	٢٢٧	﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة النمل		
٩٩	٤٠	﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾
٢٥٠	٥٢	﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾
٣٠	٩٣	﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ ۖ فَاعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾
سورة القصص		
٣٢١	٢٦	﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾
سورة العنكبوت		
١٣٤، ١١٤، ٩٤ ٢٥٦، ٢١٩، ١٥٨ ٢٩٤، ٢٧٥ ٣٥١، ٣١٦ ٣٨٨، ٣٦٦	٤٥	﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾
٣٧٤	٦١	﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾
سورة الروم		
١٧٥	٦	﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾
١٧٥	٧	﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾
١١٨	٢١	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾
٣٦٩	٣٠	﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾
١٩٨	٣٨	﴿فَإِنَّ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ۚ وَالْمَسْكِينُ وَالْإِنْسَانُ عَلَىٰ سَبِيلٍ﴾
٩١	٤٧	﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾
٢٥٩	٥٤	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة لقمان		
١٩٨	١٤	﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَلَّهُ، فِي عَامَيْنِ ﴾
سورة الأحزاب		
٢٠٨	٦	﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾
٣٤٠، ٣٣٩	٧	﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾
٣٢	٩	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ ﴾
٣١	١٠	﴿ إِذْ جَاءَ وَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ ﴾
٣١	١١	﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾
٣٣٥، ٣٢	١٣	﴿ إِنَّ بَيْوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾
٣٣٥	١٥	﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ لَا يُؤَلِّفُوا الْأَدْبَرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴾
٣٢	٢٢	﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾
٣٣٩	٢٣	﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَجْبَهُ ﴾
٣٢	٢٥ - ٢٧	﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغِيظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾
٦٠	٣٦	﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾
١١٣، ١٣٤، ١٥٨، ١٩٥، ٢١٩، ٢٥٥، ٢٧٥، ٣١٦، ٣٥٠، ٣٦٦	٥٦	﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ ﴾
٢٢٢	٥٨	﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا ﴾
٣١٩	٧٢	﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
سورة سبأ		
٣٩	٨٦	﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾
سورة فاطر		
١٠	٢٧٩	﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾
٤٣	٨٨	﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾
سورة يس		
٦٠	٣٣٦	﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾
٦١	٣٣٦	﴿ وَإِنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾
سورة الصافات		
٩٦، ٩٥	٣٧١	﴿ اتَّعْبُدُونَ مَا نَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾
١٠٢	٢٦٠	﴿ قَالَ يَا بَنِي آدَمَ أَفَعَلَ مَا تُؤْمَرُونَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾
١٨٠ - ١٨٢	٣٩٩	﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾
سورة الزمر		
٣	٣٧٤، ٢٩٩	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾
١١	١٨	﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾
١٤، ١٥	١٨	﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي * فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾
١٨	١٧٦	﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ﴾
٢٠	٣٥٤	﴿ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴾
٤٥	٢٩١	﴿ وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ شَمَّرَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
سورة غافر		
٣	١٩٤، ٢١٨، ٢٩٣، ٣٨٣	﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَاقِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴾
١٩	٣٣٠	﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾
٢٨	٢٩٩	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴾
٣٨ - ٤٠	١٧٣	﴿ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾
سورة فصلت		
٣٤	١٤٧	﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾
٤١	٧١	﴿ وَإِنَّهُ لَكِنْدٌ عَزِيزٌ ﴾
٤٢	٧١	﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾
٤٦	٩٩	﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾
٥٣	٢٩، ٣٠	﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾
سورة الشورى		
٤٩	٢١٠	﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾
سورة الجاثية		
٣٢	١٧٤	﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ ﴾
سورة الأحقاف		
١٥	١٩٨	﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾
سورة محمد		
٧	٩١	﴿ إِنْ نَصْرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
١٩٨	٢٢	﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾
١٩٨	٢٣	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴾
٣٨٧	٣٥	﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَلِكُمْ ﴾
سورة الفتح		
٢٩ ، ٢٨	٢٨	﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ ﴾
سورة الحجرات		
٢٢٩	٦	﴿ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنِيٍّ فَتَبَيَّنُوهُ ﴾
٢١٦ ، ١٤٢ ، ١٣٣	١٠	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾
٢٣٠	١١	﴿ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴾
٢٢٢	١٢	﴿ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبَوْا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّك بِبَعْضِ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾
٣٧٩ ، ١٢٠	١٣	﴿ إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْقَضَكُمْ ﴾
سورة الذاريات		
٢٤٦	٥٦	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾
سورة النجم		
١٧٥	٢٩	﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾
١٧٥	٣٠	﴿ ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾
٣٣٩	٣٧	﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴾
سورة القمر		
٩٨	٤٩	﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة الرحمن		
٢٩٨	٤، ٣	﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾
٩٨	٧، ٥	﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُحْسَبَانِ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾
١٧٧	٩ - ٧	﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾
سورة الواقعة		
١٨٨	٤٥ - ٤١	﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴾
سورة الحديد		
١٦٣، ٤	٢٠	﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ * وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ ﴾
٣٩٢، ١١١	٢٥	﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ ﴾
سورة المجادلة		
٣٠٠	١٤	﴿ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾
سورة الحشر		
٣٣٧، ١٤٤	٩	﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ * وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ ﴾
١٩٥، ١٥٨، ١٤٣ ٣٥٠، ٢٩٤، ٢٥٥ ٣٩٩، ٣٨٨، ٣٦٦	١٠	﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾
١٥٣	١٤	﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾
سورة الصف		
٣٥٤	٢	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾
٣٥٤	٣	﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾
٣٩٨، ١٥٠، ٦٤	٤	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ * صَفًا كَانْتَهُم بَيْنَ مَرْصُوصٍ ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣١٠	٧	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ ﴾
٥٩ ، ٢٨	٩	﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ﴾
سورة الجمعة		
٢٤١	١٠	﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾
سورة المنافقون		
٢٩٩	١	﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ﴾
٢٨٨	٢	﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾
٩٣	٣	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾
١٦٢	١١	﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾
سورة الطلاق		
١٠٠	٧	﴿ لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا ءَاتَاهَا ﴾
سورة التحريم		
٢٠٢	٦	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾
سورة الملك		
٢١	٢	﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾
٣٧٦	١٤	﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾
سورة القلم		
٢٢٩	١١	﴿ هَمَزَ مَشَاءَ بِنَمِيمٍ ﴾
سورة نوح		
٣٩٣	١٠ - ١٢	﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
سورة المدثر		
٣٨	٩٩	﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾
سورة الإنسان		
٧	٣٣٨	﴿يُؤْفُونَ بِالَّذِينَ خَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾
سورة النازعات		
٣٧ - ٣٩	١٧٥	﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿١﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣﴾﴾
سورة البروج		
٢٠	٨٠	﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾
سورة الطارق		
١٥ - ١٧	٨٠، ٤١	﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿٢﴾ فَمَهْلِكُ الْكَافِرِينَ أَهْلَهُمْ رُودًا ﴿٣﴾﴾
سورة الفجر		
٦ - ١٤	٣٠	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿١﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٢﴾﴾
سورة البلد		
٤	١٧١، ١٧١	﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾
سورة البينة		
٥	١٨	﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾
سورة العصر		
١ - ٣	١٠٥	﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾
سورة الفلق		
٥	٢٢٤	﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾





فهرس الأحاديث النبوية الشريفة



رقم الصفحة	الحديث
	أ
١٤٠	أبدعوى الجاهليّة وأنا بين أظهركم؟ دعوها فإنّها منتنة
٢٢٣	أندرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون الناس
٢٧٤	انقوا الله في البهائم المعجمة، فاركبوا صالحه، وكلوها صالحه
٣١٩	أدّ الأمانة لمن ائتمنك، ولا تخن من خانك
١١٩	إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلاّ تفعلوه تكن فتنة في الأرض
١٤٢	إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار
٣٢٧	إذا حدّث الرجل حديثاً، فالتفت فهي أمانة
٣٣٣، ٢٧٨	إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوّتمن خان
١٠٦	إذا رأيتم أمتي تهاب الظالم أن تقول له: أنت ظالم، فقد تودع منهم
٣٢٣	إذا ساد القبيلة فأسقهم، وكان زعيم القوم أرذلهم
٣٣٠	إذا ضيّعت الأمانة فانتظر الساعة
١٨٦	إذا ما وقعت لقمة أحدكم، فليمط عنها الأذى، وليأكلها، ولا يدعها للشيطان
٣٧٦	أذن في أذني الحسن حين ولدته فاطمة بالصلاة
٣١٩	أربع إذا كنّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا

رقم الصفحة	الحديث
٣١٧، ٢٩٥	أربعٌ من كُنَّ فيه كان مُنَافِقًا خالصًا، ومن كانت فيه خَصْلَةٌ منهنَّ
٢٦٧	استعاذ النبي ﷺ من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع
١٧٣	اشترى من يهودي طعامًا إلى أجل، ورهنه درعه
٢٥١	أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه
٢٤١، ١٠٨	اعقلها وتوكل
٢٦٤	اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك
١٩٩	أفضل الصدقة: الصدقة على ذي الرحم الكاشح
١١٠	أكثر ما يدعو به النبي ﷺ: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً...﴾
٢٣٥	ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟... ثكلتك أمك يا معاذ
١٣٦	ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟
٣٠٦	ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الإشراف بالله، وعقوق الوالدين
٢٢٤	ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا: بلى. قال: المشاؤون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة
٣٢٠	اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من الجوع؛ فإنَّه بئس الضجيع - الذي يضاجع الإنسان
٣٥٢	اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق
١٧٥	اللهمَّ لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا
٣٧٨	أما إنَّهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنَّهم كانوا إذا أحلُّوا لهم شيئًا استحلُّوه
٢٨٩	إنَّ أخوف ما أخاف عليكم منافق عليم اللسان
١٦٥	إنَّ أشدَّ النَّاسِ بلاء الأنبياء، ثمَّ الأمثل فالأمثل
٨٨، ٣٦	إنَّ الله زوى لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها
٣٢٥، ٢٠٢	إنَّ الله سائلٌ كل راعٍ عمَّا استرعاه، حَفِظَ أم ضَيَّعَ



رقم الصفحة	الحديث
٢٤٥ ، ٢٤٤	إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ
١٨٠	إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ
١٦	إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ
٨٥	إِنَّ اللَّهَ لِيَمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلْتِهِ
٢٤٥	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَنْ أَحَدَكُمْ إِذَا عَمَلَ عَمَلًا أَنْ يَتَّقَنَهُ
١٠٤	إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ
٥	إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأُتِيَ بِهِ
١٥	إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ
١٦٤	إِنَّ الرَّائِدَ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ، وَاللَّهُ لَوْ كَذَبْتُ النَّاسَ جَمِيعًا مَا كَذَبْتُمْ
١٧٩	إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرَمَ، حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ
٢٣٥	إِنَّ الرَّجُلَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ لَا يَرَىٰ بِهَا بَأْسًا، يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ
٢٤٣	إِنْ شِئْتُمْ أُعْطِيْتُمْ كَمَا، وَلَا حِظَّ فِيهَا لِغَنِيِّ، وَلَا لِقَوِي مَكْتَسَبَ
٢٣٥	إِنَّ الْعَبْدَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يَلْقَىٰ لَهَا بِأَلًا
٣٥٦	إِنَّ الْغَادِرَ يُنْصَبُ لَهُ لُؤَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ
٢٦	إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ - شَتْلَةٌ أَوْ نَخْلَةٌ صَغِيرَةٌ -
٢٤٤	إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَىٰ عَلَىٰ أَبْوِينَ كَبِيرِينَ، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
٢٢٢	إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدْ بَهْتَهُ
٣١٢	إِنَّ الْكُذْبَ يَكْتُبُ كَذِبًا حَتَّىٰ تَكْتُبَ الْكُذْبِيَّةَ كُذْبِيَّةً
٢٥٢ ، ١٢٣	إِنْ لَبَدْنَاكَ عَلَيْكَ حَقًّا
٢١٢	إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَىٰ، وَكُلُّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ، وَلْتَحْتَسِبْ
٢٢٤	إِنَّ مَنْ أَحْبَبَكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا

رقم الصفحة	الحديث
٣٠٨	إِنَّ مَنْ أَفْرَى الْفَرَى - أَي: مَنْ أَكْذَبَ الْكُذْبَ وَأَقْبَحَهُ - أَنْ يَرِي عَيْنِيهِ مَا لَمْ تَرِ
٣٣٨	إِنَّ النَّذْرَ لَا يُقَدَّمُ شَيْئًا وَلَا يُؤَخَّرُ، وَإِنَّمَا يَسْتَخْرَجُ بِالنَّذْرِ مِنَ الْبَخِيلِ
١٩	إِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ الرَّيَاءِ شَرٌّ، وَمَنْ عَادَى أَوْلِيَاءَ اللَّهِ فَقَدْ بَارَزَ اللَّهَ بِالْمُحَارَبَةِ
١٧	أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءَ عَنِ الشُّرْكَ، فَمَنْ عَمَلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتَهُ وَشِرْكَهَ
٣٤٣	إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدَ
١٢٤	أَنْتُمْ يَوْمئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غَثَاءٌ كَغَثَاءِ السَّيْلِ
١٤٥	انصِرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا
١٨٦	إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمُ الْبِرْكَهَ
١٨٥	إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّهِ الْبِرْكَهَ
٧٤	إِنَّكُمْ يَوْمئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغَثَاءِ السَّيْلِ
٢١، ١٣، ١٦	إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى
٣٥٧	إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّهُ يَأْتِينِي الْخِصْمُ، فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغُ مِنْ بَعْضِ
١٤٢	إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ
١٢٠	إِنَّهُ لِيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمَ السَّمِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزْنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ
١٥٥	إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَلَّا يَهْلِكَهَا بَسَنَةَ عَامَّةٍ
١١٨	أَوْثَقَ عَرَى الْإِيمَانِ الْحَبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ
١٢	أَوْلَتْكَ أَوَّلَ مَنْ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
٩٥	إِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنْ كُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ
١٦٧	أَيُّكُمْ يَحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بَدْرُهُمْ؟... فَوَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ
٣٦٧، ١١٥	الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسِتُونَ - أَوْ: بَضْعٌ وَسَبْعُونَ - شَعْبَةٌ، أَعْلَاهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
٣٢٣، ٣٢٢	أَيُّ السَّائِلِ عَنِ السَّاعَةِ؟... إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ



رقم الصفحة	الحديث
٢٢١	أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ
٣٧٩	أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ إِلَهَكُمْ وَاحِدٌ، كَلِمَةً لِأَدَمَ وَأَدَمٌ مِنْ تَرَابٍ
٢٢٨	أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَّغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي
ب	
٣٢٦	بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فَتَنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ، يَصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا
٢٦	بَدَأَ الْإِسْلَامَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ
ت	
٢١٣	تَصَلَّ مِنْ قَطْعِكَ، وَتَعْطِي مَنْ مَنَعَكَ
٣٧٧	تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهِمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنَّ أُعْطِيَ رَضِي
٣٦٢	تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ
٢٨٣	تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنِي الشَّيْطَانِ
١٨٩	تَمَعَّدُوا وَاحْشَوْشُوا
ث	
٢٩٥	ثَلَاثٌ مَنْ كُنَ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ
٢٥١	ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أُعْطِيَ بِي ثُمَّ غَدَرَ
٣٠٧، ٣٠٢	ثَلَاثَةٌ لَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يَزْكِيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
٣٠٨	ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَزْكِيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ
ح	
٣٥٨	حَاوَلِ الرَّسُولَ ﷺ أَنْ يَدَافِعَ عَنِ هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمِينَ
١٥٩	حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ



رقم الصفحة	الحديث
١٢٥	حب الدنيا وكراهية الموت
٣٦٤	حتى يقول الحجر والشجر: يا مسلم، هذا يهودي ورأى، فاقتله
١٨٩	حُرِّمَ لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي، وأحل لإناثهم
٣٠٧	الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للبركة
د	
١٣٦	دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد، والبغضاء. والبغضاء: هي الحالقة
٢٧٣	دخلت امرأة النار في هرة، حبستها حتى ماتت، فلا هي أطعمتها
١١٨	الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة
١٠٤	الدين النصيحة. قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم
ذ	
١١٧	ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه
ر	
٣٤١، ٣٤٠	رجل ممن كان قبلنا، استسلف من رجل ألف دينار، فقال له الرجل: اتني بالشهداء
٩٩	رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر
س	
١٤١	سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر
٢٢٦	سئل النبي ﷺ: أيكون المؤمن جباناً؟ فقال: نعم
ش	
١٤٨	شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه
٢٧٣	شكر لرجل سقى كلباً على شدة ظمأ، فغفر له



رقم الصفحة	الحديث
ص	
١٩٩	الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلة
ع	
٢٩٧	عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة
١٩١	عن عمره فيما أفناه، وعن جسمه فيما أبلاه
ف	
٢٤٥	إذا أحببت، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به
١١٩	فاظفر بذات الدين تربت يداك
٣٢٧	فلا إيمان لمن لا أمانة له
٣٥	فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش
٢٧٣	في كل كبد رطبة أجر
ق	
٣٥٦	قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمه خصمته
١٩٩	قال الله ﷻ: أنا الله، وأنا الرحمن، خلقت الرحم، وشققت لها من اسمي
٣٣١	قبل الساعة سنون خداعة
٣٤٦	قد أجرنا من أجرنا يا أم هانئ
ك	
٢١١	كان رسول الله ﷺ يخطبنا، فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان
٣٢٥	كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمَّن يملك قوته
٣١٠	كفى بالمرء كذباً - وفي رواية: كفى بالمرء إثماً - أن يحدث بكل ما سمع

رقم الصفحة	الحديث
١٢٠، ٢٠٢، ٢٦٩، ٣٢٥	كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته... والرجل في أهل بيته راع
٢٣٤	الكلمة الطيبة صدقة
١٤٢، ٢٢١	كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه
٣٣٦	كل مولود يولد على الفطرة
ل	
٣١٩	لا إيمانَ لمن لا أمانةَ له، ولا دينَ لمن لا عهدَ له
٢٤٢	لا تحل الصدقة لغني، ولا لذي مرّة سوي
١٤١	لا تختلفوا؛ فإنّ من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا
١٤١	لا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض
٢٤٢	لا تزال المسألة بأحدكم حتّى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم
٢٥٩	لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتّى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه
٢٣٦	لا تسبوا الأموات؛ فإنّهم قد أفضوا إلى ما قدّموا
٢٣٦	لا تسبوا الأموات؛ فتؤذوا الأحياء
٢٣٦	لا تسبوا الديك؛ فإنّه يوقظ للصلاة
٢٣٦	لا تسبّي الحمى؛ فإنّها تُذهبُ خطايا بني آدم
٢٣٧	لا تقل: تعس الشيطان؛ فإنّك إذا قلت: تعس الشيطان، تعاظم الشيطان
٢٩٠	لا تقولوا للمنافق: سيد؛ فإنّه إن يك سيدكم، فقد أسخطم ربكم <small>وَعَلَيْكُمْ</small>
٣٧، ٣٩٠	لا تقوم الساعة حتّى تقاتلوا اليهود، فيقتلهم المسلمون
٢٣٦	لا تلعن الريح؛ فإنّها مأمورة
١٧	لا شيء له. فأعاد السائل عليه السؤال مرّة بعد مرّة، وهو يقول: لا شيء له



رقم الصفحة	الحديث
٢٧	لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه
٣٤٠	لا يخطب الرجل على خطبة أخيه، ولا يسوم على سؤم أخيه
١٤٣	لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه
١٤	لأتصدقن الليلة بصدقة... أمّا صدقتك على سارق، فلعله أن يستعف عن سرقة
٢٤٣	لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة من الحطب على ظهره فيبيعها
٢٦٥، ٣٤	لتفتحن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش
٢٢٣	لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته
١٦٧	لو أن لابن آدم واديًا من ذهب أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه
١٦٦، ١٦٥، ١٠٩	لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء
١٦٨	لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى الثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم
٣٣	ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر
٢١٦	ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس
٣٠٤، ٢١٥	ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فينمي خيراً، أو يقول خيراً
٢٠٥	ليس من نفس تقتل ظلماً، إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها
٢١٣	ليس الواصل بالمكافئ؛ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمة وصلها
م	
٢٢٣	ما أحب أني حكيث إنساناً وأن لي كذا وكذا
٣٠٢	ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك
٨٨	ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء، علمه من علمه، وجهله من جهله
١٠٧	ما ظنك - يا أبا بكر - باثنين الله ثالثهما
١٩٣	ما عال من اقتصد



رقم الصفحة	الحديث
٣٠٠	ما كان خلق أبغض إلى أصحاب رسول الله ﷺ من الكذب
١٨٤	ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن. بحسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه
٣٦٩	ما من مولودٍ إلا يُولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو يُنصرانه، أو يُمجسانه
٣٩٤	ما هذا السرف يا سعد؟! قال: أوفي الوضوء سرف يا رسول الله؟
٢٩٧	ما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق، حتى يُكتب عند الله صديقاً
٣٠٣	المتشبع بما لم يعط، كلابس ثوبي زور
١٤٦	مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد
٢٨١	مثل المنافق، كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة
٣٤ ، ٣٣	مدينة هرقل تُفتح أولاً
١٤٥ ، ١٤٢ ، ١٣٣	المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسلمه، ومن كان في حاجة أخيه
٣٤٦	المسلمون تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم
١٥	من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم من الليل، فغلبته عيناه حتى أصبح
٩٥ ، ٢١	من أحدث في أمرنا ما ليس منه، فهو ردٌّ
٣٠٨	من ادعى إلى غير أبيه، وهو يعلم، فالجنة عليه حرام
٣٥٩	من أعان ظالماً باطلاً ليدحض بباطله حقاً فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله
٣١٠	من حدّث بحديثٍ يرى أنه كذب، فهو أحد الكاذبين
٣٠٧	من حلف على يمين يقتطع بها مال امرئ مسلم، هو عليها فاجر
٣٥٩	من خاصم في باطل وهو يعلمه، لم يزل في سخط الله حتى ينزع
١٠٢	من رأى منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه
٢٣٣	من رأى منكم الليلة رؤياً
١٥	من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه



رقم الصفحة	الحديث
٣٤٥	من ظلم معاهدًا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا
٩٥ ، ٢١	مَنْ عمل عملاً ليس عليه أمرنا، فهو ردٌّ
١٧	مَنْ قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله
٣٤٤	من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا
١٣	من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله
٢٤٩	من كان لنا عاملاً وليس عنده مسكن فليتخذ مسكنًا
٣٠٩	من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار
٢١٢	مَنْ لا يرحم لا يُرحم
١٢٩	من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يصبح ويمس ناصحًا لله
١٤٦	مَنْ نَفَسَ عن مؤمن كُرْبَةً من كُرْبِ الدنيا، نَفَسَ اللهُ عنه كربة من كرب يوم القيامة
٩٣	من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين
٢٤١ ، ٢٤٠	مَهْيِمٍ؟ قال: تزوجت، يا رسول الله... أولم ولو بشاة
٢٦٦ ، ١٨٨ ، ١٢٣	المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف
٨٢	المؤمن للمؤمن كالبنيان؛ يشد بعضه بعضًا
١٨٥ ، ١٨٤	المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء
ن	
٢٦٤	نعمتان مغبونٌ فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ
٢١٥	النَّمَام لا يدخل الجنة
هـ	
١٢٠	هذا خير من ملء الأرض مثل هذا
٣١١	هذا الرجل يكذب الكذبة، فتؤخذ منه حتى تبلغ الآفاق



رقم الصفحة	الحديث
٣٠٥	هذا الرجل يهديني السبيل
١٣٨	هذا سبيل الله، ثمَّ خطَّ خطوطًا عن يمينه، وعن شماله ثمَّ قال: هذه سبيل
٢١٢	هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنَّما يرحم الله من عباده الرحماء
٢٣٣	هل رأى أحد منكم رؤيا؟ قلنا: لا. قال: لكنِّي رأيت الليلة رجلين أتياني
و	
٣٣٣، ٢٧٨	وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر
٢٠١	وأطاع الرجل امرأته، وعق أمه، وبرَّ صديقه، وجفا أباه
٢٥٢	والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته
١٤٤	والذي نفسي بيده، لا تدخلوا الجنة حتَّى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتَّى تحابوا
١٤٦	والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه
١٦٨	والله ما الدُّنيا في الآخرة إلاَّ مثل ما يجعل أحدكم إصبغه هذه في اليم
٢٧٨	وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم
٢٠٧	ولو كانت الدُّنيا تزن عند الله جناح بعوضة، ما سقى الكافر منها شربة ماء
٣١٣، ٣١٢	وما أردت أن تعطيه؟ قالت: أعطيه تمرًا. فقال رسول الله ﷺ
٢١٣	وما أملك لك، وقد نزع الله الرحمة من قلبك
٢١١	ونعم الراكب هو
٣٠٣	ويل للذي يحدث القوم، ثمَّ يكذب ليضحكهم ويل له، وويل له
ي	
١٩٠	يا حنظلة، ساعة وساعة
٣٩، ٣٨	يا عبد الله، يا مسلم، هذا يهودي ورأني فتعال فاقتله
١١٦	يأتي على النَّاس زمان لا يبالي المرء ما أخذ: أمن الحلال أم من الحرام



رقم الصفحة	الحديث
٢٣	يَسِّرًا وَلَا تُعَسِّرًا، وَبَشْرًا وَلَا تُنْفِرًا، وَتَطَاوَعًا وَلَا تَخْتَلَفًا
٢٣	يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا
٣٣١	يُصَدِّقُ فِيهَا الْكَاذِبَ، وَيُكَذِّبُ فِيهَا الصَّادِقَ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنَ
٢٩٦	يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا، إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ
٢٤٩	يُعْطَى لِلْعَزْبِ حَظًّا وَلِلْأَهْلِ حَظِّينَ
٣٣٠	يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتَقْبِضُ الْأَمَانَةَ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظِلُّ أَثَرَهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ

* * *



فهرس الموضوعات

- ❖ من الدستور الإلهي للبشرية ٤
- ❖ من مشكاة النبوة الخاتمة ٥
- مقدمة ٧
- ❖ ١- إخلص النية ١٠
- العبادات الباطنة ١٠
- تجريد النية لله ١١
- خطر الرياء ١١
- أهميَّة النية وفضلها ١٣
- تأثير النية في العبادات ١٦
- النية محلها القلب ١٦
- الإخلص أساس قبول العمل ١٧
- الإخلص من الأسرار ١٨
- الأتقياء الأخفاء ١٨
- صاحب النقب ١٩
- استقامة العمل على منهاج الشرع ٢١
- ❖ ٢- المبشرات بانتصار الإسلام في القرآن والسنة ٢٣
- أحاديث أسيء فهمها ٢٦



- ٢٨.....المبشرات من القرآن
- ٣٠.....من المبشرات هلاك الطواغيت
- ٣١.....غزوة الأحزاب
- ٣٢.....المبشرات من السنة
- ٣٩.....متى نتصر على اليهود
- ٤٠.....تجفيف منابع الإسلام

❖ ٣ - المبشرات بانتصار الإسلام من التاريخ

- ٤٢.....قوة الإسلام النظرية
- ٤٣.....قوة الإسلام في أبنائه
- ٤٤.....مشكلة كتابة التاريخ الإسلامي
- ٤٥.....حاجتنا إلى إعادة كتابة التاريخ
- ٤٥.....سوء تفسير أحداث التاريخ
- ٤٦.....شمس الإسلام لا تغيب
- ٤٧.....راية الإسلام لا تسقط
- ٤٨.....انتصار الإسلام في حروب الردة
- ٤٩.....انتصار الإسلام على الحملات الصليبية
- ٥٠.....لا نصر بغير إيمان
- ٥٠.....نور الدين محمود نموذج القائد المؤمن
- ٥١.....روح الإسلام حين تسري
- ٥٣.....أثر تشويه التاريخ
- ٥٣.....انتصار الإسلام على التتار
- ٥٦.....الانتصار المعنوي
- ٥٦.....في الأمة طاقات كامنة
- ٥٧.....معارك التحرير من الاستعمار

- المجددون والمصلحون..... ٥٨
- الكيد بالسودان وضرورة الوحدة..... ٦٠
- جريمة السودان أنه اختار الإسلام..... ٦١
- الحقد الأسود على الإسلام..... ٦١
- وظلم ذوي القربى أشد مضاضة..... ٦٢
- دور العدو الصهيوني..... ٦٢
- مراجعة مصالح الأمة العليا..... ٦٤
- ❖ ٤ - المبشرات بانتصار الإسلام من الواقع..... ٦٧
- القوة البشرية..... ٦٨
- دعوة أعداء الأمة لتقليل نسل المسلمين..... ٦٨
- المسلمون أمة ولود..... ٦٩
- القوة الماديّة..... ٧٠
- القوة الرُوحية..... ٧٠
- حاجة العالم إلى رسالة الإسلام..... ٧١
- عصر القلق والخوف..... ٧٢
- العلاج في رسالة الإسلام..... ٧٣
- حاجة الأمة أن توظف هذه الطاقات..... ٧٣
- القوة تحتاج التكامل والتوحد..... ٧٥
- الدين هو المُحرِّك لهذه الأمة..... ٧٥
- ظهور الصحوة الإسلاميّة..... ٧٦
- على صعيد التدئين..... ٧٧
- على المستوى الفكري..... ٧٧
- على المستوى الاقتصادي..... ٧٧
- على المستوى السياسي..... ٧٨



- ٧٨..... على المستوى الجهادي
- ٧٩..... الشباب هم عماد الصحوة
- ٧٩..... محاولة التقليل من قيمة الصحوة
- ٨١..... ترشيد الصحوة الإسلامية
- ٨٤..... الاعتداءات المستمرة على الشعب الفلسطيني
- ٨٥..... لا بدّ من مقاومة الاعتداء
- ٨٧..... ❖ ٥ - من أمراض الأمة: سوء الفهم
- ٨٧..... الأمة الإسلامية أمة حية لن تموت
- ٨٧..... الأمة الإسلامية محفوظة من الاستئصال
- ٨٨..... الأمة الإسلامية تمرض ولكنها لا تموت
- ٨٩..... الأمة الإسلامية أمة رائدة
- ٨٩..... أمراض الأمة
- ٩٠..... سوء الفهم للدين
- ٩٠..... الفقه المفقود هو الفقه بسنن الله
- ٩١..... خصائص السنن الإلهية
- ٩١..... من هذه السنن
- ٩٢..... المشركون والمنافقون محرومون من فقه الآيات
- ٩٢..... طاقة المؤمن بطاقة عشرة من المشركين
- ٩٢..... المنافقون لا يفقهون هذا الفقه
- ٩٣..... الفقه أخص من العلم وأعمق منه
- ٩٣..... معنى الفقه في الدين
- ٩٤..... الأحكام شرعت لأهداف ومقاصد
- ٩٥..... من إساءة الفهم الزيادة في الدين
- ٩٥..... الإسلام أتباع في الدين وابتداع في الدنيا

- المسلمون أصحاب العلم التجريبي ٩٦
- المسلمون أوّل من طبّقوا المنهج التجريبي ٩٦
- الأزهر يُسمّي العلوم التجريبية بالعلوم الحديثة ٩٦
- الحذف من الدّين ٩٧
- إرضاء الغرب ولو على حساب الدّين ٩٧
- الغرب لا يُرضيه إلاّ الكفر بديننا ٩٨
- سوء الفهم لعقيدة الإيمان والقدر ٩٨
- الإنسان مسؤولٌ عن عمله ٩٩
- الإنسان حرٌّ مخيرٌ في حدود الشّئن الإلهية ١٠٠
- القدر مصدرٌ للقوة ١٠٠
- إساءة الفهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٠١
- سوء الفهم للقضاء أنتج السّلبية أمام الفساد ١٠٢
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشمل المؤمنات ١٠٣
- لعن من ضيّع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٠٣
- ما يجري على غيرنا يجري علينا ١٠٤
- شروط النجاة من الخسران ١٠٥
- المنكرات الكبرى في الأمّة ١٠٥
- التوكّل هو الأخذ بالأسباب ١٠٧
- شيوع الفكر الخرافي عند المسلمين ١٠٨
- ثبوت الكرامات ١٠٨
- إساءة فهم الزهد في الدنيا ١٠٩
- الصحابة يعملون للدنيا والآخرة ١١٠
- المسلمون تركوا الدُّنيا وعاشوا عالة على غيرهم ١١٠
- وضع المسلمين في البوسنة ١١٢



- ❖ ٦ - من أمراض الأمة: اختلال ميزان الأولويات ١١٥
- ١١٦..... اختلال معيار الأخلاق والمعاملات
- ١١٧..... اختلال نظام الحياة
- ١١٧..... الولاء والبراء
- ١١٨..... ميزان الأولويات في الأسرة
- ١١٩..... معايير التقدير في المجتمع
- ١٢٠..... المسؤولية عن تنشئة الأبناء
- ١٢٢..... خلل ميزان الأولويات في المجتمع
- ١٢٣..... خلل ميزان الأولويات في الرياضة
- ١٢٤..... خلل في مسيرة الأمة
- ١٢٥..... تمزق الأمة وضعفها
- ١٢٧..... أهمية فقه الأولويات لعلاج أمراض الأمة
- ١٣٠..... الكلمة الأولى
- ١٣٠..... ما قلناه لا يعني أن الأمة خلت من الخير
- ١٣٠..... الكلمة الثانية
- ١٣٠..... ربط المسجد الحرام بالمسجد الأقصى
- ١٣٢..... الكلمة الثالثة
- ١٣٢..... محنة إخواننا في الشيشان
- ❖ ٧ - من أمراض الأمة: الفرقة ١٣٥
- ١٣٥..... الاهتمام بالأمراض الداخلية
- ١٣٦..... الفرقة من أمراض الأمة
- ١٣٦..... الفرقة سبب في وهن الأمة وتسلب الأعداء
- ١٣٧..... فرقة المسلمين اليوم
- ١٣٧..... النزاع الحدودي صنيعة الاستعمار

- المسلمون أمة واحدة..... ١٣٧
- لا ينبغي للأمة ترك الصراط الواحد..... ١٣٨
- وحدة الأمة في مرجعيتها..... ١٣٩
- وحّد الأمة في زعامتها..... ١٣٩
- اليهود يعملون على فرقة الأمة..... ١٣٩
- الوحدة أخت الإيمان والتفرق أخو الكفر..... ١٤٠
- الأمة الإسلامية أمة دعوة..... ١٤٠
- التفرق والاختلاف أهلك الأمم السابقة..... ١٤١
- حرمة دم المسلم..... ١٤٢
- عناصر الأخوة الإسلامية..... ١٤٣
- أولاً: المحبة..... ١٤٣
- درجات المحبة..... ١٤٣
- المرتبة الأولى: سلامة الصدر..... ١٤٣
- المرتبة الثانية: أن تحبّ لأخيك ما تحبه لنفسك..... ١٤٣
- المرتبة الثالثة: الإيثار..... ١٤٤
- ثانياً: التناصر..... ١٤٥
- ثالثاً: التعاون..... ١٤٦
- رابعاً: التسامح..... ١٤٦
- الإنسان أسير الإحسان..... ١٤٧
- التسامح بين أهل العلم والدعوة..... ١٤٨
- أسباب العداة بين أهل العلم والدعوة..... ١٤٨
- أولها: إرادة رفع الخلاف من الأمة..... ١٤٨
- لا مانع من التعدّد في الأفكار والآراء والجماعات..... ١٤٩
- توحد الحركات الإسلامية أمنية بعيدة المنال..... ١٤٩

- التعدد المباح تعدد التنوع لا تعدد التصارع ١٥٠
- معاركنا كثيرة ١٥٠
- الصحوة الإسلامية تُهاجم في كل مكان ١٥٠
- أقليات العالم تجتمع وأقلياتنا تختلف ١٥١
- تختلف الآراء ولا تختلف القلوب ١٥١
- الشافعي يترك القنوت أدبًا مع أبي حنيفة ١٥٢
- الطعن في علماء الأمة ١٥٢
- الصواب والخطأ نسبتهما واحدة في الأقوال الاجتهادية ١٥٢
- الفرقة شر ما تُصاب به الأمة ١٥٣
- من العقوبات الإلهية أن تصير الأمة بأسها بينها ١٥٤
- الأمم الأخرى تتقارب على جميع المستويات ١٥٥
- دعوة للأمة الإسلامية ١٥٦
- الترحيب بالعلامة أبي الحسن الندوي في قطر ١٥٧
- ❖ ٨ - من أمراض الأمة: حب الدنيا ١٥٩
- حب الدنيا علة لكل الأمراض ١٥٩
- معنى حبّ الدنيا ١٥٩
- حبّ الدنيا من أسباب الوقوع في المعاصي ١٦٠
- حبّ الدنيا من أسباب العداوة بين الناس ١٦٠
- حبّ الدنيا يمزق الأسرة الواحدة ١٦٠
- تهافت النَّاس على الحياة وراءه حبّ الدنيا ١٦١
- الدنيا سريعة التغير ١٦١
- الدنيا سريعة الزوال ١٦٢
- الدنيا أحلام نوم أو كظلم زائل ١٦٣
- الآخرة هي قضية الإنسان المصيرية ١٦٤

- ١٦٥..... قيمة الدُّنيا عند الله.....
- ١٦٦..... نصيب الإنسان من جناح البعوضة.....
- ١٦٧..... من خصائص الدُّنيا أنَّه لا يُشْبَعُ منها.....
- ١٦٨..... نسبة الدُّنيا إلى الآخرة.....
- ١٦٨..... الدنيا من صفاتها الغدر.....
- ١٦٨..... الدنيا سريعة التقلُّب بأهلها.....
- ١٧٠..... الدنيا دار عناء وتعب.....
- ١٧٠..... أولها بكاء.....
- ١٧١..... أوسطها عناء.....
- ١٧١..... وآخرها فناء.....
- ١٧٢..... الفوز الحقيقي.....
- ١٧٢..... الفوز يتحقَّق بالإيمان والعمل الصالح.....
- ١٧٢..... الدنيا مزرعة الآخرة.....
- ١٧٣..... املك الدُّنيا ولا تملكك.....
- ١٧٤..... الجمع بين حسنة الدُّنيا والآخرة.....
- ١٧٤..... الخطر أن يُنسى حبُّ الدُّنيا الآخرة.....
- ١٧٥..... الغفلة عن الآخرة من أخطر الأمراض.....
- ١٧٥..... سبيل النجاة في الانشغال بالآخرة.....
- ١٧٧..... ❖ ٩ - من أمراض الأُمَّة: الإسراف.....
- ١٧٧..... الكون قام على التوسط والاعتدال.....
- ١٧٧..... التوسُّط والاعتدال سلوك المؤمنين.....
- ١٧٨..... الإسلام لا يحرم الطيبات.....
- ١٧٨..... الإسلام يمنع الإسراف.....
- ١٧٩..... الفرق بين الإسراف والتبذير.....



- ١٨٠ من التبذير الإنفاق فيما لا يضُرُّ ولا ينفع
- ١٨٠ التدخين من التبذير
- ١٨١ سعار الشُّراء
- ١٨٢ المبالغة في الإنفاق على الدعاية
- ١٨٢ شهوة النَّاس للشُّراء
- ١٨٢ التجار يستغلون شهوة النَّاس للشُّراء
- ١٨٤ الإسراف في المأكَل
- ١٨٥ إلقاء الطعام الكثير في سلال القمامة
- ١٨٦ من المسلمين من لا يجد لقمة
- ١٨٧ الإسراف في المسكن
- ١٨٧ أهل الشمال هم المترفون
- ١٨٨ الفرق بين الترف والسرف
- ١٨٨ الإسراف في الرياضة
- ١٨٩ ممارسة الرياضة تكون لهدف وبقدر
- ١٩٠ ميدانٌ لسباق الكلاب
- ١٩٠ الإسلام لا يمنع اللهو والترويح
- ١٩١ الإسراف في الوقت
- ١٩٢ قتلة الوقت
- ١٩٢ الاعتدال واجب على الأمة
- ❖ ١٠ - من أمراض الأمة: ضعف العلاقات ١٩٦
- ١٩٦ فقدان المحبة بين أفراد الأسرة
- ١٩٦ الإسلام يعمل على بناء الأسرة المترابطة
- ١٩٧ الأسرة في الإسلام تختلف عنها في الغرب
- ١٩٧ الإسلام يقوي العلاقات الأسرية بمجموعةٍ من الأحكام

- ١٩٨..... بر الوالدين
- ١٩٨..... صلة الأرحام
- ١٩٩..... من فضل صلة الرحم
- ١٩٩..... من وصلها وصله الله
- ١٩٩..... الصدقة على ذي الرحم مضاعفة
- ٢٠٠..... ترابط الأسرة المسلمة عبر القرون
- ٢٠٠..... الحضارة الماديّة أوهنت الرباط الأسري
- ٢٠١..... حاجة الإنسان للمشاعر والعواطف
- ٢٠١..... حقُّ الأبناء في الاهتمام والرعاية
- ٢٠٢..... مسؤوليّة الآباء ليست مادية فقط
- ٢٠٣..... من الآباء من يفرط في المسؤوليّة الماديّة
- ٢٠٣..... المربية تقوم بدور الأم
- ٢٠٤..... حقوق الآباء والأبناء متبادلة
- ٢٠٤..... العداوة بين الإخوة
- ٢٠٥..... المسلم ينبغي أن يكون خير ابني آدم
- ٢٠٦..... إخوة يوسف يحسدونه وهو يسعهم بعفوه
- ٢٠٧..... الدنيا أهون من أن يتقاتل النَّاس عليها
- ٢٠٧..... التسامح مع الأقارب
- ٢٠٨..... الأسرة المتماسكة أساس المجتمع المتماسك
- ٢١٠..... ضيق بعض الآباء بالبنات
- ٢١٠..... الإسلام يُؤكِّد حقَّ الأحفاد
- ٢١٣..... ليس الواصل بالمكافئ
- ٢١٤..... أمثالٌ خاطئةٌ في حياة الناس
- ٢١٤..... أهل اليسار والغنى أكثر النَّاس خصومة

- ٢١٥..... النميمة من أكبر الكبائر.....
- ٢١٦..... مهمة الدين في حياة الناس.....
- ٢١٧..... قلة المال أفضل من غنى مطغي.....
- ٢٢٠..... ❖ ١١ - أمراض الأمة: حبُّ الهدم.....
- ٢٢٠..... أعداء لكل نجاح.....
- ٢٢٠..... إعلان الحرب على كل ناجح.....
- ٢٢١..... الإشاعات الكاذبة تُؤخِّرُ الشرفاء وتُقدِّمُ اللصوص.....
- ٢٢١..... تعاليم الإسلام تحمي الحرمات.....
- ٢٢١..... معنى العِرض.....
- ٢٢٢..... تحريم الغيبة.....
- ٢٢٣..... لا يجوز تناول الأعراض بالحقِّ فضلاً عن الباطل.....
- ٢٢٣..... الحسد خلقٌ من أخلاق اليهود.....
- ٢٢٤..... الهدَّامون شرُّ النَّاس يوم القيامة.....
- ٢٢٥..... الهدَّامون يدفنون الحسنة ويذيعون السيئة.....
- ٢٢٦..... الكذَّاب لا يمكن الاحتراز منه.....
- ٢٢٦..... الكذب ينافي الإيمان.....
- ٢٢٧..... عقابٌ من يَشِين البراء باختلاق الأكاذيب.....
- ٢٢٧..... عِرض النبيِّ لم يَسَلَم من الهدَّامين.....
- ٢٢٩..... المؤمن يظنُّ الخير بالمؤمنين ويردُّ الإشاعة عنه.....
- ٢٣٠..... عقوباتٌ ثلاثٌ لمن يقع في الأعراض.....
- ٢٣١..... علام يرجع الاستثناء.....
- ٢٣١..... المؤمن يردُّ الشَّاعة ولا ينقلها.....
- ٢٣٢..... الفاحشة في المجتمع المسلم تُستَرُّ وتُكْتَم.....
- ٢٣٢..... جزاء من يفتری الفاحشة على الناس.....

- الكلمة الطيبة تبني ٢٣٣
- المسلم يصون لسانه عن أعراض الناس ٢٣٤
- حفظ اللسان ملاك أمر الدين ٢٣٥
- آفات اللسان كثيرة ٢٣٦
- المسلم إيجابي بناء ٢٣٧
- ❖ ١٢ - من أمراض الأمة: إهمال العمل للعالم ٢٣٨
- الإسلام والنزعة الزهدية ٢٣٨
- الصحابة يعملون للعالم مع الآخرة ٢٣٩
- ترك العمل للعالم بدعوى التوكل ٢٤١
- لا يجوز للقادر على العمل تكفف الناس ٢٤٢
- الإسلام يعتبر العمل عبادة وجهادًا ٢٤٤
- عمارة الأرض إحدى مقاصد الخلق ٢٤٦
- الإسلام يريد لكل إنسان أن يعمل ٢٤٨
- استغلال الضعفاء من الناس حرام ٢٤٩
- سراب السلام المزعوم ٢٥٣
- ❖ ١٣ - من أمراض الأمة: عدم العناية بالشباب ٢٥٧
- مستقبل الأمة في شبابها ٢٥٧
- عناية الإسلام بالشباب ٢٥٩
- الشباب الثائر على الباطل ٢٦٠
- الشباب المطيع لأمر الله ٢٦٠
- الشباب المتعفف عن الحرام ٢٦١
- الشباب الحكيم التقي ٢٦١
- الشباب المعتزل أهل الضلال ٢٦٢
- الشباب هم أتباع الرسل ٢٦٢



- ٢٦٤..... الفراغ من أكبر مشكلات الشباب
- ٢٦٥..... طموح وآمال الشباب
- ٢٦٦..... القيام برعاية الشباب
- ٢٦٧..... المسؤولية عن إعداد الشباب
- ٢٦٨..... نحن في مرحلة البناء لا الرفاهية
- ٢٧٠..... تربية الشباب ليكونوا صورة للإسلام
- ٢٧٠..... أن يكونوا دعاة صادقين للإسلام
- ٢٧١..... التفریط في الشباب هو التفریط في المستقبل
- ٢٧٢..... من عجائب المجتمعات الغربية
- ٢٧٣..... الرحمة بالحيوان في الإسلام

❖ ١٤ - النفاق..... ٢٧٦

- ٢٧٦..... معنى النفاق
- ٢٧٦..... أنواع النفاق
- ٢٧٧..... النفاق الأكبر
- ٢٧٧..... النفاق الأصغر
- ٢٧٨..... علامات النفاق العملي
- ٢٧٨..... النفاق الأصغر قد يؤدي إلى النفاق الأكبر
- ٢٧٩..... المنافقون هم الطابور الخامس في الأمة
- ٢٧٩..... من علامات المنافقين
- ٢٧٩..... ١ - التهذب من حكم الله
- ٢٨٠..... الفرق بين المؤمن والمنافق
- ٢٨٠..... ٢ - التذبذب والتلؤن
- ٢٨١..... المنافق كالشاة الحائرة
- ٢٨١..... ٣ - ادعاء الإصلاح

- أصناف المنافقين ٢٨٢
- ١ - التزلف إلى الحكام والكبراء ٢٨٢
- ٢ - المرآي بالأعمال ٢٨٣
- العالم المنافق يفرخ الفتاوى حسب الطلب ٢٨٤
- ٣ - الكاتب المنافق ٢٨٥
- ٤ - الشاعر المنافق ٢٨٥
- ٥ - السياسي المنافق ٢٨٧
- ٦ - الصديق المنافق ٢٨٧
- لماذا نتحدث عن المنافقين؟ ٢٨٧
- الأيمان الكاذبة من صفات المنافقين ٢٨٨
- أولاً: التحذير والتنبيه ٢٨٨
- الصحابة يخافون على أنفسهم من النفاق ٢٨٩
- نعامل المنافقين بحسب ما يظهر لنا منهم ٢٩٠
- في عصرنا منافقون شر من منافقي العصر الأول ٢٩٠
- ثانياً: الجهاد ٢٩٢
- ❖ ١٥ - من صفات المنافقين: الكذب ٢٩٥
- الكذب خلق من أخلاق النفاق ٢٩٥
- لا يجتمع إيمان وكذب ٢٩٦
- الصدق يصل بالعبد إلى مرتبة الصديقية ٢٩٧
- الصدق أحد أركان العالم وركن بقاءه ٢٩٨
- الكذب مخالفة الخبر للواقع والاعتقاد أو كلاهما ٢٩٩
- الكذب أخص أوصاف المنافقين ٢٩٩
- الكذاب بغيض إلى الله ورسوله وملائكته وعباده ٣٠٠
- شكوى الناس من الكذابين ٣٠٠



- ٣٠١..... لا حيلة مع الكذاب
- ٣٠١..... لماذا يكذب الناس؟
- ٣٠١..... الكذب لترويج البضاعة
- ٣٠٢..... الكذب لنيل الوجاهة وتعظيم النفس
- ٣٠٣..... الكذب للفاكاهة
- ٣٠٣..... المواضع التي يُرَخَّص فيها الكذب
- ٣٠٣..... الموضوع الأول: الكذب في الحرب
- ٣٠٤..... الموضوع الثاني: الكذب لإصلاح ذات البين
- ٣٠٥..... الموضوع الثالث: الكذب في العلاقات الزوجية
- ٣٠٥..... في المعارض مندوحة عن الكذب
- ٣٠٦..... الكذب مراتب ودرجات
- ٣٠٦..... الكذب في الشهادة من أكبر الكبائر
- ٣٠٦..... اليمين الكاذبة هي اليمين الغموس
- ٣٠٧..... ترويج السلعة باليمين الكاذب
- ٣٠٧..... الكذب في النسب
- ٣٠٨..... الكذب في الرؤيا
- ٣٠٨..... الكذب في السياسة
- ٣٠٩..... الكذب على رسول الله ﷺ
- ٣١٠..... الخطر من الأحاديث الموضوعية
- ٣١٠..... الكذب على الله تعالى
- ٣١١..... يتعاضم إثم الكذب باتساع نطاقه وتعاضم ضرره
- ٣١٢..... من الكذب ترويج الإشاعات
- ٣١٢..... موقف المسلم من الكذب
- ٣١٣..... الصدق أربح التجارات



- ٣١٤..... قضايا المسلمين في العالم كثيرة
- ٣١٤..... حصار مسجد حضرت بال
- ❖ ١٦ - من صفات المنافقين: الخيانة..... ٣١٧
- ٣١٧..... الخيانة ربع النفاق أو ثلثه
- ٣١٨..... الأمانة من أعظم خصال الإيمان
- ٣١٨..... الأمانة تشمل كل شيء
- ٣١٩..... حمل الأمانة ثقيل
- ٣١٩..... الأمانة نعمة عظيمة
- ٣٢١..... مجالات الخيانة
- ٣٢١..... ١ - خيانة في المال
- ٣٢١..... ٢ - خيانة المنصب والمسؤولية
- ٣٢٢..... تقديم العاجز وتأخير القادر نذير بهلاك الأمة
- ٣٢٣..... ٣ - خيانة العلم
- ٣٢٤..... ٤ - خيانة الأسرة
- ٣٢٥..... ٥ - خيانة الصديق
- ٣٢٦..... ٦ - خيانة الوطن
- ٣٢٦..... ٧ - خيانة الدين
- ٣٢٧..... ٨ - خيانة السر
- ٣٢٨..... من الخيانات خيانة الحواس
- ٣٢٨..... ٩ - خيانة اليد
- ٣٢٩..... إذا فاتت العقوبة في الدنيا فلن تفوت في الآخرة
- ٣٣٠..... خيانة اللسان
- ٣٣٠..... خيانة الأعين
- ٣٣٠..... علامات الساعة المتعلقة بالأمانة



- ❖ ١٧ - من صفات المنافقين: الغدر في العهد ٣٣٣
- الغدر لازم النفاق والوفاء لازم الإيمان ٣٣٣
- المنافقون لا عهد لهم ولا ذمة ٣٣٥
- عهد الله أولى بالوفاء ٣٣٦
- العهد مع الله خاص وعام ٣٣٧
- النذر مع كراهته واجب الوفاء ٣٣٧
- معنى الوفاء بعهد الله ٣٣٩
- وفّ بعهدك مع الناس ٣٣٩
- قصة نادرة في الوفاء ٣٤٠
- الوفاء في النَّاس نادر ٣٤١
- رعاية عهود غير المسلمين ٣٤٢
- من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنّة ٣٤٤
- أمّة تحترم الكلمة ٣٤٥
- لا وفاء في معصية ٣٤٦
- العتو الإسرائيلي على أهل فلسطين ٣٤٨
- معاناة المسلمين في سرايفو ٣٤٨

❖ ١٨ - من صفات المنافقين:

- إخلاف الوعد والفجور في الخصومة ٣٥٢
- أصول النفاق خمسة ٣٥٢
- احترام الوعد واجب ٣٥٣
- لا تعطي وعدًا لا تستطيع الوفاء به ٣٥٤
- إخلاف الوعد بغير عذر حرام ٣٥٤
- الوفاء بالوعد واجب ولو ترتب عليه كلفة ٣٥٥
- الجعالة من الوعد الذي يجب الوفاء به ٣٥٦

- ٣٥٦..... الوعيد الشديد في نقض العهد
- ٣٥٧..... الفجور في الخصومة
- ٣٥٧..... حكم المحكمة لا يحل حرامًا
- ٣٥٨..... المسلم يعدل مع من يحبُّ ومن يكره
- ٣٥٨..... القرآن ينتصر ليهوديِّ اتَّهم بالسرقة ظلماً
- ٣٥٩..... الإعانة على الخصومة بالباطل
- ٣٦٠..... الخصومة في الفكر
- ٣٦٠..... النبي وأصحابه يلتزمون الحقَّ في الخصومات
- ٣٦٣..... ضياع الحقيقة بين التهوين والتهويل
- ٣٦٤..... معركتنا مع اليهود مستمرة
- ٣٦٤..... معركة البوسنة والهرسك
- ٣٦٥..... الأمة لم تفعل شيئاً
- ٣٦٧..... ❖ ١٩ - التوحيد رسالة الإسلام
- ٣٦٧..... الآفات التي تهدد الإيمان
- ٣٦٨..... أوَّلاً: الإلحاد
- ٣٦٨..... الإلحاد في تاريخ البشريَّة قليل
- ٣٦٩..... الإنسان مفضوِّراً على الإيمان
- ٣٦٩..... مشكلة البشريَّة الشرك لا الإلحاد
- ٣٧٠..... البشريَّة ضلَّت كثيراً عن الإله الحقِّ
- ٣٧١..... الإنسان المعاصر لا يزال يعبد الأصنام
- ٣٧٢..... الوثنيَّة مشكلة الأنبياء مع أقوامهم
- ٣٧٢..... التوحيد دعوة الأنبياء جميعاً
- ٣٧٣..... العناصر الأساسيَّة للتوحيد
- ٣٧٣..... المشركون أقروا بالرُّبوبيَّة وأنكروا الألوهيَّة



- ٣٧٤..... من دعا الله مُخْلِصًا أجابه
- ٣٧٥..... حقيقة التوحيد
- ٣٧٦..... العبادات ترسخ دعائم التوحيد
- ٣٧٧..... التوحيد تحريراً للإنسان
- ٣٧٨..... التوحيد رسالة الإسلام للبشريّة
- ٣٧٩..... لا ربوبية لبشرٍ على بشر
- ٣٨٠..... شرك القبور وشرك القصور
- ٣٨١..... الشُّرك وكُرٌّ للخرافات
- ٣٨٣..... الانتفاضة الفلسطينية تدخل عامها السابع
- ٣٨٥..... اليهود يخافون المتطوعين
- ٣٨٦..... غزة وأريحا بداية الطريق ونهايته
- ❖ ٢٠ - خطبة عيد الفطر ٣٨٩
- ٣٨٩..... جيل الله أكبر
- ٣٩٠..... حرب العاشر من رمضان
- ٣٩٢..... أمة سورة الحديد
- ٣٩٤..... مواجهة الأزمة الاقتصادية
- ٣٩٥..... الأمة الإسلامية لا تقوم إلا بالإيمان
- فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٤٠٣
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٤٢٧
- فهرس الموضوعات ٤٤٠



فهرس كتب المجلد

- ١٧٢ - خطب الشيخ القرضاوي (٩) ٥
- ١٧٣ - خطب الشيخ القرضاوي (١٠) ٤٨٧

* * *